الآثار المصرية

فى وادى النيل

الجزء الثانى

اللشت - ميدوم - اللاهون - هوارة - الفيوم - وادى النيل
بنى سويف - المنيا - ملوى - مقابر بنى حسن - الأشمونين - تونة الجبل
البرشا - تل العمارنة - البلينا - مير - الجبراوى - أسيوط - البدارى
أخميم - أبيدوس ومعبدها - معبد سيتى الأول - معبد رمسيس الثانى
دندرة ومعبدها - من قفط إلى الأقصر - أمبوس - قوص - شنهور - المدامود

تأليف : جيمس بيكى

ترجمة

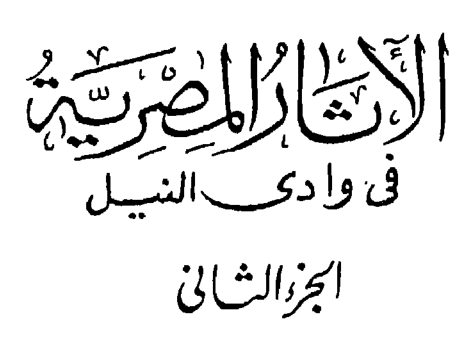
لبيب حبشى و شفيق فريد

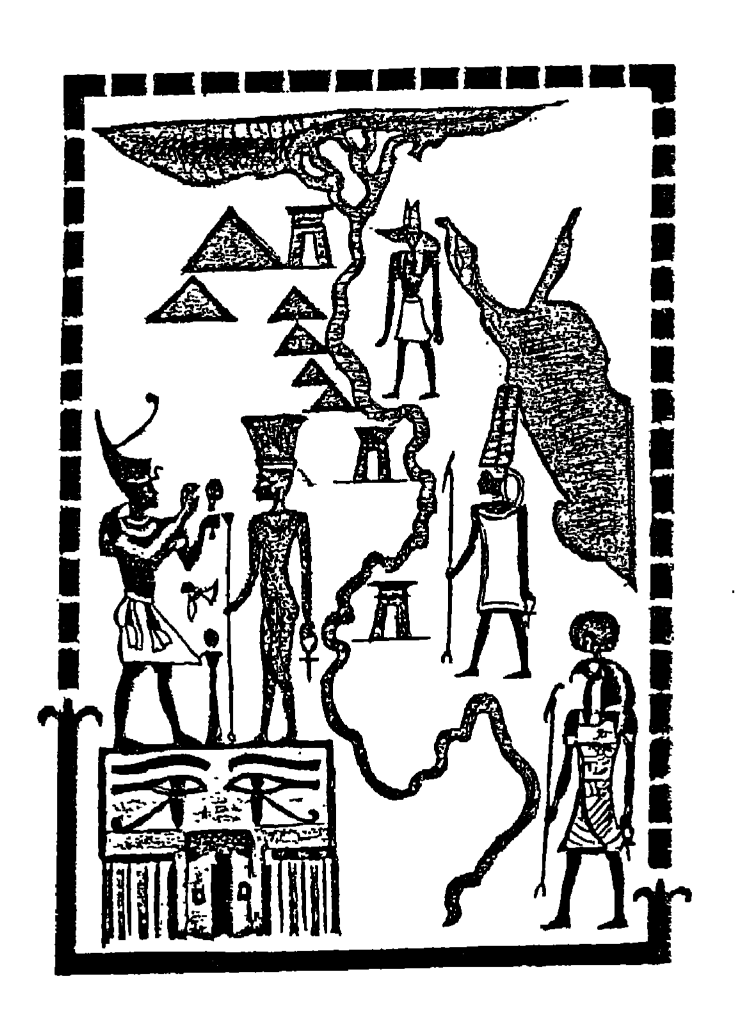
راجعه

الدكتور محمد جمال الدين مختار

كبير الأثريين بمركز تسجيل الآثار

١٩٩٩


الآثار المصرية
فى وادى النيل
الجزء الثانى



هـذه ترجمـة كتـاب :

EGYPTIAN ANTIQUITIES
IN THE NILE VALLEY
A DESCRIPTIVE HANDBOOK

تأليـــف :

JAMES BAIKIE

مقدمة

بقلم الدكتور محمد جمال الدين مختار

يفد علي مصر اليوم – كما سبق أن وفد عليها منذ أقدم العصور – أفواج الزائرين من كافة بقاع الأرض ، ليشاهدوا ما لا يستطيعون مشاهدته فى غيرها من الأقطار ، وليستمتعوا بما حباها الله من نعم ومزايا ، قل أن تتوافر فى غيرها من البلدان .

يفد هؤلاء الناس على مصر ليطلعوا على معالم حضارات خالدة تعاقبت عبر القرون والأجيال ، وليشاهدوا ذلك التراث المعماري والفنى الضخم الذى خلد تلك الحضارات على اختلاف ألوانها ، والذي ملأ أسماع الدنيا منذ أقدم العهود ، ولا يزال يبهر أنظار المشاهدين حتي اليوم .

وليستمتعوا بما يتوافر في أرضها من مناظر رائعة خلابة ومعالم طبيعية نادرة ، ولينعموا بشمسها المشرقة وسمائها الصافية وجوها المعتدل وهوائها الجاف ، وليهنئوا بسحر الشرق وجاذبيته التي لا تقاوم ، وبما تضفيه مصر علي ضيوفها من تسهيلات تجعل إقامتهم سعيدة وراحتهم موفورة .

ومن معاملة ممتازة تتسم بروح الود والإكرام والترحاب والأخوة ، وأخيراً ليستجلوا ذلك التقدم المرموق الذي شمل جميع المرافق وتلك المنشئات الحديثة التي تمثل نهضة جمهوريتنا الفتية .

* * *

ولما كان معظم هؤلاء الزوار يكتفون بتلك الزيارة التقليدية السريعة للقاهرة والأقصر وأسوان ، فإنهم يحرمون نتيجة لذلك من مشاهدة ذلك التراث الرائع الذي تركته حضاراتنا المتعاقبة في كل بقعة من بقاع الوطن وفي كل إقليم من أقاليمه .

ولذا كان من واجبنا أن نبهرهم بما يحويه كل شبر فى أرضنا من كنوز فنية عديمة النظير وأن نيسر لهم زيارة أكبر عدد ممكن من المحافظات ومشاهدة ما تضمه من معالم أثرية وتاريخية وسياحية .

وتحقيقاً لهذا الهدف – فيما يتعلق بالضيوف العرب والسياحة الداخلية – قام السيدان لبيب حبشي وشفيق فريد بترجمة هذا الكتاب « الآثار المصرية في وادي النيل » لـ « جيمس بيكي » ، وحرصنا كل الحرص علي تزويده بالآراء الجديدة ، وبنبذة عما تم من اكتشافات حديثة – في الهوامش – حتي لا يضيع علي القاريء ما جد منذ تأليف هذا الكتاب .

ونظراً لضخامة هذا السفر ، وما أضفنا إليه من هوامش ولوحات ، فضلنا أن نصدر الترجمة في خمسة أجزاء . وقد صدر الجزء الأول عام ١٩٦٣ ويضم آثار الدلتا والقاهرة والجيزة حتي صقارة ، أما الجزء الثاني فيشمل آثار مصر الوسطي وجانباً من آثار مصر العليا إلي ما قبل الأقصر وهو ما يضمه هذا الكتاب ، ويتضمن الجزء الثالث آثار الأقصر شرقاً وغرباً ، كما يضم الجزء الرابع أهم الآثار في مصر والنوبة حتي أسوان ، ويضم الجزء الخامس ما بعد الأقصر من فيلة إلي الخرطوم .

* * *

ويضم هذا الجزء الثاني المواقع الأثرية بمحافظات مصر الوسطي : الفيوم – بني سويف – المنيا – أسيوط – سوهاج وكذا شمال محافظة قنا .

وتقع محافظة الفيوم جنوب غرب القاهرة ، وعلي مسيرة بضعة كيلومترات من الحافة الغربية لوادي النيل ، ويعدها الجغرافيون إقليماً جغرافياً متميزاً ، له شخصيته الخاصة وطابعه الفريد .

ففيه تلتقي الحياة النيلية المستقرة بالحياة الصحراوية البدوية ، كما أنها أقرب واحات الصحراء الغربية إلي النيل وأغناها ثروة ، وأعظمها أثراً في تاريخ البلاد .

وتشتهر محافظة الفيوم بآثارها القديمة الخالدة ، وخاصة آثار الدولة الوسطي ، التى ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بهذا الإقليم ، ثم آثار العهد اليوناني ، إذ اهتم البطالمة أيضاً بالفيوم اهتماماً خاصاً ، كما تمتاز بمناظرها الطبيعية الساحرة التي تنفرد بها دون بقية محافظات جمهورية مصر .

* * *

أما محافظة بني سويف التي تعد من أغني محافظات الوادي والتي تتميز بسعة أراضيها الزراعية وجودتها ، فتقع في قلب مصر الوسطي .

ولذا فهي حلقة الاتصال بين الدلتا وبقية أجزاء الوادي ، وهي حافلة – كبقية المحافظات – بالمواقع الأثرية التي ترجع إلي العهد الفرعوني .

* * *

وتعد محافظة المنيا من أغني محافظات مصر الغنية بالمناطق الأثرية الهامة وخاصة بني حسن والأشمونين وتونة الجبل وتل العمارنة .

كما تضم هذه المناطق تراثاً مجيداً خلفه لنا أجدادنا القدماء ، يشهد لهم بجمال الذوق ودقة الإحساس والقدرة الفنية العالية .

* * *

وتنتشر بمحافظة أسيوط مقابر حكام الأقاليم وكبار الموظفين الذين نحتوها في التلال التي تحف بوادي النيل شرقاً وغرباً .

والتي تزدان جدرانها بنقوش وصور فريدة ، وتضم نصوصاً تاريخية هامة ، كما تعتبر مدينة أسيوط عاصمة الصعيد وقلبه النابض .

* * *

وعلي الرغم من افتقار محافظة سوهاج إلي تلك الصور الرائعة التي تزخر بها قبور أمراء المنيا وأسيوط ، فإنها تعتز بمنطقة من أهم المناطق الأثرية في مصر .

وهي منطقة أبيدوس ، كما تكثر بها الأديرة والكنائس التي ترجع إلي عهد المسيحية الأولي .

ونختتم هذا الجزء من الكتاب بوصف معبد دندرة الذي يقع علي الضفة الغربية للنيل في مواجهة مدينة قنا والذي يتميز بالقوة المعمارية وبأهمية مناظره المتنوعة .

ولقد أضفنا إلي الجزء الثاني من الترجمة العربية أكثر من مائة هامش ، كما

ألحقنا به مجموعة كبيرة من الصور والرسوم ، بالإضافة إلي ٢٢ صورة ورسماً نقلناها عن الأصل الأفرنجي .

* * *

وإني ليسعدني أن أقدم للقراء الكرام هذا الكتاب الذي حرص المترجمان علي توخي الدقة العلمية وبساطة الأسلوب في ترجمته ، مستعينين علي ذلك بخبرتهما الطويلة التي اكتسباها في أثناء العمل بتلك المناطق الأثرية ، ويليه إن شاء الله الجزء الثالث والرابع والخامس .

وأخيراً لعل القراء يجدون في هذا الكتاب بعض ما يفيدهم .

« والله ولى التوفيق »

الفصل العاشر

الفيـــــــوم

اللشت ــ وميدوم ــ واللاهون ــ وهوارة

يمكننا بعد ذلك أن نزور الفيوم ، ذلك المنخفض في الصحراء الذي يهبط عن مستوي سطح البحر بحوالي ١٢٠ قدماً [١] ، وكان هذا المنخفض يضم في العصور القديمة ما كان يعرف ببحيرة موريس [٢] .

التي انكمشت حالياً إلي بركة قارون [٣] ، وهذه المنطقة – الوافرة الخصب – التي وصفت بحق بأنها برعم علي نبات اللوتس ، ساقه ذلك النيل الطويل ، وأزاهيره المتفتحة هي الدلتا – كانت أثيرة لدي ملوك الأسرة الثانية عشرة الطيبين ، الذين اتخذوا من المكان المعروف باسم ، إثيت – تاوي ، مقراً لعرشهم .

وهذا المكان الذي لم يعرف بعد موقعه بالضبط لا يمكن أن يكون بعيداً عن اللشت ، التي لا يزال يوجد بها هرما الملكين الأوليين من ملوك هذه الأسرة .

---

(١) يقع خارج وادى النيل وعلى مسيرة بضعة كيلومترات من حافته الغربية إقليم جغرافى قائم بذاته هو إقليم الفيوم ، وهو عبارة عن منخفض فى الصحراء الغربية يرويه فرع من النيل هو بحر يوسف .

ويعتقد بعض العلماء أن الرياح كانت العامل الرئيسى فى حفر منخفض الفيوم ، فى حين يرى فريق آخر أن تكوينه يرجع إلى التعرية النهرية ، كما أن هناك رأياً ثالثاً قديماً يعزو تكوين منخفض الفيوم إلى بعض الإنكسارات .

ولهذا الإقليم شخصية خاصة به ، فهو يشبه واحة تلتقى فيها الحياة النيلية المستقرة بالحياة الصحراوية البدوية ، وهو أقرب منخفضات الصحراء الغربية إلى النيل وأغناها ثروة وأقواها أثراً فى التاريخ المصرى .

(٢) اشتق هذا الاسم الإغريقى من الاسم المصرى القديم « مر – ور » (البحيرة العظمى) .

(٣) قامت أخيراً بعثة جامعة روما بمسح أثرى فى المنطقة المحيطة ببحيرة قارون للبحث عن حضارة ما قبل التاريخ حيث جمعت بعض الأدوات الأثرية مثل السكاكين والمناشير والمكاشط وعدد من الفؤوس والنصال ورءوس السهام والمصاحن ، كما عثرت على بعض الأصداف البحرية وعظام لحيوانات متحجرة ، وبعض قطع لأشجار متحجرة .

وقد ترك ملوك الدولة الوسطي العظام - الذين بلغت مصر في أيامهم أقصي درجات الرخاء الداخلي - آثاراً في أنحاء البلاد تشهد جميعها بعظمة قوتهم .

وقد سبق أن رأينا أعمال سنوسرت الأول في هليوبوليس ، غير أنهم ركزوا الكثير من اهتمامهم علي الفيوم وما يجاورها - وربما دفعهم إلي اختيار هذا الموقع - الذي لم يسبق له أن ارتبط بالحكم - توسطه ، مما سهل عليهم بسط نفوذهم علي قسمي مملكتهم الدائمي التنازع .

ويمكن الوصول إلي الفيوم بالقطار أو بالسيارة من القاهرة وأهم منطقتين عند مدخل الفيوم هما منطقتا أهرام اللشت وهرم ميدوم ، ويمكن الوصول إليهما علي التوالي من محطتي المتانية والرقة .

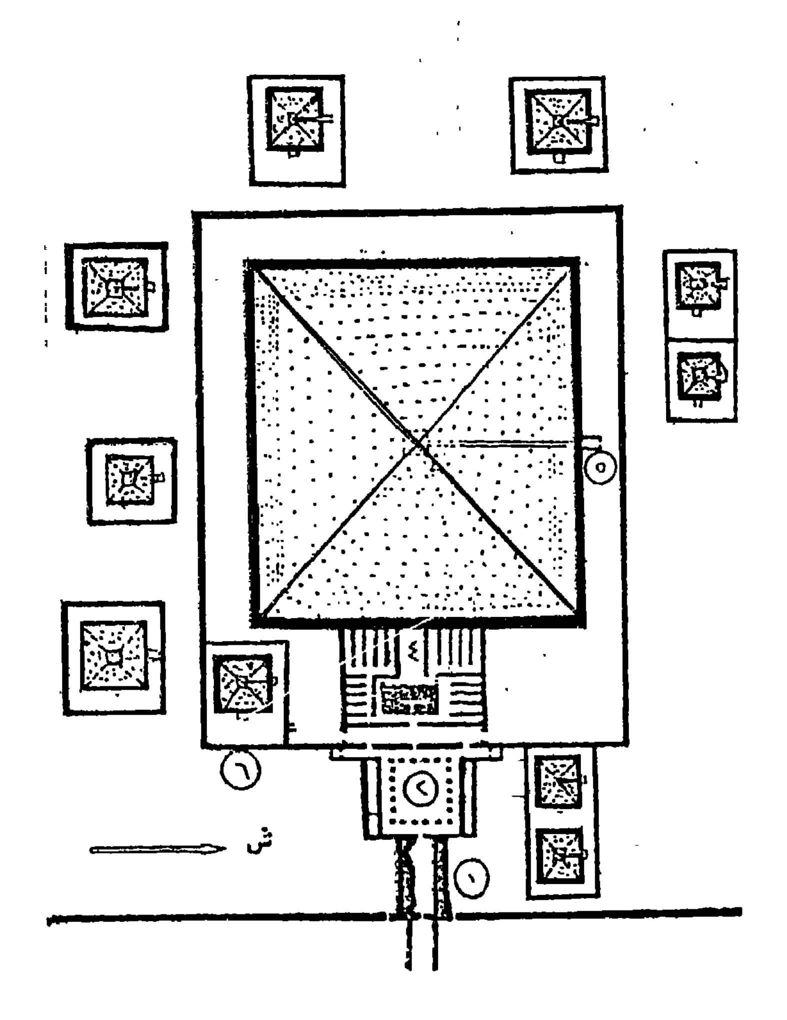
اللشت [١]

والهرم الشمالي باللشت هو هرم أمنمحات الأول ، مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، وهو مبني باللبن الخشن وعليه كساء من الحجر الجيري .

وللهرم معبد جنائزي كما هي العادة يقع إلي الشرق منه ، ولابد أنه كان مزيناً بكتل الجرانيت المجلوب من أسوان ، إذ إن به نقشاً يشير إلي ذلك .

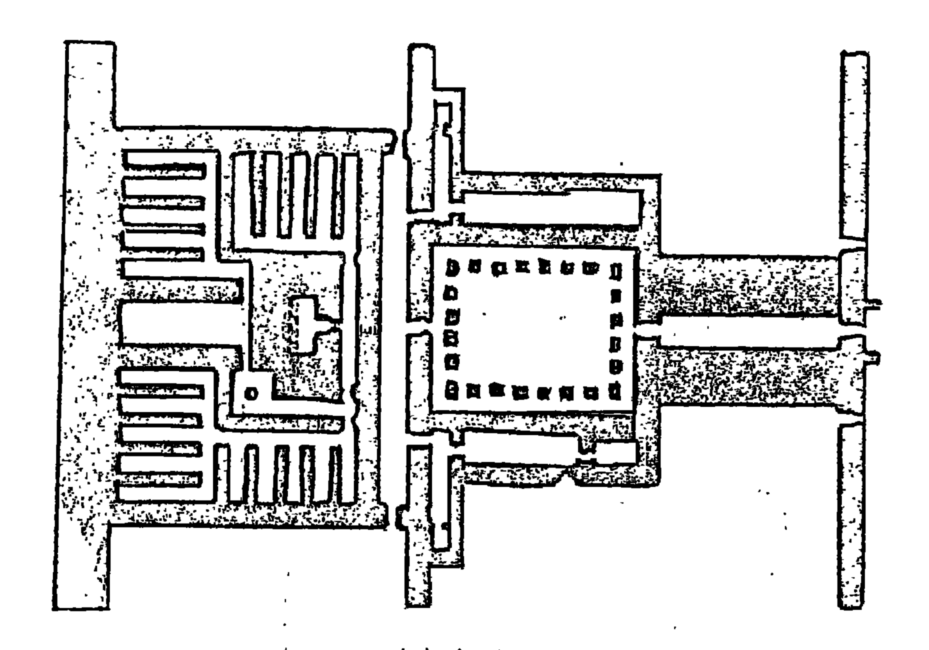
---

(١) فى المجموعة الهرمية للملك إمنمحات الأول وهى التى بناها ذلك الملك فى منطقة اللشت ، قام علماء متحف المتروبوليتان بحفائر هذا الهرم وهرم سنوسرت الأول ونشروا أبحاثهم التمهيدية فى نشرة المتحف عام ١٩٠٧ ، وفى هذه المجموعة الهرمية أول شىء يستلفت النظر ، ففى الوقت الذى سار فيه مهندسو الهرم على المبادىء الأساسية فى بناء المقابر الملكية فى الدولة القديمة ، نجد أنهم قد تأثروا بعمارة المعبد الهرمى للملك « منتوحتب » فى الدير البحرى ، ولذلك نجد المجموعة الهرمية مشيدة كلها فوق أرض مرتفعة والمبانى على مستويات مختلفة ، وداخل الحدود نجد مقابر أعضاء الأسرة المالكة والنبلاء وقد تم الحفر فى هذه المنطقة فى أجزاء بسيطة ولم تستكمل بعد ، ومازالت خرائب المعبد الجنائزى باقية حتى اليوم فى الجهة الشرقية من الهرم ولم يبق من المعبد نفسه إلا أرضيته وبعض أحجار متناثرة عليها نقوش وبابان وهميان من الجرانيت ولا يزيد ارتفاع الهرم الآن عن ٢٠ متراً وكان فى الأصل ٥٨ متراً . (المراجع) .



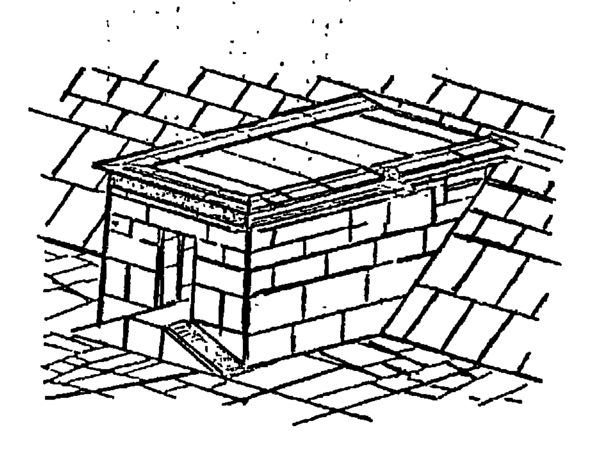
شكل رقم (١)

(المجموعة الهرمية لسنوسرت الأول فى اللشت)



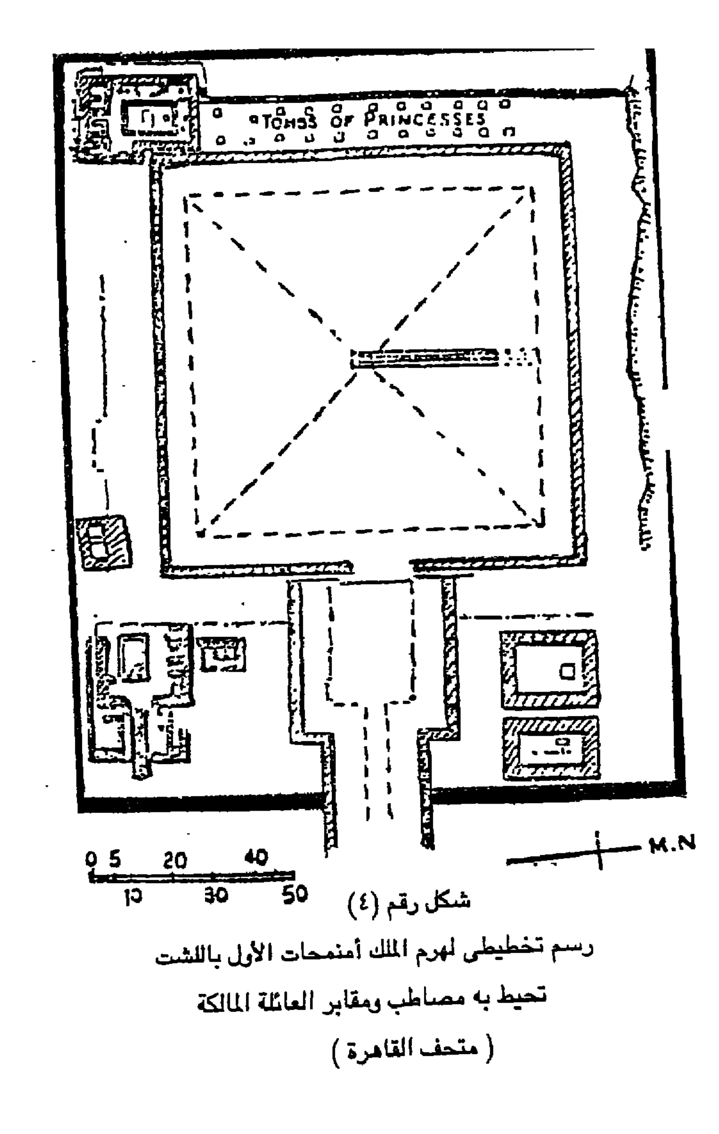
شكل رقم (٢)

(المعبد الجنائزى لهرم سنوسرت الأول باللشت)



شكل رقم (٣)

(المقصورة الشمالية لهرم سنوسرت الأول باللشت)



شكل رقم (٤)

رسم تخطيطى لهرم الملك أمنمحات الأول باللشت
تحيط به مصاطب ومقابر العائلة المالكة

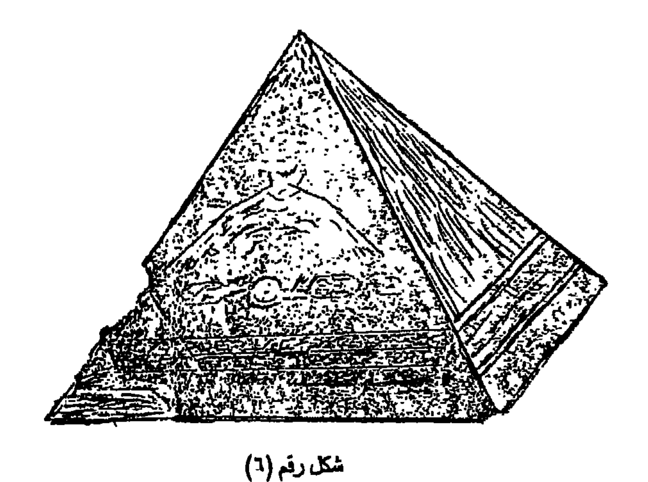
(متحف القاهرة)



شكل رقم (٥)

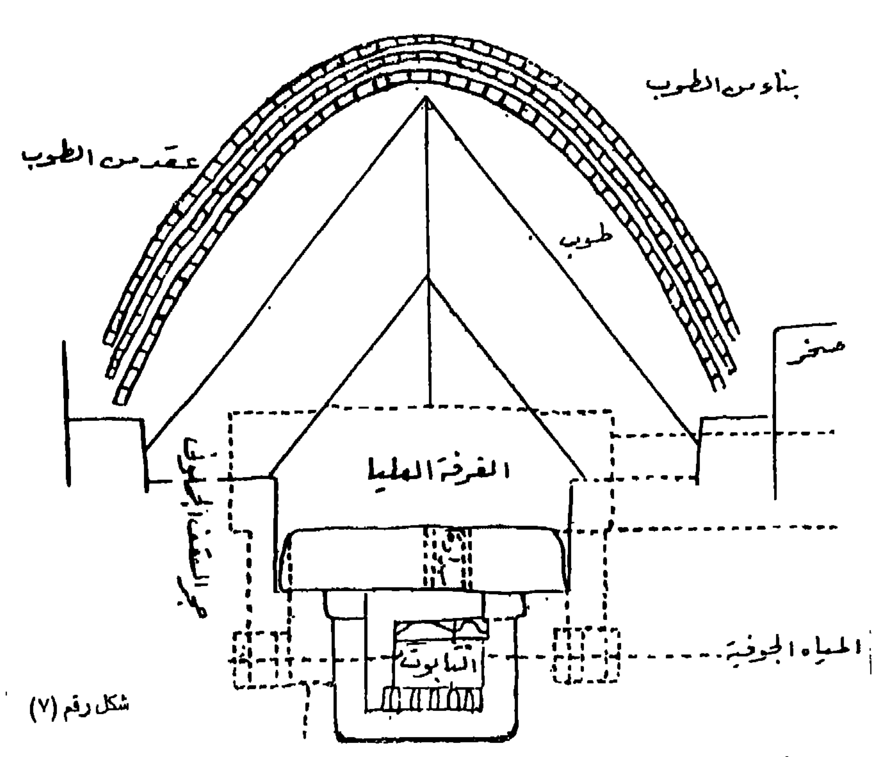
ثلاثة تماثيل من الحجر الجيرى للملك أمنمحات الأول عثر عليها مع
سبعة تماثيل أخرى من نوعها داخل أهرام هذا الملك بمنطقة اللشت

(متحف القاهرة)



شكل رقم (٦)

قطعة من الحجر علي شكل قمة هرمية فوق هرم أمنمحات الثالث بمنطقة هوارة باللشت



شكل رقم (٧)

قطع رأسي لهرم هوارة تظهر فيه علاقة حجرة المومياء بسائر أجزاء الهرم وموضع التابوت في داخل المقبرة

(رسم تخطيطي عن بتري)

واسم هذا الهرم قا – نفر (الشاهق والجميل) ، وقد كان ممر الدخول منحرفاً بعض الشيء ، وكانت تسده كتل من الجرانيت .

وفي العصور القديمة شق اللصوص مدخلاً إلي حجرة الدفن التي تقع حالياً تحت مستوي المياه نتيجة لارتفاع قاع مجري النيل .

والهرم الجنوبي باللشت هو هرم سنوسرت الأول ابن وخليفة أمنمحات الأول . وقد قامت بعثة مترو بوليتان بنيويورك في السنوات الأخيرة بالكشف عن هذا الهرم والهرم الآخر (الشمالي) .

وقد سبق هذا الكشف حفائر أجريت عام ١٨٩٤ وأسفرت عن العثور علي عشرة تماثيل للملك في معبد الهرم ، كل منها بارتفاع ست أقدام تقريباً ، وجميعها منحوتة من الحجر الجيري الأبيض الناعم .

ورغم أنها جامدة بعض الشيء وتفتقر إلي ما يميز شخصيتها (وهذا أمر ليس غريباً عند إنتاج مثل هذه القطع العديدة) ، فإنها تعتبر من الأمثلة الواضحة لحركة إحياء الفنون في بداية عصر الأسرة الثانية عشرة .

ولم تنصب هذه التماثيل قط ، إذ وجدت ملقاة علي الأرض ومغطاة بالرمال ، ومما يدل علي أنها لم تلق بسوء قصد أنها كانت جميعها في حالة جيدة ، باستثناء واحد منها وجدت به شروخ .

وهي حالياً بالمتحف المصري (رقم ٣٠١ بالحجرة ٢٢ بالطبقة السفلي في الوسط) حيث تنتظم بشكل مثير ، ولو أنه رتيب بعض الشيء .

وقد عثر أيضاً علي ستة تماثيل للملك سنوسرت علي شكل أوزيريس ، وهي بنفس الحجرة بالمتحف المصري وثلاثة منها تلبس تاج الوجه البحري الأحمر ، أما الثلاثة الأخري فتلبس تاج الوجه القبلي الأبيض .

وقد أسفرت أعمال التنقيب التي قام بها متحف متروبوليتان عن كشف أو كشفين جديرين بالاهتمام ، وذلك عند تنظيف المنطقة الواقعة حول الهرم وخارج السور المحيط به مباشرة .

ومعبد الهرم من الطراز العادي ، ويضم بهواً ضيقاً يوصل بين الطريق الصاعد وصالة الأعمدة التي تؤدي بدورها إلي صالة مرصوفة تلاصق الهرم .

وبالجانب البحري من المعبد وداخل نطاق السور هرمان صغيران ، الغربي منهما مبني بقطع صغيرة خشنة من الحجر الجيري – أما الشرقي فمبني من اللبن الذي كان مكسواً بالحجر الجيري .

وتقع خارج السور مباشرة بالجهة الغربية في الزاوية بين السور والطريق ، مصطبة كبيرة لإمحتب الذي كان يحمل الألقاب الآتية : « الأمير بالوراثة ، الحاكم ، أمين الخزانة ، الكاهن الأعلى لهليوبوليس ، كاهن حورس ، كاهن مين ، رئيس كتبة السجلات المقدسة ، المشرف علي الأرض ، المشرف علي جميع الأعمال ، المقرب من الملك ، العظيم في ديوانه » .

وهذا الموظف الكبير – الذي يظهر من ألقابه الكثيرة أنه كان يشغل مركزاً شبيهاً بمركز سميه في عصر الملك زوسر – لابد أنه كان رئيساً لكهنة المعبد الكبير الذي بناه سنوسرت الأول في هليوبوليس ، الذي سبق ذكره .

وربما كان – كمشرف علي جميع الأعمال – مسئولاً عن ذلك البناء العظيم وعن المسلة التي لا تزال قائمة إلي الآن .

وقد عثر جنوب السور المحيط بمقبرة إمحتب مباشرة علي مركبين من المراكب الجنائزية طول كل منهما حوالي تسع أقدام – وأحد هذين المركبين محفور والآخر مبني بألواح .

وبداخل السور وجدت بقايا مركبين شمسيين بهما الشعارات الرمزية التي توجد عادة في مراكب الشمس .

وقد عثر علي أهم كشف في حجرة داخل السور نفسه – ففي هذه الحجرة وجد ناووس من الخشب يضم نموذجاً للرمز الذي يعرف « برمز أنوبيس » ، لصلته بأنوبيس إله التحنيط وحامي المومياء .

كما يعرف أيضاً برمز أوزيريس ، وهو عبارة عن جلد عجل أرقط بلا رأس يلتف حول عصا .

وهنا كان الرمز علي شكل دمية محشوة من نسيج الكتان ومغطاة بجلد حيوان - وقد وجد بجانب الناووس تمثالان رائعان لسنوسرت الأول من خشب الأرز .

وارتفاع كل منهما قدمان تقريباً ، ونجده في أحدهما يلبس التاج الأحمر ، وفي الآخر يلبس التاج الأبيض .

ويلبس في كليهما نقبة بيضاء قصيرة . ، ويتجلي في هذين التمثالين من الرقة ودقة الصنع ما يعد أقصي ما وصل إليه فن النحت في تلك الفترة من الدولة الوسطي ، (ليثجو : مصر القديمة ، سنة ١٩١٥ ، ص ١٥٠) (١) .

وترجع أهميتهما إلي أنهما ينتسبان إلي الفترة الأولي من عصر الأسرة الثانية عشرة ، وهي فترة لم يظهر فيها الكثير من روائع الفن التي ظهرت في أواخر أيام هذه الأسرة (رقم ٣١٣ بالحجرة ٢٢ بالطبقة السفلي الخزانة د) (٢) .

وعلي مسافة خمسة أميال جنوب بلدة المتانية يقع كفر عمار ، وعلي مسيرة ميل وربع جنوب غرب كفر عمار يقع كفر طرخان حيث كشف بتري فى موسم ١٩١١ - ١٩١٢ عن جبانة من عصر ما قبل التاريخ .

كما عثر أيضاً على مصطبة كبيرة من الأسرة الأولى لها واجهة من اللبن ذات حليات غائرة ، وفى جرزة على مسافة بسيطة إلى الجنوب كشف بترى ووينرايت فى ١٩١٠ عن جبانة أخرى من عصر ما قبل الأسرات .

ومن بين النتائج التى حصلا عليها قرائن هامة تدل على ممارسة تقطيع أجزاء الجسم في أثناء بعض الطقوس في عصر ما قبل الأسرات .

وبين جرزة وميدوم تقع الرقة حيث وفق إنجلباك عام ١٩١٢ عند قيامه بحفر جبانة من عصر الدولة الوسطي في العثور على مجموعة رائعة من الحلى (٣) ، ترجع إلى عهد سنوسرت الثانى وسنوسرت الثالث .

---

(١) (Lythgoe, Ancient Egypt, P. 150).

(٢) التمثال الذى يلبس التاج الأحمر فى حيازة متحف المتروبوليتان بنيويورك .

(٣) الحلى عثر علي عدد قليل من مقابر الملوك والأمراء سليمة لم تعبث بها الأيدى فوجدت فيها مجوهرات وحلى من كل نوع ، كما تضمنت الأمتعة الجنائزية لبعض الملوك الأوائل أمثال « چر » فى أبيدوس و « سخم » فى صقارة ، كما وجد فى قبر « حتب - حرس » والدة =

وبالإضافة إلى تلك الحلى التى عثر عليها فقد وجد دليلاً غريباً وقاطعاً يؤكد أن اللصوص نهبوا المقبرة أو حاولوا ذلك فى العصور القديمة ، فالمقبرة كانت مليئة بالتراب الناتج عن انهيار السقف .

وعند إزاحته وجدت جثة اللص الذى قبض بشدة على جثة ضحيته ، صاحب المقبرة ، والذى أخرجه اللص من تابوته ليتمكن من تجريده بسهولة مما يحمله .

ومن الواضح أن انهيار السقف قد حدث فى اللحظة التى أخرج فيها اللص ضحيته من التابوت وطرحها على غطائه ليتمكن من تجريدها ، وبذا دفن السارق والضحية معاً .

ولم يجرؤ بقية شركاء اللص علي إنقاذ زميلهم السىء الحظ أو علي محاولة الحصول على الحلى التى فقد حياته بسببها ، وبذلك تركت المقبرة المهدمة بنفائسها وبدليلها البشع الذى يثبت محاولة سرقتها ليكشف عنها من جديد بعد أربعة آلاف سنة تقريباً .

هذا وقد كشف عن ثلاث مقابر على جانب كبير من الأهمية فى جرزة عام ١٩١٢ . وقد وجد بإثنتين منها تابوتان مزخرفان ، أما المقبرة الثالثة فلها مزار ملون بألوان زاهية .

ميـــــدوم

والرقةهى أقرب محطة سكة حديد لزيارة ميدوم ، التى يمكن الوصول إليها أيضاً من الواسطي حيث تلتقي خطوط سكك حديد الفيوم .

= خوفو وجبانات الجيزة كثير من الحلى يرجع تاريخها للدولة القديمة – وهى عبارة عن أساور وعقود وأطواق تتألق بالذهب ومرصعة بالعاج والفيروز واللازورد وكانت الدولة الوسطى هى عصر الحلى كما يمكن أن يرى من كنوز أميرات دهشور واللاهون (خرز مجوف من الذهب وأكاليل دقيقة الصنع وأحزمة من الخرز تشبه الأصداف وخواتم وحلى للصدور وتشمل كذلك أنواعاً من الحلى الخاصة ببعض الأميرات من مدينة اللشت وتوت عنخ أمون وحلى السيرابيوم والمقابر الملكية فى تانيس تدل على درجة عالية من المهارة الفنية – كذلك مناظر حوانيت الصياغ المصورة على جدران المقابر وعمليات صهر المعادن وسبكها وطرقها وتشكيلها وعمليات الزخرفة والتمشيط والحفر والتذهيب بالضغط والزخرفة بالنقش البارز والصقل والتلوين وكل هذه الكنوز تعتبر بقايا قليلة أفلتت من جشع الإنسان طوال آلاف السنين فقد نهب أهل طيبة المقابر الملكية والأهرامات والمعابد وأغلب الجبانات (المراجع) .



(شكل رقم ٨)
(تمثال الملك سنوسرت الأول - الأسرة الثانية عشرة)
(المتحف المصري)

وهرم ميدوم قد بناه سنفرو والد خوفو ، باني الهـــرم الأكبر ، وهو يثير الاهتمـام كأول هـــرم كامل ، ولو أنه قليل الشبه بالشكل الهرمي كما هو في عرفنا الحـالي ، وقد بدأ على شكل مصطبة بسيطة ذات قاعدة مربعـة مدخلها إلى الشمال .

وينحدر ممر الدخول لمسافة قصيرة ، ثم يسير قليلاً فى اتجاه أفقى ثم يتحول إلى بئر عمودى يصل إلى حجرة الدفن ، وهذه الحجرة نصفها فى باطن الأرض والنصف الآخر فوقها داخل كتلة المصطبة نفسها .

ثم تتابعت الإضافات حتي بلغت سبعاً ، وبذلك اتخذ البناء شكل برج كبير مدرج ، وبعد ذلك غطى البناء من أعلاه إلى أسفله بكساء من الحجر الجيرى الأبيض ليكتمل له الشكل الهرمى الكامل (١) .

وقد زال الكساء منذ زمن بعيد ولم يتبق من المصاطب السبع غير ثلاث مجموع ارتفاعها الحالى حوالى ١١٥ قدماً . وقد عثر بترى عند دخوله الهرم عام ١٨٩١ على أجزاء من تابوت خشبى كان يظن أنه يخص سنفرو .

وتدل المخربشات (الجرافيتى) التى ترجع إلى عصور مختلفة تمتد من الدولة القديمة حتى الأسرة الثامنة عشرة ، على أنه لم يكن هناك شك فى العصور القديمة فى نسبة هذه المقبرة إلى ذلك الملك ، ولكن الاعتقاد فى أن هرم ميدوم كان مقر دفن سنفرو لم يعد حالياً مؤكداً كما كان يظن (٢) .

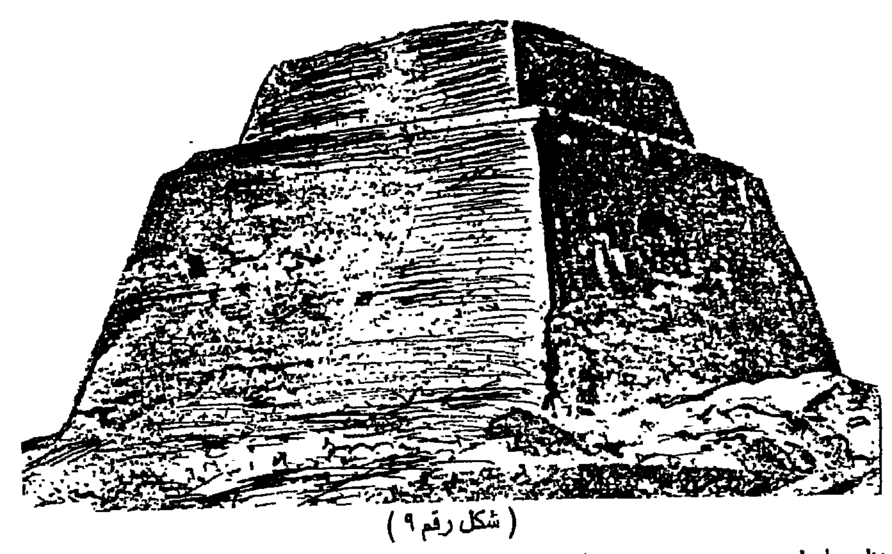
وقد قامت بعثة متحف جامعة بنسلفانيا بإشراف مستر « الن رو » بفتح الهرم للمـرة الثانية فى ١٩٢٩ – ١٩٣٠ ونظفت الممـر المؤدى إلى حجرة الدفن ، وكذا الحجرات الأمامية وحجرة الدفن نفسها ، ولم يعثر على أى تابوت فى حجرة الدفن ذات السقف المقبى الذى يستقر أعلاه دعامة من الخشب .

غير أنه وجدت أسماء بعض الفرق التى كان ينضوى تحت لوائها العمال العاملون بالهرم . وقد سبق أن عثر بتري على بلطة من النحاس عليها اسم إحدى فرق الصناع وهو « كم هو محبوب تاج سنفرو الأبيض » .

---

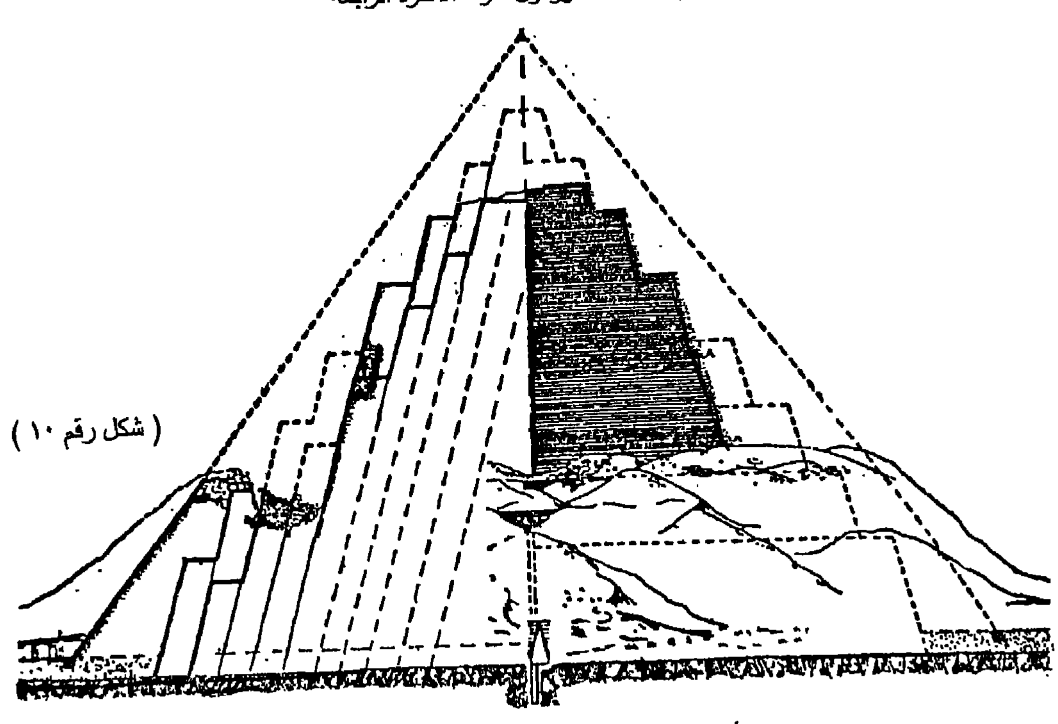
(١) هذا الهرم يعد بمثابة المرحلة النهائية فى تطور الهرم المدرج ، وفى نفس الوقت حلقة الاتصال الأخيرة بين الهرم المدرج والهرم الكامل ، والبناء الآن شبيه بالبرج الذى ينهض وسط تل عال من الرمال وكأنه قلعة حصينة ، وهو من أكثر الآثار المصرية تأثيراً فى النفس .

(٢) يعتقد الكثيرون الآن أن صاحب هذا الهرم هو « حونى » آخر فراعنة الأسرة الثالثة ، وقد يكون « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة هو الذى أتمه .



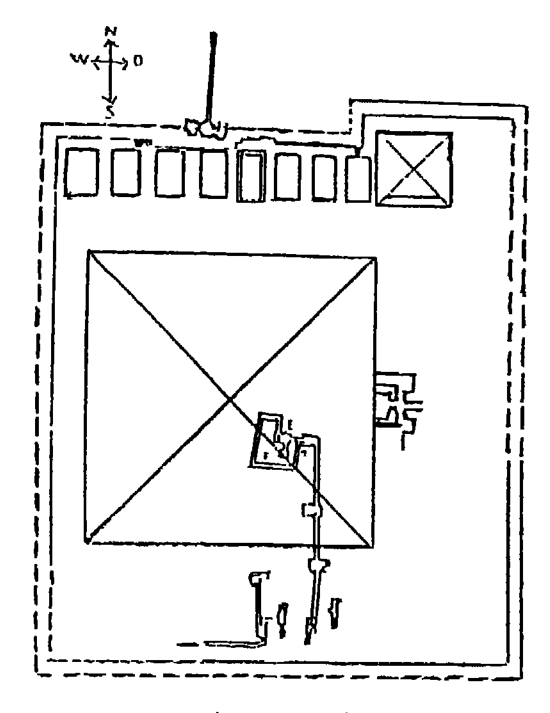
(شكل رقم ٩)

منظر عام لهرم ميدوم جنوبى صقارة بنحو ٥٠ ك .م وإلى الجنوب من دهشور وذلك الهرم يعتقد أنه من أعمال سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة

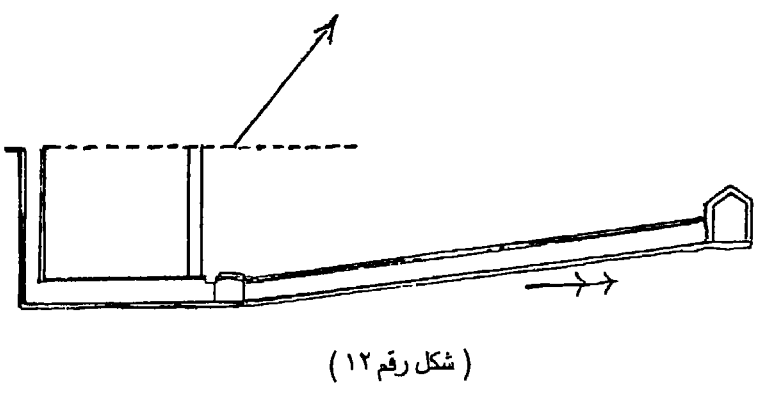


(شكل رقم ١٠)

هرم ميدوم من الداخل – وأول شكل تحقق إثباته هو أن البناء العلوى عبارة عن هرم ذو سبع درجات ثم زاد الارتفاع المبنى وأكمل البناء الذى يشبه البرج



(شكل رقم ١١)
(المجموعة الهرمية للملك سنوسرت الثاني)
في اللاهون



(شكل رقم ١٢)
(قطاع فى مدخل ممر داخل هرم سنوسرت الثانى فى اللاهون)



(شكل رقم ١٣)

(رأس الملك « سنوسرت الثالث « بمتحف القاهرة)



(شكل رقم ١٤)

منظر آخر لرأس تمثال من الكوارتزيت

البنى للملك

« سنوسرت الثالث «

(متحف القاهرة)



(شكل رقم ١٥)

نموذج آخر لتمثال الملك

« سنوسرت الثالث « من الجرانيت الرمادى

عثر عليه بمنطقة المدامود

(متحف القاهرة)

وقد أمدنا الكشف الجديد بأسماء خمس فرق أخرى - « فرقة الهرم » و« فرقة الشمال » و« الفرقة الصامدة » و« الفرقة القوية » و« فرقة الصولجان » .

وقد أسفرت أعمال بتري التى قام بها عام ١٨٩١ فى هذا الموقع عن كشف على جانب كبير من الأهمية ، ونعنى به المعبد الجنائزى للهرم ، وهو أقدم المعابد التى كشفت حتى ذلك الوقت .

ولكن سرعان ما فقد هذا المعبد مكانته المرموقة بعد التوفيق الذى أحرزه « فيرث » فى منطقة الهرم المدرج بسقارة .

ولقد كان معبد « سنفرو » بسيطاً للغاية فهو يضم فناء يحيط به سور من الحجر الجيرى ، بالإضافة إلى لوحتين مرتفعتين خاليتين من النقش وهيكل صغير .

ومن الممكن أن يكون هذا الطراز من العمارة قد اقتبس من الحظائر العادية بمضاعفة حجمها الأصلى وبإضافة لوحتين مرتفعتين .

وأياً كان طرازه ، فقد نقش الزائرون من شتى الأجناس والعصور توقيعاتهم عليه خلال قرون عديدة . وهذه الكتابة غير المعنى بها - والتى أطلقنا عليها كلمة جرافيتى تجاوزاً - أصبحت لها بمرور الزمن قيمة لم تكن متوقعة .

وإن كان هذا لا يبرر عدوانهم على هذا الأثر . وللمعبد طريقه العادى الذى يمتد فى انحدار نحو الوادى .

وقد قام بترى فى عام ١٩١٢ بأبحاث للكشف عن معبد الوادى ، غير أن أبحاثه لم تثمر لعدم وجود أى أثر له .

ولكن العثور على مجموعتين من الودائع المختلفة دل على أن معبداً كان قائماً يوماً ما فى هذا المكان (بتري : ميدوم وممفيس ، ص ٨) [١] .

وتقع حول مقبرة سنفرو مصاطب أمرائه وحاشيته ، وهى الآن مغطاة بالرمال ، وأشهر هذه المصاطب مصطبة رع حتب ونفرت التى كشف بها عام ١٨٧١ التمثالان الشهيران للأمير والأميرة ولا يزالان منذ كشفهما من أهم كنوز المتحف المصرى (رقم ٢٢٣ حجرة ٣٢ بالطبقة السفلى في الوسط) .

---

(١) (Petric, Meydum and Memphis, P. 8).

وفى عام ١٩١٠ عثر بترى على مصطبتين كبيرتين لنفر ماعت وأمير غير معروف من الأسرة الثالثة ، وقد تبين أن مصطبةهذا الأمير المجهول « تفوق بكثير أى مصطبة بنيت فى مصر » ، كما تبين أنها تضم تابوتاً من الجرانيت الأحمر ، يعتقد أنه أقدم ما عرف من التوابيت المصنوعة من هذا الحجر .

فهو أقدم بنحو خمسين عاماً من تابوت خوفو بالهرم الأكبر .

وقد أجريت على صاحب المصطبة بعد موته تلك الطقوس الخاصة بتقطيع أعضاء الجسم ، فقد جردت عظامه أولاً من اللحم الذى يكسوها ثم لف كل جزء منها على حدة فى لفائف من الكتان ، ووضعت فى التابوت .

وقد أيدت البعثة الأمريكية فى ١٩٢٩ - ١٩٣٠ رأى بترى فى نوع البناء ، وأضافت إلي ذلك أن المصطبة كانت مبنية من عدة مصاطب مدرجة ، وبذا كان شكلها قريب الشبه من الشكل الحالى المدرج لهرم ميدوم [١] ، بل أقرب شبهاً إلى هرم سقارة المدرج .

وهى كذلك ذات شبه كبير بمصطبة « سانخت » الكبيرة ببيت خلاف .

وقد استعملت المصطبة فى العصور المتأخرة مدفناً لكثير من الدفنات الدخيلة ، ومن بين هذه الدفنات واحدة تلفت الانتباه إذ أنها لشخص يبدو أنه من قبرص ويدعى « جمش » أو « كاجمش » .

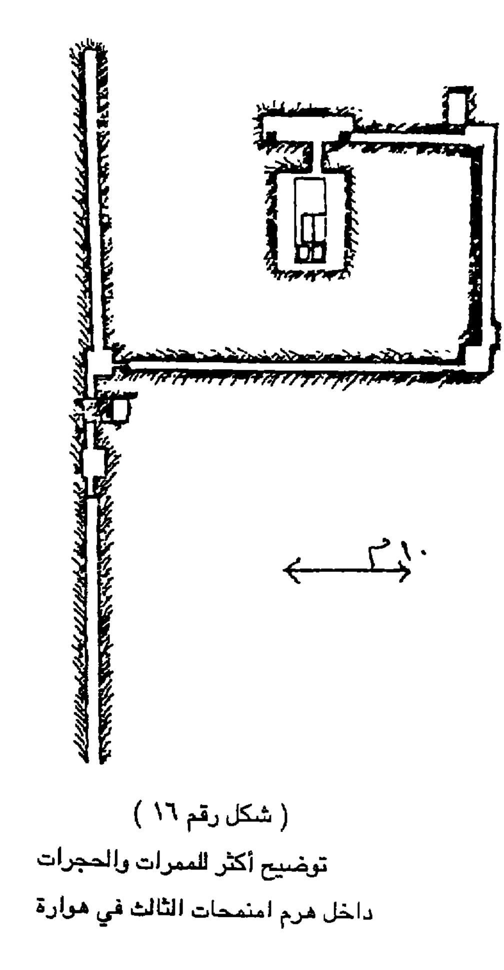
وعندما فتح بترى مقبرة نفرماعت ، لم يكن هناك أى أمل فى العثور على التراث الجنائزى لأمير عظيم من أمراء الأسرة الثالثة ، رغم أن هذه المقبرة فتحت لأول مرة منذ أن دفن فيها صاحبها منذ ٥٠٠٠ سنة تقريباً .

ويظهر أن العمال الذين قاموا بعملية الدفن هم أنفسهم الذين نهبوا المقبرة نهباً كاملاً ، ويغلب على الظن أن النهب قد تم قبل أن يصل أهل الميت إلى دارهم بعد تشييع الجنازة (ونرايت - ميدوم وممفيس ، ص ١٨) [٢] .

---

(١) سنفرو : هو أول ملوك الأسرة الرابعة حوالي سنة ٢٧٠٠ ق.م وله هرمان في دهشور ، كما أتم الهرم المدرج في ميدوم الذى دفن فيه حونى آخر ملوك الأسرة الثالثة ، وبذلك يدل على أن سنفرو كان بالغ القوة حيث انتصر فى غارات على ليبيا والنوبة . (المراجع) .

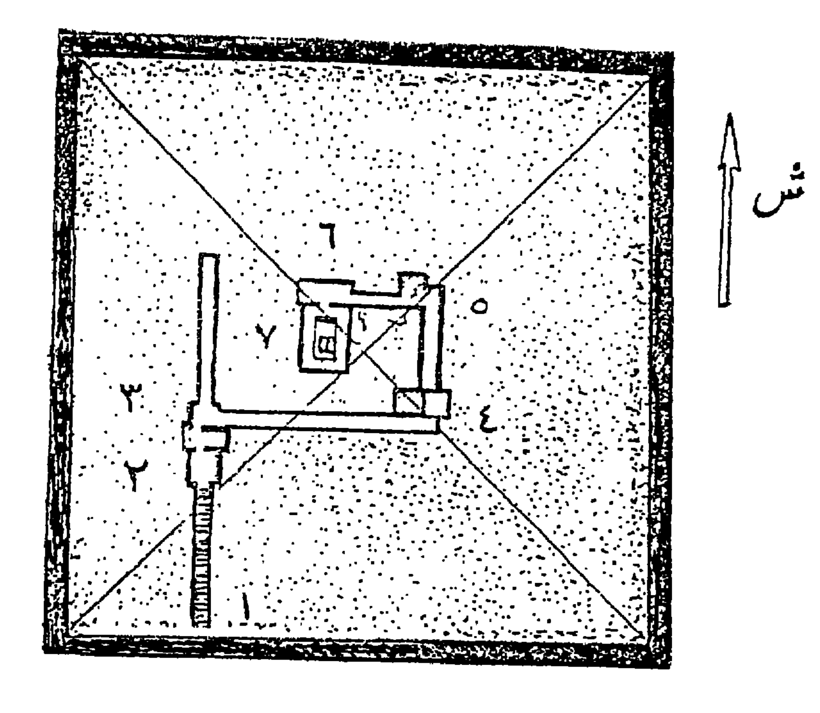
(٢) (Wainwright, in Meydum and Memphis, P. 18).



(شكل رقم ١٦)

توضيح أكثر للممرات والحجرات

داخل هرم امنمحات الثالث في هوارة



(شكل رقم ١٧)

رسم تخطيطى يبين الممرات والحجرات الداخلية لهرم

« امنمحات الثالث » بهوارة

اللاهـــون

ثم نقترب من الممر الضيق الذى يوصلنا إلى الفيوم عبر التلال الليبية . وعندئذ تقع أنظارنا على موقعين من أهم المواقع فى هذه المنطقة رغم وجود مناطق أخرى عدة حولها لها أهميتها الأثرية .

وأحد هذين الموقعين هو اللاهون وبه هرم سنوسرت الثانى ، ومن دواعى أهميته مجموعة الحلى التى عثر عليها عام ١٩١٤ .

(وقد عثر على مجموعة أخرى من الحلى فى ١٩٢٠ – ١٩٢١) فى مدينة العمال الذين شادوا الهرم .

أما الموقع الأخير فهو هوارة ، حيث يوجد هرم هوارة ومخلفات قصر اللابرنت المشهور وحيث عثر على صور الموميات .

وزيارة هذين الموقعين تتوقف على الطريق الذى تدخل منه : أهو من مدينة الفيوم أم من وادى النيل ؟ ، وسنبدأ أولاً بزيارة اللاهون لأنها أكثر تطرفاً من هوارة .

وهرم سنوسرت الثانى هو أهم أثر فى هذه المنطقة ، وقد اختير موقعه بحيث يطل على كل من وادى النيل ومدخل الفيوم .

ويتميز هذا البناء بأن نواته كلها عبارة عن كتلة من الصخر الطبيعى ارتفاعها حوالى ٤٠ قدماً .

وقد أشار بترى منذ أربعين عاماً فى كتـــابه (اللاهون ، كاهون وغراب ، ص ١) (١) إلى الخطأ الذى وقع فيه ، بيدكر ، عندما ذكر أن هرم هوارة هو الذى يحوى هذه النواة الصخرية .

وقد فصلت هذه الصخرة عن التل الذى تكون جزءاً منه بشق عميق ومتسع فى الجهتين الشمالية والغربية .

وأقيمت فوق تلك الكتلة المنفصلة شبكة من الجدران الحجرية ليعتمد عليها الكساء الخارجى ولتحول دون زحزحته عند إقامة مبانى اللبن التى تكون منها كتلة البناء .

---

(١) (Petrie, Illahun, Kahun, and Gurab, P. 1).

وبعد ذلك ملىء الفراغ الواقع بين هذه الجدران بمبانى من اللبن ، وبذا أصبح الهرم المقام فوق النواة الصخرية مبنياً باللبن ثم كسى الجميع بغطاء من الحجر الجيرى ، كما هو الحال فى الأهرامات الأخري (١) .

وقد هجر سنوسرت فكرة تخطيط المدخل من الناحية الشمالية ، وابتكر تخطيطاً جديداً يخفي طريق الوصول إلي حجرة الدفن . وذلك بحفر بئرين عموديتين توصلان إلى الحجرة ، وكلتاهما خارج المبنى الرئيسى للهرم على الجانب الجنوبى منه .

ويظهر أن أصغر البئرين وأقلهما أهمية – التى كانت تحت الأرضية التى تحيط بالهرم – كانت تستخدم لمرور العمال فى أثناء عملهم بالهرم .

أما البئر الرئيسية وهى الأكبر والأكثر بعداً فقد أخفيت تحت أرضية إحدى مقابر الأميرات .

وقد كان أول احتياط اتخذ فى حالة معرفة إحدى البئرين أو كلتيهما هو حفر بئر عميقة أخرى تصل إلى ٢٢ قدماً كانت تتجمع فيها مياه الأمطار التى قد تصل إلى البئرين السابقتين أو إلى الممرات .

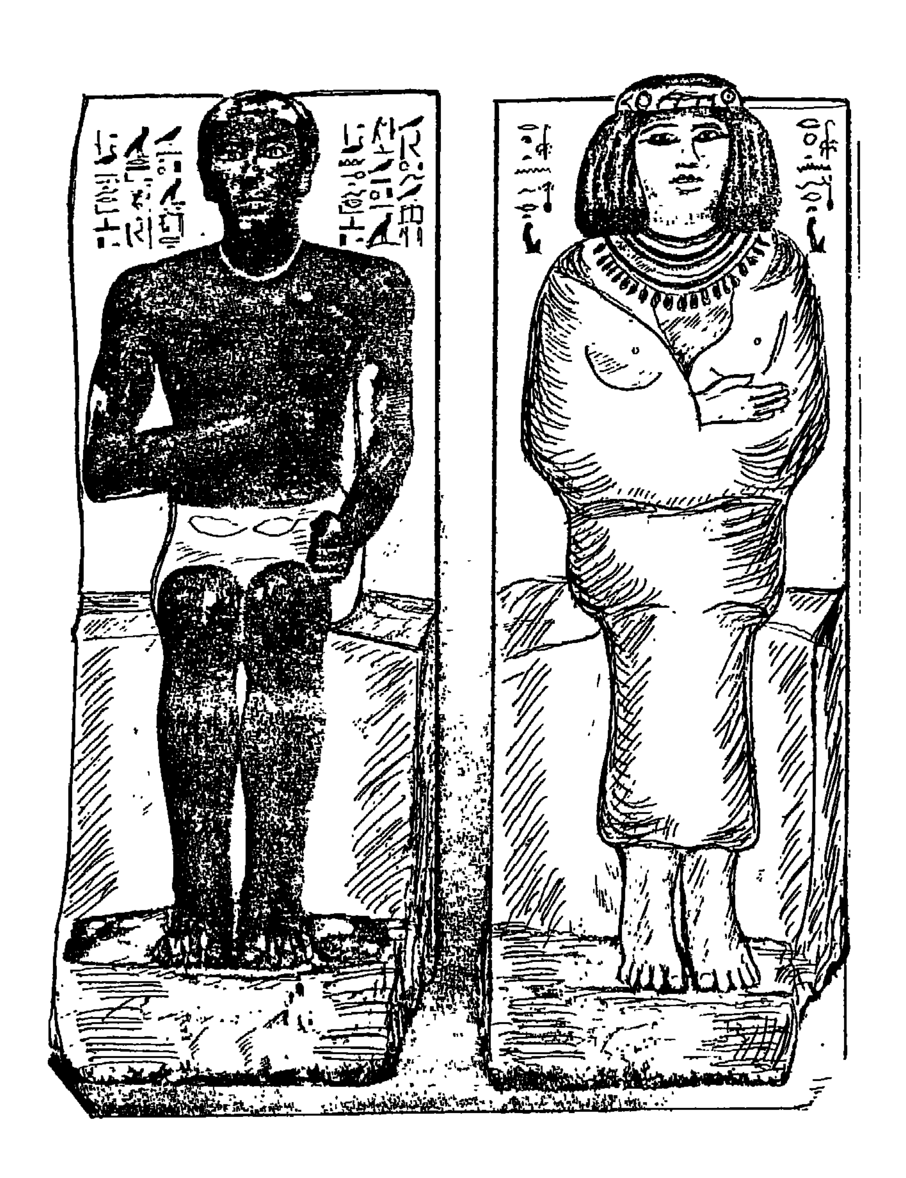
ولم تكن هذه البئر عقبة إذ إنها حفرت بعيداً عن اتجاه الممر ، ومن هذا الموقع يسير الممر إلى أعلى حتى يصل إلى حجرة فسيحة مبطنة بالحجر الجيرى تفضى عن طريق ممر قصير إلى حجرة أخرى مبطنة بالجرانيت الأحمر حيث يوجد التابوت .

وكان يحيط بحجرة التابوت كلها تقريباً ممر غير عادى لم يعرف بالضبط الغرض منه ، ومن ذلك يبدو أن سنوسرت قد تخلى نهائياً عن فكرة الحماية القديمة بواسطة سدادات من الحجر مكتفياً بإخفاء البئرين .

وتابوت الملك قطعة رائعة من الفن ، وهو مصنوع من الجرانيت الأحمر وقد بلغ من دقته أن الخطأ فى تسطيحه واستقامته لا يعدو الواحد من ألف من البوصة ،

---

(١) تتميز أهرامات الدولة الوسطى بطابع خاص ، إذ بنيت من اللبن وكسيت من الخارج بالحجر الجيرى ، كما كانت صغيرة الحجم ، حرص البناء على الإكثار من غرفها وممراتها الداخلية ، وعلى إخفاء معالم مداخلها ، لتضليل اللصوص .



(شكل رقم ١٨)

تمثالان من الحجر الجيرى الملون للأمير « رع حتب » وزوجته الأميرة « نفرت » عثر عليهما فى ميدوم عام ٢٦٣٠ ق.م (المتحف المصرى)

وشكله غير عادى إذ أن حافة جوانبه عريضة وسميكة مما يدعو إلى الظن أنه كان معداً لإنزاله من أرضية الحجرة ، ولو أن هذه العملية لم تتم لأنها كانت تقتضى إجراء تعديلات فى بناء الحجرة .

ولقد كانت زيارة بترى للاهون عام ١٨٨٩ - ٩٠ سبباً فى معرفة الحقائق الرئيسية عن الهرم ، وفى عام ١٩١٤ قام بزيارة اللاهون للمرة الثانية بصحبة « جاى برنتون » وآخرين .

وفي هذه المرة عثر على كنز الحلى الشهير الذى سنتحدث عنه الآن ، وفى عام ١٩٢٠ قام بزيارة ثالثة أتم فيها تنظيف ممرات الهرم والمجموعة الهرمية تنظيفاً كاملاً .

وفى أثناء تنظيف حجرة القربان التى تقع إلى الجنوب من حجرة الدفن عثر على النموذج الوحيد للحية المقدسة التى كانت تثبت على التاج المزدوج ، وهى من الذهب والرأس من اللازورد والعينان من العقيق الأحمر ، وغطاء الرأس مطعم بالعقيق والفيروز واللازورد .

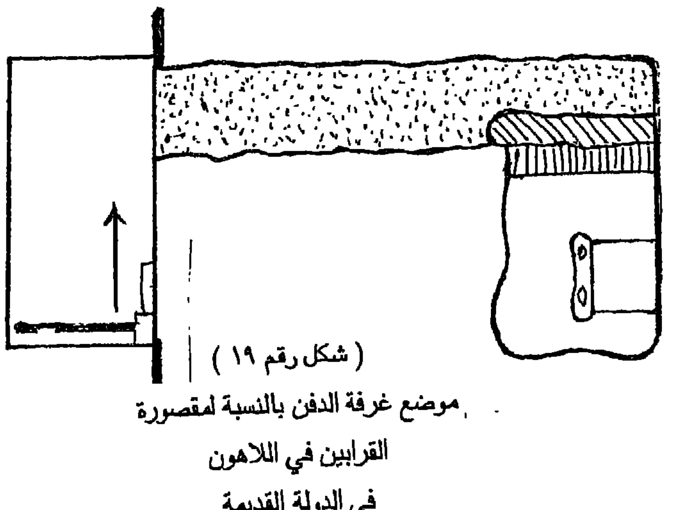
وتوجد فى ذيل الحية من الخلف عروتان غائرتان من الذهب لتثبيتهما إلى التاج ، إما باستعمال الخيط وإما بالسلك ، وهذا يدعو إلى الإعتقاد بأن التاج نفسه كان يصنع من مادة لينة كالجلد أو الكتان ويظن « نيوبرى » أنه كان يصنع من اللباد .

ويقع المعبد الجنائزى العادى شرقى الهرم ولكن لم يبق منه الآن إلا ما يدل على موضعه ، وقد كان فى الأصل مزيناً بالنقوش والرسوم ، ولكن أصابه ما أصاب جميع المبانى القديمة التى تقع فى الأماكن التى بنى فيها « رمسيس الثانى » معابده .

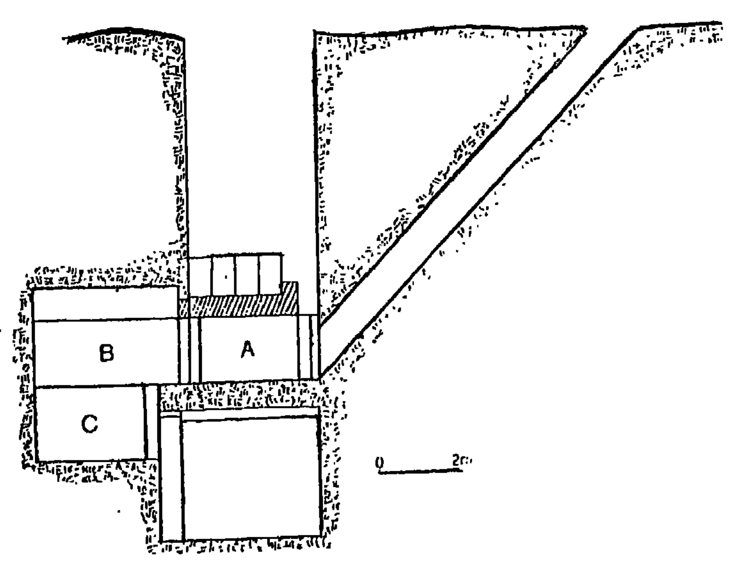
فقد خربه بناءوه تخريباً كاملاً ونقلوا أحجاره إلى إهناسيا حيث لا تزال إحدى الكتل الحجرية التى أعيد استعمالها تحمل اسم « سنوسرت الثانى » .

وعلى الجانب الشمالى من سور الهرم وبداخل ذلك السور يقع هرم صغير لا شك أنه كان خاصاً بزوجة سنوسرت ، وكذا ثمانى مصاطب لأميرات .

وإلى الجنوب تقع أربع مقابر لأفراد من الأسرة المالكة أيضاً ، وفى واحدة منها ونعنى بها مقبرة الأميرة « سات - حاتحور - أيونت » وجد الكنز الرائع الذى سبق



(شكل رقم ١٩)
موضع غرفة الدفن بالنسبة لمقصورة
القرابين في اللاهون
في الدولة القديمة



(شكل رقم ٢٠)
قطاع في مقبرة « انبي » في اللاهون من الأسرة الثانية عشرة وقد زودت هذه المقبرة بوسائل أمن فريدة فقد شقت بئر عميقة عند المدخل لتمنع اللصوص من اقتحامها وفي الجزء السفلي من المقبرة يوجد حجرتين ومنهما يدخل إلي الحجرة الثالثة التي تبدو كأنها حجرة دفن وبها فجوة من الجانب الشرقي لحفظ الأحشاء ، لكن حجرة الدفن الحقيقية تقع خلف جدار حجري في نهاية هذه الحجرة الشمالية



(شكل رقم ٢٢)

منظر آخر لنفس تمثال الملك ، أمنمحات الثالث ،
من الحجر الجيري عثر عليه بمنطقة هوارة وهو موجود الآن
(بمتحف لقاهرة)



(شكل رقم ٢١)

تمثال الملك ، أمنمحات الثالث ، من الحجر الجيري بمنطقة هوارة
(متحف لقاهرة)

وصف أهم قطعه (أرقام ٣٩٩٥ - ٣٩٩٩ بالحجرة رقم ٣ بالطبقة العليا - خزانة ٨ المتحف المصرى) .

ويذكر سير ، ولاس بدج ، فى دليل كوك : ، باستثناء القطع التى حفظت بالمتحف المصرى فإن المكتشف قد باع الكنز جميعه لمتحف المتروبوليتان بنيويورك حيث يوجد حالياً ،

ولكن هذه الواقعة غير دقيقة لأن المعهد البريطاني للآثار هو الذى أهدي أولاً هذا الكنز للمتحف البريطانى .

وقد سبق أن أشرنا إلي الخطأ المتداول عن إغفال أسماء الفنانين المصريين ، وقد أصيبت هذه الفكرة التي لا أساس لها من الصحة بضربة أخري في اللاهون ، حيث كشف عن مقبرة ، أنبي ، مهندس سنوسرت .

وهذه المقبرة في حالة سيئة ، وهي عبارة عن مصطبة كبيرة تقع علي قمة تل صغير ، ولا تبعد أكثر من نصف ميل غربي الهرم الملكي .

وفي موقع يتيح ، لأنبي ، أن يشرف علي أعماله دون الحاجة إلي الذهاب إلي أبعد من مقصورته الجنائزية (وقد اتبع مثل هذا النظام عند إقامة مقبرة ، سنموت ، مهندس حتشبسوت في الدير البحري) .

وتضم هذه المصطبة أربع حجرات سفلية ، أما المقصورة فجزء منها مبني والجزء الآخر منحوت في جانب التل وجدرانها مغطاة بقطع من الحجر الجيري الناعم المزين بالرسوم الملونة والمنحوتة ولكنها جميعاً مهشمة .

ومن المظاهر الغريبة فى تلك المقبرة وجود بئر كبيرة ٩ × ٢٤ قدماً بعمق ٢٦ قدماً تعترض الوصول إلى المقصورة ، ويظهر أنها حفرت لتمنع العامة من الإقتراب من المقبرة .

أما أفراد الأسرة فيمكنهم استخدام معبر خفيف يعبرون عليه للوصول إليها ، ومن النقوش التي أمكن استخلاصها من أنقاض المقبـــرة نقش يصف ، أنبي ، نفسه بأنه ، المشرف على جميع أعمال الملك فى البلاد كلها ، .

وعلى الأرض المرتفعة الواقعة شمال الهرم يقع معبد أو مقصورة لا يعلم الغرض منها ، ولم يبق من هذا المبنى غير قطع صغيرة وبعض شظايا تدل على الأمكنة التى عمل بها المخربون .

وقد كان هذا المعبد يضم فى الأصل تمثالاً من البازلت وآخر صغيراً من الجرانيت الأسود ومحراباً من الجرانيت الأحمر ، وقد تخلف عنها جميعاً بعض الشظايا .

وإلي الشمال من هذا المعبد تقع مدينة العمال الذين أقاموا هرم ، سنوسرت ، وهذه المدينة – التى كشف عنها بترى عام ١٨٨٩ – ١٨٩٠ – أمدتنا بتخطيط كامل لمدينة من عصر الأسرة الثانية عشرة سكنت لمدة قصيرة ثم هجرت بعد إتمام الهرم (١) .

وهذه المدينة التى كانت تسمى ، حتب سنوسرت ، تغطى مسطحاً قدره ١٨ فداناً وقد كشف بها عن أكثر من ألفى حجرة ، وتتميز منازل المشرفين والموظفين بإتساعها وأهميتها .

أما منازل العمال فكانت متقاربة فى صفوف تفصلها أزقة ضيقة ، يتوسط كل منها مجرى . وقد عثر فى بعض المنازل على أوراق من البردى ، من بينها الورقة التى تشيد بسنوسرت الثالث .

وهي إحدى النماذج البارزة للشعر فيالدولة الوسطي . وقد كانت ، حتب سنوسرت ، تعرف عند الأثريين في السنوات الأربعين الأخيرة باسم كاهون .

وعلي مسافة تقرب من ثلاثة أرباع الميل جنوب غرب الهرم ، وعلى مقربة من محطة باشكاتب تقع الجبانة القديمة المعروفة بنفس الاسم ، وقد كشفت عنها بعثة بتري أيضاً عام (١٩٢٠ – ٢١) .

ويرجع تاريخها إلي عصر الأسرات الثلاث الأولي ، وتحوي شتي النماذج من الحفرة غير العميقة التي نصل إليها بدرج إلي المقبرة التي نصل إليها أيضاً ببئر عميقة .

---

(١) من المحتمل أن كهنة الهرم وموظفيه قد سكنوها .

هــــــــــوارة

وإذا اتجهنا نحو الشمال الغربي نصل إلي محطة هوارة المقطع ، ومنها نصل إلي هرم هوارة بعد رحلة قصيرة عبر الأراضي الزراعية .

ويقع الهرم علي حافة الهضبة الصحراوية ويشرف علي الجانب الداخلي من مدخل الفيوم ، كما يشرف هرم اللاهون علي الجانب الخارجي منه .

وقد بني هرم هوارة من اللبن ، وكان في الأصل مكسواً بطبقة من الحجـــر الجيري زالت الآن . وكان طول كل جانب من جوانبه في الأصل حوالي ٣٤٥ قدماً .

ولا ترجع ميزة هذا الهرم إلي حجمه أو مواد بنائه ، وإنما ترجع إلي البراعة المتناهية في تخطيط ممراته وحجراته الداخلية بحيث يضلل أبرع اللصوص .

ويذكر سير « فلندر بترى » [1] وهو أول من دخل الهرم من المحدثين ، وكان

---

(١) فى عام ١٨٨٠ سافر سير فلندر بترى إلى مصر والتحق بصندوق تمويل الحفائر المصرية وذهب إلى الدلتا للبحث عن مواقع جديدة للحفر والتنقيب فى منطقة تانيس حيث كان هذا بداية العمل الذى كرس له حياته – وفى عام ١٩٢٦ صدرت قوانين الحفر فى مصر وأصبحت أعمال التنقيب متعذرة ونقل بترى أعماله إلى جنوب فلسطين على حدود مصر ثم اعتزل وظيفته وسافر للمعيشة فى فلسطين وتوفى فى القدس حيث دفن هناك – وكانت الحفائر فى أى مكان مجرد البحث عن الكنوز – وكان بترى يدرك أهمية القطع الصغيرة والمجموعات المتقاربة وكرس نفسه لدراسة هذا الموضوع الجديد وطرق التنقيب الحديثة وقد حفر فى الدلتا وفى دافنى كما أضاف معلومات جديدة عن الفترة المتأخرة فى مصر وأعطت اكتشافاته حقائق مؤكدة خصوصاً حفائر الفيوم ١٨٨٧ – ١٨٩٠ فى اللاهون كما اكتشف ألواح تل العمارنة المشهورة ١٨٩١ – ١٨٩٢ وكانت هذه الحفائر من سبب شهرته وأعظم اكتشافاته التى كان لها نتائج واسعة فى نقادة ١٩٠٤ – ١٩٠٥ حيث وجدت مجموعة كبيرة من المقابر للأسرات الأولى ينتمون إلى حضارتين مختلفتين وعلى الرغم من أن اللصوص لم يتركوا إلا القليل جداً من القطع الرائعة للملك جر إلا أن بترى استرجع من الفترات الصغيرة أسماء كل ملوك الأسرة الأولي ووضعها فى الثبت التاريخى الصحيح ، ومن ذلك يتضح أنه أمكن لـ بترى فى أقل من عشرين سنة أن يملأ الفراغات ويتتبع تاريخ مصر وحضارتها من عصور سحيقة حتى نهاية الحضارة فى العصر الرومانى . (المراجع) .

ذلك عام ١٨٨٨ : « أن بناء هذا الهرم يختلف عن بناء الأهرامات الأخري المعروفة ، ولكنه أقرب إلي هرم سنوسرت الثاني منه إلي أي هرم آخر » .

ونواة الهرم من اللبن الذي تكسوه طبقة من الحجر الجيري الناعم ، شأنه في ذلك شأن الأهرامات الأخري .

وتعتبر الممرات المؤدية إلي الحجرة الرئيسية معقدة بوجه خاص ، وقد خططت بشيء كثير من العناية لتمنع الناهبين من الوصول إليها . فلقد استحدث نظام جديد هنا يتضمن عمل حجرات لا مخارج لها وبها أبواب ضخمة سرية تنزلق في السقف لتؤدي إلي ممرات أخري .

ولكن المكتشف الذي عثر علي المدخل غير المألوف في الناحية القبلية استطاع أن ينحدر في سلم طويل ينتهي إلي حجرة لا مخرج لها ولكن سقف هذه الحجرة عندما نحي جانباً أظهر ممراً آخر مملوءاً بالكتل للتعمية ولتحويل الأنظار عن الممر الحقيقي الذي كان واضحاً كل الوضوح . علي أن أحد اللصوص حاول دون جدوي استحداث طريق وسط هذه الكتل .

وعندما ننحدر إلي الممر الحقيقي ننتهي إلي حجرة صماء ثم نجاوز باباً آخر من الأبواب المنزلقة ونصل إلي ممر آخر ينتهي بحجرة ثالثة صماء ثم نجتاز باباً ثالثاً لنصل إلي ممر يمر موازياً لأحد جوانب المدفن الأصلي .

وفي أرضية الممر حفرت بئران ووضعت أحجار في الناحية التي لا تؤدي إلي شيء سوي إجهاد الباحثين عن المدفن ، ولكن اللصوص استطاعوا بطريقة ما أن يستحدثوا فتحة عرضية في أرضية الممر الذي يؤدي إلي الحجرة .

وهناك قابلتهم مشكلة أخري إذ إن الحجرة ليس لها باب ، غير أنه يمكن الوصول إليها عن طريق كتلة ضخمةبالسقف تزن ٤٥ طناً كانت مرفوعة مؤقتاً .

ثم وضعت في مكانها بعد غلق الهرم – ولقد استحدث فيها فتحة وبذلك أمكن الوصول إلي المدفن (تاريخ مصر – الجزء الأول – صفحات ١٩٤ – ١٩٥) (١) .

---

(١) (Petrie, History of Egypt, Vol. I PP. 194-5)

وهذا الوصف يدل بوضوح علي الحيل البارعة التي ابتدعها مهندسو الملك [١] لتضليل اللصوص ، كما يدل علي الصبر العجيب لهؤلاء اللصوص الذين تغلبوا على هذه الحيل ، واقتحموا طريقهم إلي المقبرة .

وإنه لمن الصعب أن ندرك مدي الجرأة والمثابرة التي استعان بها هؤلاء الأوغاد عند تدنيس تلك المقدسات في الأزمنة الغابرة واقتراف جرائمهم في الظلام وبسرية تامة ، رغم قلة ما لديهم من الوسائل والأدوات .

ورغم فزعهم الشديد من أن يكشف أمرهم أو يفاجئهم الموت الذي كان انتظاره أقسي من وقوعه .

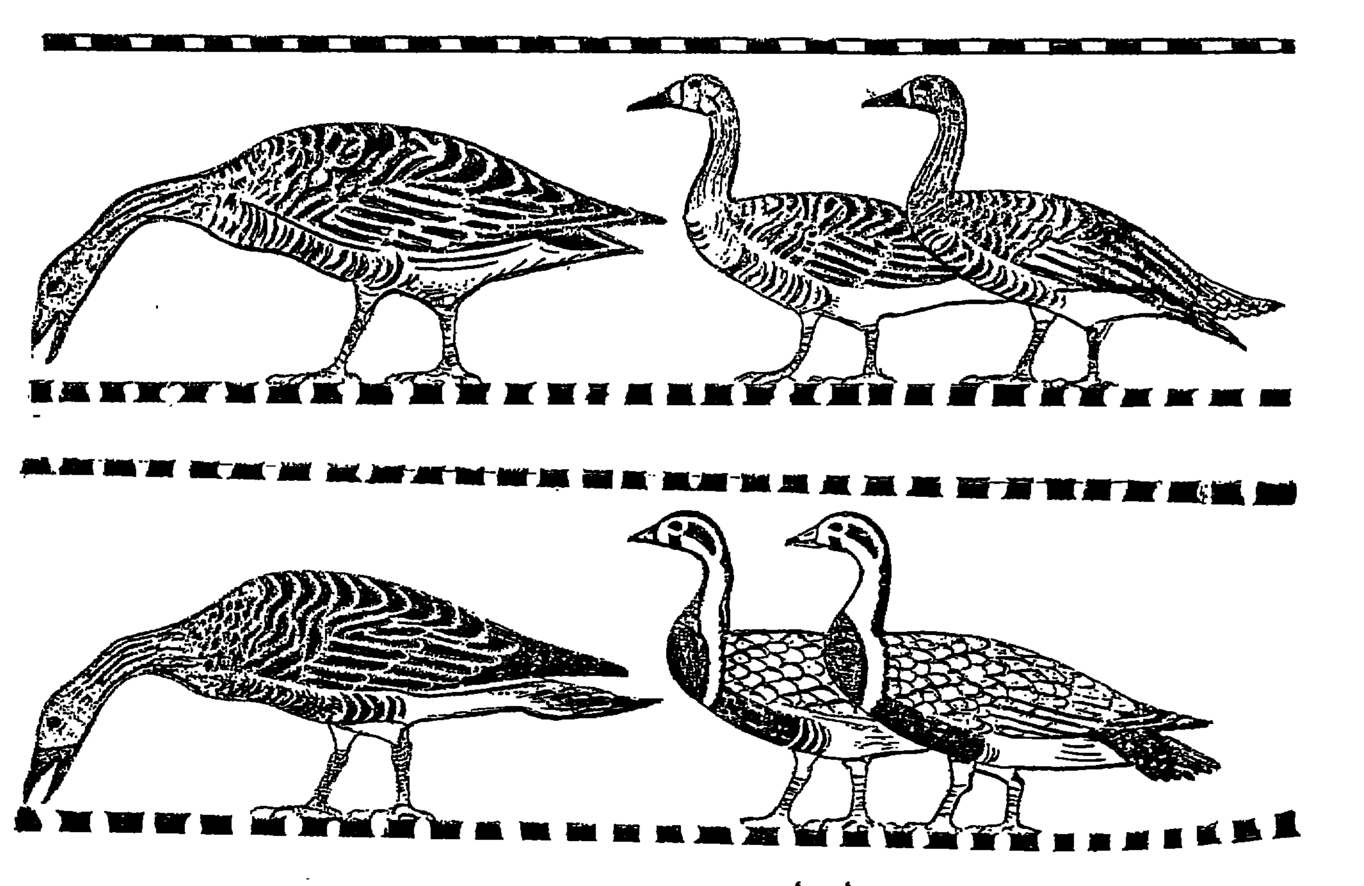
وإذا كان الإمعان في الجريمة ، وإذا كانت الجرأة البشعة يستحقان أجراً فإن هؤلاء اللصوص يكونون قد استحقوا كل درهم حصلوا عليه من عملهم الوحشي .

ولم يكونوا في نهبهم لهرم هوارة أقل نجاحاً منهم في كل المحاولات الأخري .

« فقد أحرقت الدفنات الملكيـة إحراقاً تاماً ولم يبق من التوابيت غير حبات من الديوريت المحترقة وبقايا قطع من اللازورد الذي كان يستعمل للتطعيم شاهدة علي فخامتها » .

---

(١) بنى امنمحات الثالث هرمه فى الفيوم لشدة تعلقه بهذا الاقليم الذى يرجع الكثير من إزدهاره إلى بعد نظره حيث يشرف على الفيوم ووادى النيل ولم يكن لهذا الهرم معبد أو واد أو طريق صاعد ولكن يقع بجانبه مبنى اللابرنت الشهير ولم يتبق من هذا الهرم الآن إلا جدار واحد فى مكانه حيث استخـدم سكان الفيوم ذلك المكان كمحجر يأخذون منه ما يلزمهم من الأحجار لبناء مساكنهم - وعندما زار هيرودوت هذا المكان فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد - كان هذا المبنى الفخم مازال قائماً حيث يقول عنه أنه عمل عظيم ، وكان ملاصقاً للابيرنت وكان ارتفاعه ٧٣ متراً وعليه رسوم كبيرة للحيوانات - وكان لهذا الهرم أهمية كبيرة حيث تظهر عبقرية المهندس الذى شيده وما لجأ إليه من حيل معمارية لتضليل اللصوص ويشبه هذا الهرم فى عمارته هـرم « سنوسرت الثانى » فى اللاهون فهو مشيد باللبن والمساحات التى بين الجدران الحجرية المتقاطعة مملوءة بالطوب وكسائه الخارجى من الحجر الجيرى الأبيض وحجراته الداخلية ودهاليزه فريدة فى نوعها غير الأبواب الوهمية والآبار لتضليل اللصوص ، ولكن رغم ذلك فقد وجد اللصوص المكان الحقيقى الذى يوصل إلى حجرة الدفن وإحداث ثقب فى الكتلة الكبيرة ووصلوا إلى حجرة الملك ونهبـوا منها كل شىء وحرقوا الباقى من أثاث جنائزى ومومياوات . (المراجع) .



(شكل رقم ٢٣)

مناظر تعبر عن رسم أوز مأخوذ من مقبرة بميدوم يرجع تاريخها إلي عصر الدولة القديمة ويلاحظ أن للرسم قسمان أعلي وأسفل وكانا أصلاً متصلين بعضهما ببعض وهو موجود الآن بمتحف القاهرة

وبذا ذهبت هباء كل احتياطيات أمنمحات الثالث ، ذلك الملك العاقل الخير الذي بنـي الهرم من أجله .

ولم تنجح الاحتياطيات ولا الاحترام الذي كان منتظراً لملك في مثل عظمته وطيبته في المحافظة علي جثمانه أو جثمان ابنتـــه الحبيبة الى دفنت إلي جواره [1] من عبث هؤلاء المجرمين الأشرار .

وإذا كان المنقبون لم يكافئوا بالعثور علي كنوز جنائزية فقد كوفئوا برؤة إحدي روائع الأعمال التي ابتدعها المهندسون المصريون .

ويصف بتري حجرة الدفن بأنها إحدي المعجزات الفنية في مصر فهي قد نحتت في كتلة واحدة صلبة من حجر الكوارتزيت الأصفر الشفاف شكلت وصقلت بعناية فائقة .

ويزيد طولها علي ٢٢ قدماً ، أما عرضها فيبلغ حوالي ثماني أقدام من الداخل ويزيد سمكها علي قدمين وتزن حوالي ١١٠ طناً .

ويتكون سقفها من ثلاث كتل من نفس المادة زنة إحداها – وهي التي كانت تستعمل مدخلاً – ٤٥ طناً وأخري أكبر وثالثة أصغر ، وقد أقيمت هذه الحجرة في حفرة منحوتة في الصخر يعلوها سقف منحدر من الحجر الجيري يعتمد علي دعامات سمكها سبع أقدام ، وفوق هذا بني قبو من اللبن أقيم عليه الهرم اللبني .

وهرم هوارة لا يبدو هرماً حقيقياً إذا قورن بالأهرامات الضخمة مثل الهرم الأكبر أو هرم سنفرو بدهشور ، ولكن يجب أن نقر بأن مهندس الدولة الوسطى لم يكن بأية حال أقل مهارة من أسلافه في الدولة القديمة .

---

(١) وجدت مائدة قرابين من الجرانيت الأشهب باسم الأميرة نفروبتاح ابنة الملك أمنمحات الثالث فى الهرم ولهذا كانت العقيدة ثابتة فى أنها دفنت مع والدها – إلا أن العثور على هرم بين هرم هوارة وهرم اللاهون عام ١٩٣٦ وما وجد فى هذا الهرم عام ١٩٥٦ من آثار وحلى للأميرة أثبت بالدليل القاطع على أنها دفنت فى هذا الهرم الأخير .

ولقد تكون قد دفنت فى مبدأ الأمر فى هرم أبيها حتى أعد لها هرم خاص دفنت فيه فيما بعد ، هذا وقد نقلت الأوانى الفضية ومائدة القرابين والحلى المختلفة والتابوت الذى وجد داخل هرم الأميرة إلى المتحف المصرى حيث تعرض الآن فى مدخله .

ولكن الفرق الوحيد هو أن مهارته كانت تتجه إلي ناحيـة أخري قد تكون أكثر براعـة .

وقد وجد تابوت أمنمحـات الثالث في الحجـرة وبجانبه مثوي آخر ثبت أنه لإبنتـه « نفروبتاح » التي لابد أن تكون قد توفيت في حياة والدها ، وقد وجد اسمها منقوشاً علي مائدة للقربان .

وإلي الجنوب من الهرم يقع المعبد الجنائزي لأمنمحات أي المعبد الذي كان يكرس أحياناً لإقامة الطقوس الدينية أما الأغراض الأخري التي كان يستخدم لها فهي لا تزال مجهولة .

وكان هذا المعبد ضخماً يغطي مساحة ١٠٠٠ × ٨٠٠ قدم ، أي ما يسع معابد الكرنك والأقصر مجتمعة .

وقـد تعاون الزمن والنهب الذي تعـرض له من جـارته المعـادية مـدينـة هيراكليوبوليس (إهناسيا المدينة) .

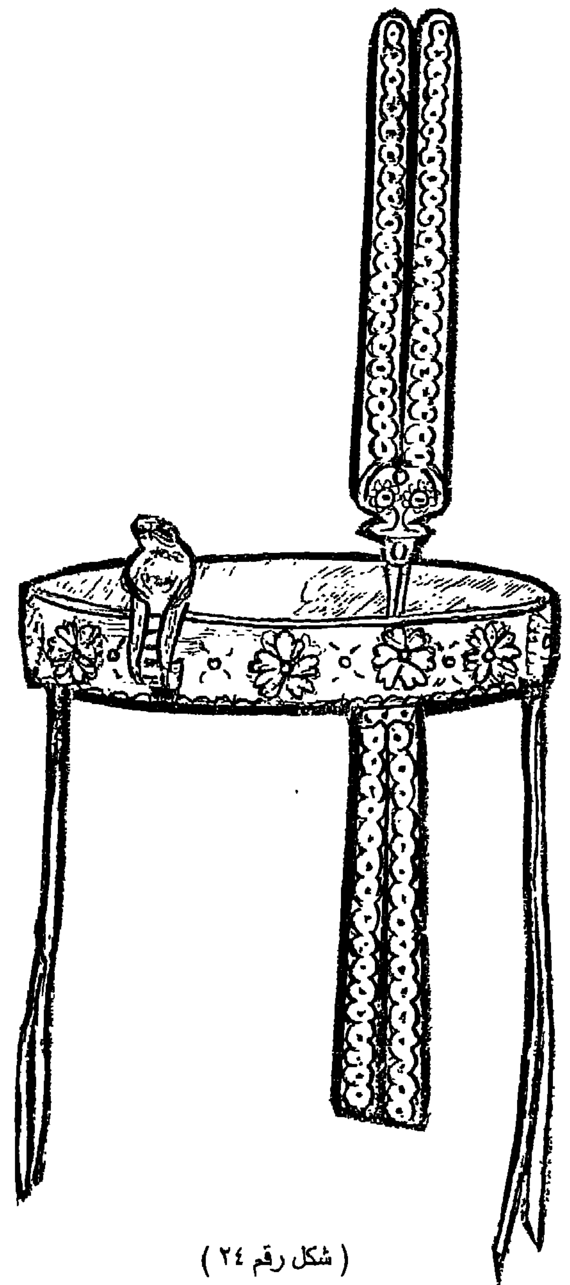
وكذا أعمال التخريب الأخري علي تدميره تدميراً تاماً [١] بحيث لم يبق من كل أمجاده غير الأرضيات المرصوفة التي وضعت فوقها الأساسات ، وغير أكوام كبيرة من الشظايا التي تخلفت عن تخريبه .

ورغم أنه لم يبق شيء تقريباً من هذا المعبد الذي يعرف باللابرنت [٢] فإنه

---

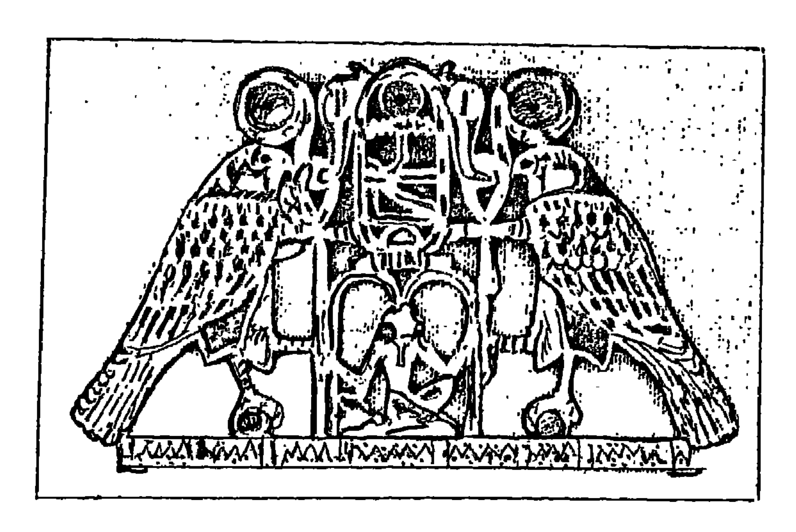
(١) استخدمه سكان الإقليم منذ العهد الرومانى يأخذون منه ما يلزمهم للبناء .

(٢) يقع هرم هوارة الذى شيده امنمحات الثالث من ملوك الأسرة الثانية عشرة بالقرب من بلدة هوارة المقطع على بعد إثنى عشر كيلومتراً إلى الجنوب الشرقى من الفيوم وتنتشر بقايا من الأحجار إلى الجنوب من هذا الهرم في مساحة شاسعة ، يمكن أن تسع معابد الكرنك والأقصر معاً ، ويعتقد أنها بقايا معبد ذلك الهرم الذى ذكره هيرودوت وغيره باسم اللابيرانت ، ويعد ضياع هذا الأثر خسارة كبرى فى تراث العمارة الفرعونية لا تعوض إذ أجمع الكتاب الإغريق والرومان الذين رأوه ، على أنه كان منقطع النظير ويفوق المعابد المصرية القديمة من حيث مساحته ونقوشه وتماثيله وتعدد غرفه ولم يبق من هذا البناء إلا أحجاراً متناثرة ، إذ استخدمه سكان الفيوم وبخاصة فى العصر الرومانى ، محجراً يأخذون منه ما يلزمهم للبناء وقد أسماه هيرودوت اللابيرانت المصرى أو قصر التيه لأن من يدخله لا يعرف طريقه للخروج منه لكثرة الغرف والردهات (المراجع) .



(شكل رقم ٢٤)

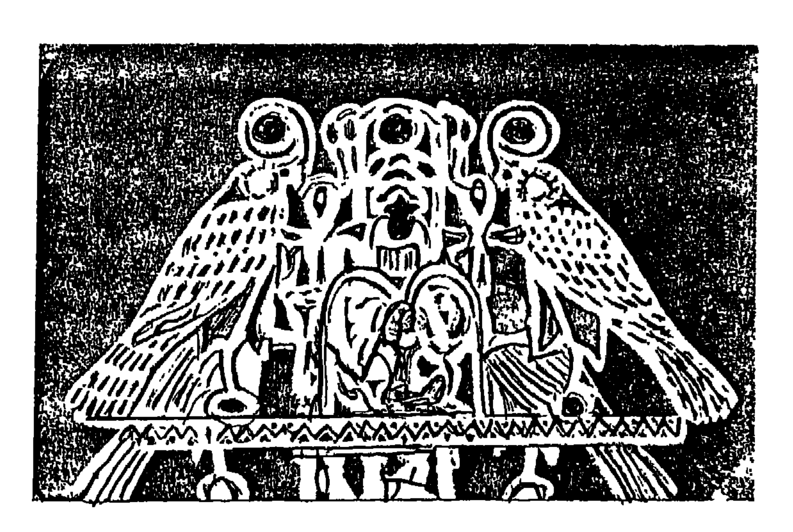
تاج الأميرة ، ست حتحور بونيت ، ابنة الملك (سنوسرت الثاني) من الذهب المزين بالعقيق الأحمر والفيانس الأخضر وارتفاعه ٤٤ سم وقد عثر عليه عالم الآثار ، بتري ، داخل مقبرة تلك الأميرة بمنطقة اللاهون عام ١٩١٤



(شكل رقم ٢٥)

(قلادة صدرية خاصة بالأميرة « ست – حتحور – بونيت »)

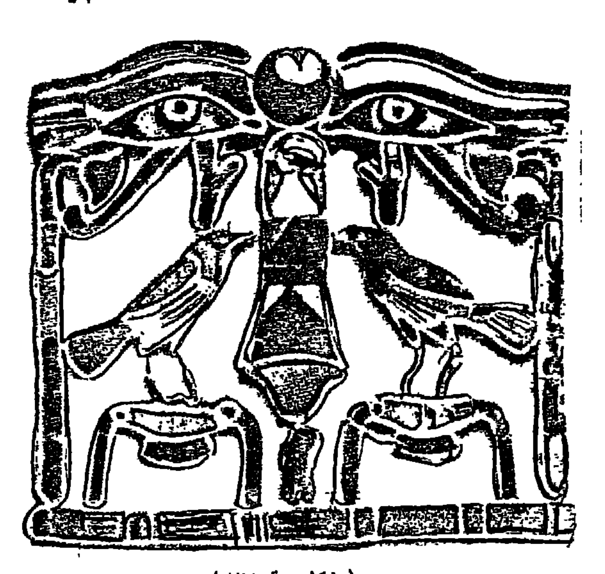
عثر عليها ضمن كنز اللاهون



(شكل رقم ٢٦)

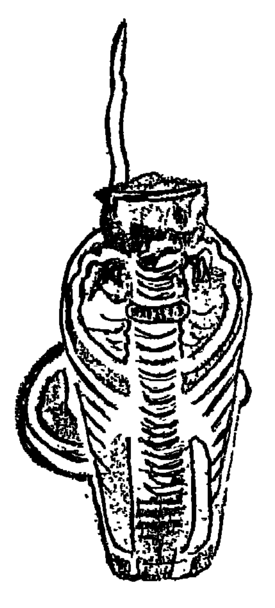
قلادة أخري ضمن كنز اللاهون الذي عثر عليها بمنطقة اللاهون خاصة بالأميرة

« ست – حتحور – بونيت »



(شكل رقم ٢٧)

مجوهرات اكتشفت في احدي مقابر الأفراد من الذهب والعقيق الأحمر والفيروز نقش عليها اسم الملك سنوسرت الثالث عثر عليها بمنطقة اللاهون



(شكل رقم ٢٨)

قطعة من الحلي علي شكل الحية المقدسة للملك سنوسرت الثاني عثر عليها بمنطقة اللاهون



(شكل رقم ٢٩)

قلادة صدرية استخدمت فيها الغربان كوحدات زخرفية من الذهب والعقيق عثر عليها ضمن كنز اللاهون

كان أهم المباني القديمة ، فقد أجمع الكتاب الإغريق والرومان الذين رأوه علي أنه كان أروع بناء علي الأرض .

وليت هيرودوت وسترابو وبليني ممن كتبوا بإعجاب عن اللابرنت قد عنوا بوصفه بدلاً من أن يسرفوا في دهشتهم مما رأوه ، فالواقع أنه من المستحيل أن نستنبط من وصفهم الكثير من الحقائق التي تساعدنا علي تصور تصميم ذلك المبني العظيم في أذهاننا .

الشيء الوحيد الذي أجمعوا عليه هو أن اللابرنت كان أكثر المباني إتساعاً وروعة ، ولكن القاريء يخرج من وصف هيرودوت التفصيلي بأفكار مشوشة كالتي كانت في ذهنه فيما يختص بتخطيط المبني والغرض منه .

بينما توحي آراء استرابو وبليني إلي إعتباره مجلساً عاماً يضم مجالس مقاطعات مصر مع مجموعة من المعابد الخاصة بكل آلهة المقاطعات المختلفة ، وهي آراء سخيفة .

ويظهر أن بليني لم يكن في وعيه تماماً وأنه كان واقعاً تحت تأثير أحد الأدلاء الذين استغلوا بساطته ، فهو يذكر : « بنيت بعض القصور بشكل غريب بحيث يتردد في الداخل صوت مخيف يشبه الرعد بمجرد فتح الأبواب ! » .

والوصف الوحيد المعقول لهذا البناء العجيب الذي زال ، هو ما ذكره بتري إذ يقول : « يبدو من الدلائل القليلة لمستويات الأرض ومن المعلومات الطفيفة للكتاب القدماء أن اللابرنت كان معبداً يضم ممراً متوسطاً وطريقين كبيرين متقاطعين ويحف بجانبي الطريق الأول أفنية أو معابد صغيرة .

أما الطريق الثاني فهو عبارة عن بهو به صف طويل من العمد وفي نهاية البهو أفنية أخري كبيرة الشبه بمعبد أبيدوس » .

وقد قام بتري برحلتين كشفيتين إلي الموقع ١٨٨٨ – ٩ ، ١٩١٠ – ١١ وفي الرحلة الثانية كشف عن محرابين وضعا في مقاصير المعبد وجزء من محراب ثالث ، وكذا أجزاء متعددة من تماثيل الآلهة وخاصة تمثال « سبك » (التمساح) إله الفيوم .

هذا وقد كشف عن تمثال لأمنمحات يمثله جالساً ، وهذا التمثال موجود حالياً بالمتحف المصري ، وفيما عدا هذه القطع عديمة الأهمية لم يبق شيء من مخلفات أعظم معبد عرفه العالم .

وإلي الشمال والشرق من الهرم تقع جبانة هوارة التي بدأ استعمالها منذ عهد الأسرة الثانية عشرة واستمر بعد ذلك .

ويرجع تاريخ أهم مقابر هذه الجبانة إلي العصر المتأخر مثل مقبرة « حر - وجا » أحد النبلاء في الأسرة السادسة والعشرين .

وتتميز هذه المقبرة بمجموعتها الكاملة عن التمائم ، وفي هذه الجبانة قسم يرجع بأكمله إلي العصر الروماني ويضم مجموعة رائعة من الصور المصنوعة من الشمع الملون كانت تثبت علي التوابيت لتغطي وجه المومياء بداخلها .

وهذه الصور موزعة بين شتي متاحف العالم (١) - ونصل بعد ذلك إلي إقليم الفيوم الحقيقي وتقع عاصمته - مدينة الفيوم - مباشرة إلي الجنوب من الأكوام الكبيرة التي تغطي كل ما بقي من مدينة « شدت » القديمة .

و « شدت » هذه كغيرها من مدن إقليم الفيوم كرست لعبادة « سبك » ولذا سماها اليونان كروكوديلوبوليس (مدينة التمساح) وقد أطلق عليها بطليموس الثاني ، فيلادلف ، اسم أرسنوي (٢) تمجيداً لأخته التي تزوجها .

وقد ثبت أن إقليم الفيوم كله غني جداً بأوراق البردي القديمة فهو يضم عدداً من أشهر المواقع المنتجة للبردي ، ولو أن أعظم هذه المواقع ونعني بها « البهنسا » تقع خارج حدود هذا الإقليم .

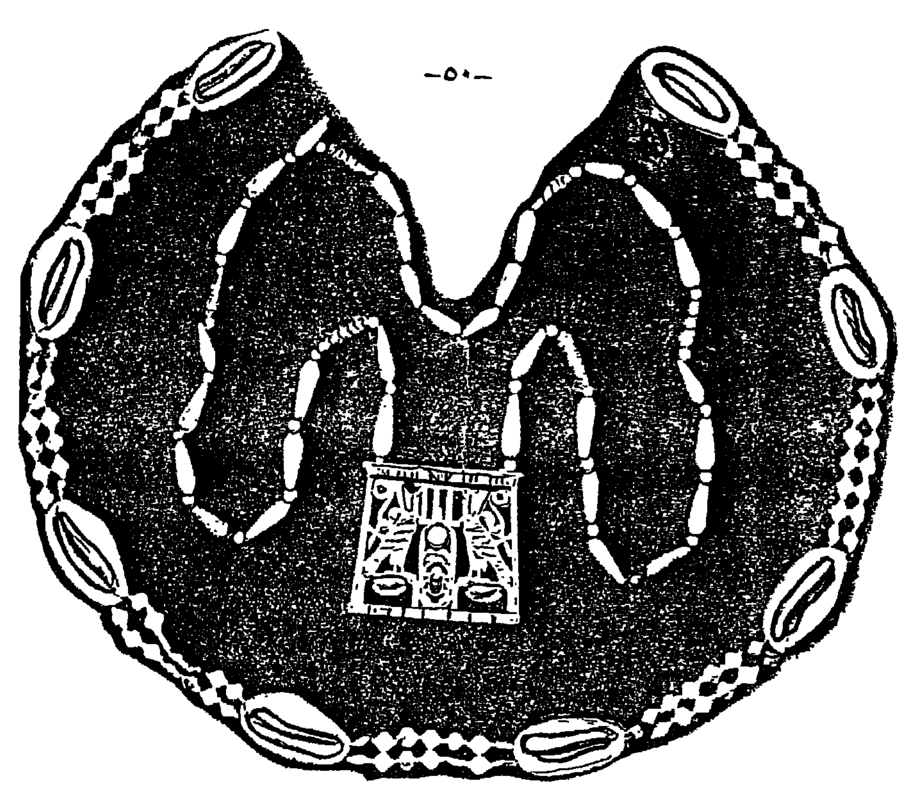
وقد كانت أكوام أرسنوي المصدر الأول لإمدادنا بالبردي في الأزمنة الحديثة ، ولكن ما عثر عليه منه لم يلق العناية الكافية وأصابه الكثير من التلف ، ومع ذلك فإن مجموعة برديات « رينر » الموجودة حالياً في « فينا » والتي نجت من عبث حفاري المنطقة لها أهميتها الكبري .

---

(١) أعطت هوارة اسمها لهذه الصور ، فأصبحت تسمي صور هوارة ، وإن كانت هذه الصور قد وجدت أيضاً فى أماكن أخرى .

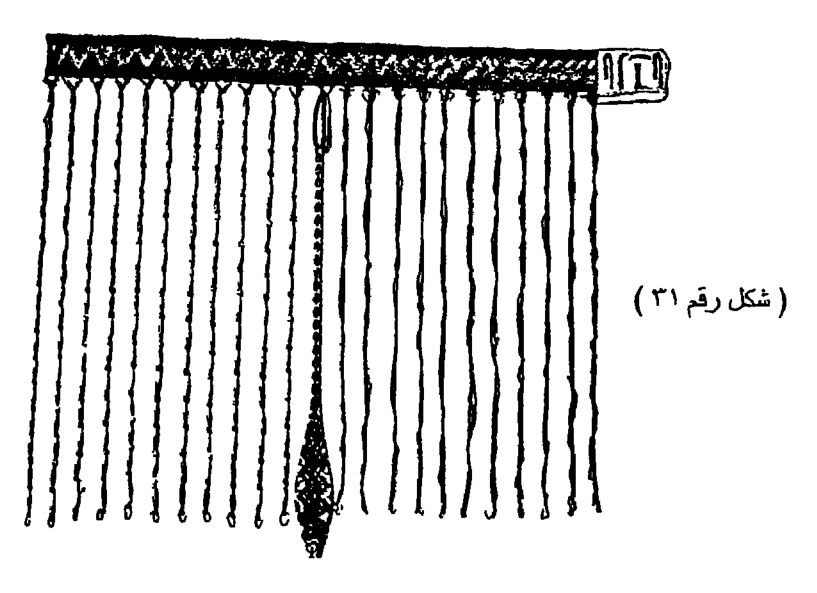
(٢) تسمى حالياً كيمان فارس وهى تنتشر فى مساحة تبلغ أكثر من ٢٠٠ فدان ، ولذا تعد أطلالها أوسع ما عرف من بقايا المدن المصرية القديمة ، وتجرى مصلحة الآثار حفائر فى تلك المنطقة للكشف عما تخفيه من آثار توطئة لتصفيتها لإستغلالها فى التوسع العمرانى .

وقد كشفت المصلحة عن مجموعة من الحمامات من العصر اليونانى الرومانى ، كما عثرت على أوان ومسارج فخارية وبعض العملات البرونزية وتماثيل فخارية . كذلك قامت بعثة إيطالية بالتنقيب فى المنطقة فى العام الماضى وعثرت على بقايا قرية إغريقية رومانية .



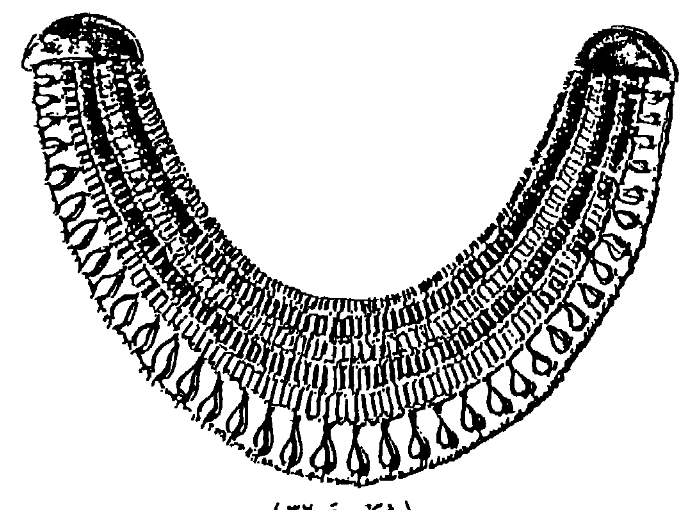
(شكل رقم ٣٠)

عقد وقلادة صدرية من مجوهرات الأميرة « ست – حتحور » عثر عليها بمنطقة دهشور



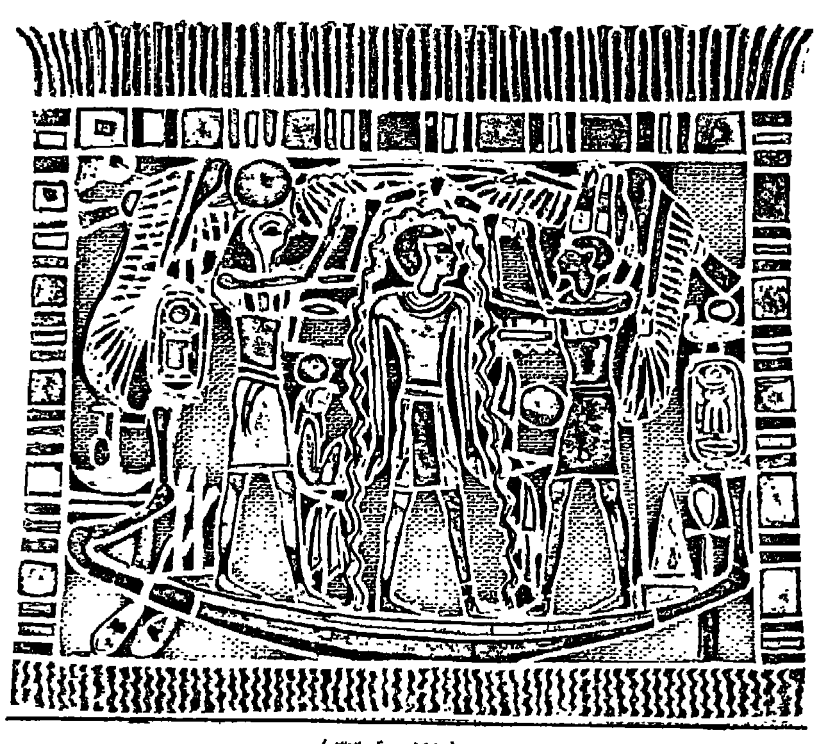
(شكل رقم ٣١)

حزام من الخرز له دلايات خاص بالأميرة « سنب تيسي » عثر عليه بمنطقة اللاهون



(شكل رقم ٣٢)

ياقة عريضة مصنوعة من الذهب والأحجار الكريمة عثر عليها في منطقة اللشت



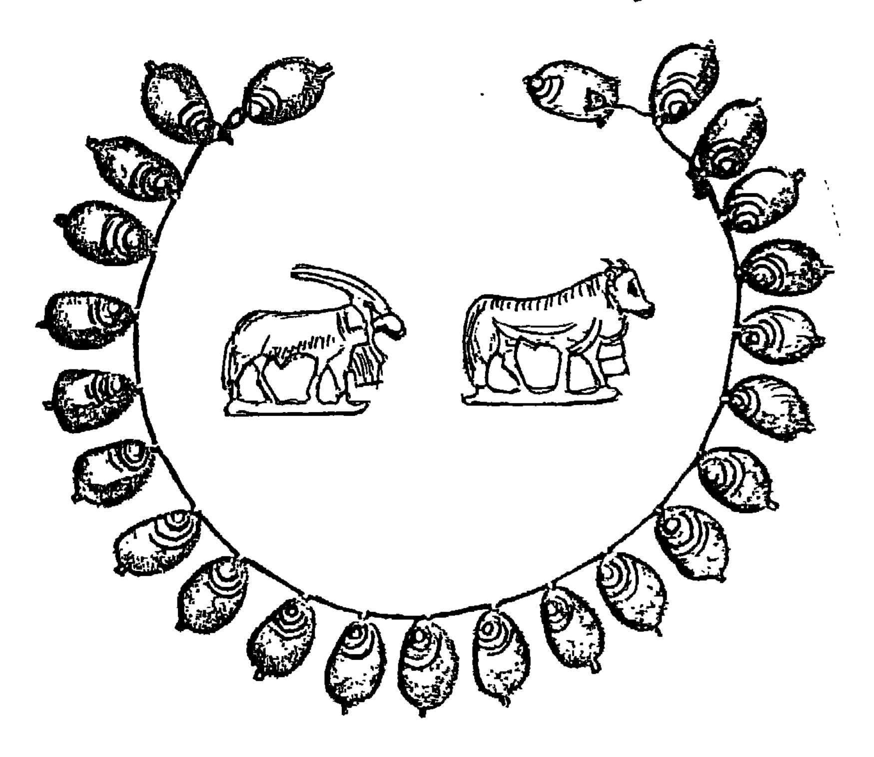
(شكل رقم ٣٣)

قلادة صدرية من مجموعة مجوهرات الملكة « آخ – حوتب »

عثر عليها بمنطقة طيبة الغربية

(شكل رقم ٣٤)

ياقة عريضة خاصة بالأميرة «سنب تيسي» من الذهب والأحجار الكريمة وأسلاك الذهب وطرفاها علي شكل صقر عثر عليها ضمن مجموعة كنوز اللشت



(شكل رقم ٣٥)

حلي مصنوعة من الذهب يرجع تاريخها للعصر العتيق عثر عليها بنجع الدير

ولا تزال أرسنوي من أهم المواقع التي يباشر فيها السباخون نشاطهم ، ذلك النشاط الذي وإن تمخض أحياناً عن كشوف قيمة (كما هو الحال في لوحات تل العمارنة) إلا أنه في معظم الأحيان كان حجر عثرة قضي علي آمال المكتشفين .

(ويطلق الأهالي كلمة سباخ علي بقايا جدران اللبن المتخلف مما كان يستعمل منازل لقدماء المصريين وهو يكون حالياً نواة الأكوام التي تجمعت علي أطلال تلك المدن الدارسة .

ويحوي هذا السباخ عناصر مخصبة ، ويسمح للفلاحين بالحفر فيه واستعماله ، وإن كان استخراجه يستلزم ترخيصاً ، يشترط فيه أن يسلم السباخون أي آثار يعثرون عليها في أثناء حفرهم إلي ممثلي مصلحة الآثار .

غير أن ضمان تنفيذ هذا الشرط يعد أمراً مستحيلاً ، ولعل هذا هو السر في ضياع الكثير من الآثار الهامة التي تبعثر سنوياً في الخارج دون تقييم أو تسجيل لها .

(ولو أنها استخرجت بطريقة علمية منظمة لكان لها قيمتها العلمية الكبيرة) [١]

ويقع معبد « سبك » القديم في أقصي الشمال من الأكوام الحالية .

ويرجع تاريخه كما هو الشأن في معظم آثار الفيوم إلي عصر الأسرة الثانية عشرة ، وإن كان رمسيس الثاني قد أعاد بناءه .

وإلي جانبه كانت تقع البحيرة المقدسة التي كانت تربي فيها التماسيح المقدسة [٢] وقد أورد هيرودوت الوصف الجذاب التالي للمعاملة التي كانت تعامل بها التماسيح من المتعبدين لها .

« كان الأهالي الذين يسكنون حول بحيرة موريس يقدسونها وكان علي كل واحد منهم أن يروض تمساحاً ليصبح مستأنساً .

وكانوا يضعون حلقاناً من البلور والذهب في آذانها ، وأساور حول مخالبها الأمامية ، ويقدمون لها طعاماً خاصاً طاهراً ، ويعاملونها معاملة طيبة طيلة حياتها ، فإذا ماتت قاموا بتحنيطها ودفنها في أقبية مقدسة » .

وتذكر بردية من العصر الروماني أنه حتي في ذلك الوقت كانت تماسيح أرسنوي المقدسة إحدي المشاهد التي لابد أن يراها كل زائر محترم عند زيارته لمصر .

وجدير بالذكر أن نشير إلي الرسالة التي بعث بها « هرمياس » أحد كبار

---

(١) منع الترخيص بأخذ السباخ فى أغلب التلال الأثرية الآن .

(٢) توجد أحجار معبد من الجرانيت لأمنمحات الثالث جنوبى أطلال المدينة ، ولكن قد تكون هذه الأحجار قد نقلت إلى هذا المكان توطئة لاستعمالها فى غرض آخر .

الموظفين بالإسكندرية إلي « اسكلبيادس » الموظف المحلي كمثال لما اعتاده السائحون منذ ١٨ قرناً إلي « اسكلبيادس » : .

يقوم لوسيوس مميوس السناتور الروماني الذي يشغل مركزاً رفيع الشأن برحلة من الإسكندرية إلي مقاطعة أرسنوي ليري المشاهد وأرجو أن تقابلوه بكل حفاوة وأن تعدوا له حجرات الضيافة في الأماكن المناسبة ، علي أن تهيأ له طرق الوصول إليها .

وأن تقدم إليه الهدايا المتفق عليها في مكان وصوله ، وأن تجهز حجرة الضيافة بكل ما يلزمها وأن يعد الطعام المعتاد للإله بادي سوخس (سبك) والتماسيح الأخري .

وكذا كل المستلزمات الواجبة لزيارة قصر اللابرنت وتقديم الهدايا القيمة ونحر الذبائح .

وبالجملة عليك أن تبذل أقصي الجهد في كل شيء حتي تدخل البهجة إلي قلب الزائر ! » ، ولا شك أن لوسيوس مميوس قد فغر فاه لمرأي التماسيح كما فغرت هي أفواهها لمرآه .

أما اسكلبيادس فقد تثاءب بعد أن أدار السناتور ظهره وتساءل : أي إنسان من سوقة الرومان سيكون زائراً في المرة القادمة ؟

ومنذ كانت تماسيح أرسنوي المقدسة تقوم باستعراض ألعابها لتسلية الزائر الروماني لم تتغير أساليب حديث النعمة ، ولا الموظف الكبير لقضاء إجازة (رومانية) .

وفي أقصي الطرف الجنوبي من الفيوم تقع تبتونس [1] ذلك الموقع الذي كشف به عن عدد من البرديات من العصر اليونانى الروماني ، وتشتهر تبتونس أيضاً بأنها مستودع للتماسيح المحنطة .

وقد كشفت عنها بعثة الآثار الإيطالية برئاسة الدكتور « س. انتي » [2] .

---

(١) تقع بقايا مدينة تبتونس فى ناحية أم البريجات بالزاوية الجنوبية الغربية من إقليم الفيوم ، وفضلاً عما عثر عليه فيها من أوراق بردية ، فلقد وجدت بها كنيسة من عصر المسيحية الأولى عليها رسوم ملونة لآدم وحواء قبل خروجهما من الجنة وبعضها معروض الآن بالمتحف القبطى .

(٢) على الجهة البحرية من تبتونس (أم البريجات) ، وعلى بعد ٣٠ كيلومتراً من الجنوب الغربى من مدينة الفيوم تقع الخرائب المعروفة الآن باسم مدينة ماضى ، وقد عثرت فيها بعثة ميلانو سنة ١٩٣٨ برئاسة المرحوم الأستاذ فوليانو على معبد من عصر الملكين أمنمحات الثالث والرابع يكاد أن يكون تاماً وفريداً من نوعه .

وهو المعبد الوحيد الكامل الذى احتفظت به أرض مصر من عهد الدولة الوسطى ، كما عثرت سنة ١٩٦٦ على كمية من ورق البردى مكتوبة باللغتين اليونانية واللاتينية يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين القرنين الثانى والرابع الميلادى .

وعلي الجانب الآخر من الإقليم في أقصي الشمال كشف « جراف » في جبانة الروبيات عن مجموعة من صور الموميات من العصر اليوناني الروماني تشبه تلك التي عثر عليها « بتري » في هوارة .

وعلي مسافة ميلين إلي الجنوب الغربي من مدينة الفيوم تقع بجيج (ابجيج) التي توجد بالقرب منها تلك القطع المكسورة من مسلة من الجرانيت الأحمر لسنوسرت الأول .

وقد كان ارتفاع هذه المسلة في الأصل حوالي ٤١ قدماً ، أما أبعاد قاعدتها فهي ٧ أقدام × ٤ أقدام ، وهي تتميز بأن قمتها بدلاً من أن تنتهي بالشكل الهرمي كما هو الشأن في مسلة سنوسرت الأول بهليوبوليس وجميع المسلات الأخري فإنها تستدير من الأمام إلي الخلف في أعلاها بحيث تبدو واجهتها علي شكل مستطيل .

وإذا نظرنا إليها من الجانب تبدو بشكل أقرب إلي اللوحة الكبيرة منها إلي المسلة ، وهذا يوحي بأن شكل المسلة الكاملة قد عرف أيام سنوسرت الأول ، إلا أنه لم يتخذ طرازاً موحداً .

وتتميز مسلة ابجيج بظاهرة أخرى ، وهي أن زخرفتها تحوي خمسة صفوف منحوتة في أعلي الوجهين الرئيسيين ، تمثل سنوسرت يقدم القرابين لآلهة مختلفة .

وتحت هذه المناظر ثلاثة عشر سطراً من الكتابة الهيروغليفية أما الوجهان الآخران فهما رغم أنهما يحويان نقوشاً مألوفة في المسلات مثل خراطيش سنوسرت ، غير أنها ليست تماماً من الطراز المألوف .

وعلي مسافة أربعة أميال ونصف ميل من مدينة الفيوم تقع قرية « بيهمو » وعلي مسيرة نصف ميل شمالي محطة بيهمو يقوم كومان من الحجر يلفتان النظر باعتبارهما أحد المخلفات القليلة – لا في الفيوم وحدها بل في مصر كلها – التي تنسب إلي واحد من أعظم الفراعنة ونعني به أمنمحات الثالث .

وقد كان هيرودوت أول من أشار إليهما عند وصفه لبحيرة موريس إذ قال :

« فى منتصف البحيرة تقريباً يقع هرمان يرتفع كل منهما خمسين « أورجيا » [1] عن سطح الماء ، أما عمق الجزء الواقع تحت سطح الماء فيبلغ نفس المقدار .

« وفوق كل منهما تمثال من الحجر يجلس علي عرش » .

وقد ربطت الروايات المتداولة ولبسيوس بين ما ذكره هيرودوت وبين الكومين

---

(١) أورجيا هو الباع ، والباع يساوى ست أقدام أو أربع أذرع .

الموجودين في بيهمو حتي تكشفت حقيقة الأمر في عام ١٨٨٨ عندما كشف بتري بالقرب من الكومين عن بقايا تمثالين ضخمين من الحجر الرملي وعرشين وأجزاء من نقوش تحمل اسم أمنمحات الثالث .

وبذا أصبح من الواضح أن كومي الحجر كانا في وقت ما قاعدتين (علي شكل هرمين ناقصين دون شك) يحملان هذين التمثالين الضخمين .

« وقد كان ارتفاع كل من القاعدتين المقامتين من الحجر الجيري ٢١ قدماً ، أما قاعدة التمثال المصنوع من الحجر الرملي فكانت ترتفع إلي أربع أقدام ، ويعلوها التمثال الجالس علي عرشه بارتفاع ٣٥ قدماً أخرى » .

وعلي ذلك يكون هيرودوت قد رأى التمثالين من بعد ومن خلفهما البحيرة التي كانت تمتد وقتئذ إلي أبعد مما هي عليه الآن ، وبذا يكون الأمر قد اختلط عليه فتصور أن التمثالين اللذين رآهما يبرزان من الماء وفى الحقيقة أنهما يقومان علي حافة البحيرة .

وإن إقامة هذين التمثالين في هذا الموقع بالذات لشاهد علي اهتمام أمنمحات الثالث بمشروعات الري الكبري أو بمعني أصح مشروعات الاستصلاح التي يبدو أنها بدأت منذ أيام فراعنة الأسرة الثانية عشرة واستمرت حتي العصر البطلمي .

تلك المشروعات التي أسفرت عن تحويل الفيوم إلي أخصب بقعة في مصر بعد أن كان جزء منها في الأصل بحيرة والجزء الآخر مستنقعاً ، وكلاهما كان عديم الفائدة .

ومن العسير أن نتبين ما قام به فراعنة الأسرة الثانية عشرة ، ولكنهم على الأقل استصلحوا مساحة كبيرة من المستنقع والبحيرة بإقامة سدود ضخمة ، كما نظموا وصول وتصريف مياه النيل التي كانت تجري بدون رقابة منذ أزمان سحيقة .

ويرجح أن أمنمحات الأول هو الذي بدأ عملية الاستصلاح فى شـدت (مدينة الفيوم) التي يعني اسمها المصري كلمة « المستصلحة » .

وتمثاله الذي وجد بارسنوي يدل علي أنه قام بأعمال هناك ، وقد سار سنوسرت الأول قدماً في الاستصلاح كما يظهر من وجود مسلته في أبجيج .

وإن وجود التمثالين في « بيهمو » ورؤية هيرودوت لهما من بعد وتخيله أنهما قائمان وسط المياه يدل علي أن بيهمو كانت أقصي حد وصلت إليه أعمال الاستصلاح في عصر أمنمحات [1] . وعلي أن هذا الحد لم يتغير في أيام هيرودوت .

---

(١) من المرجح أن تمثالى الملك فى بيهمو كانا يقعان فى نهاية الطريق الذى يصل المدينة ببحيرة موريس .



(شكل رقم ٣٦)

رجل يرتدي ملابس الحفلات المصنوعة من جلد الفهد ، وهي من المناظر الجدارية التي أخذت من إحدي المقابر بمنطقة ميدوم

(الدولة القديمة)

أما الإصلاحات التالية التي أجريت في بحيرة موريس التي انكمشت وأصبحت تتمثل حالياً في بحيرة قارون فيرجع الفضل الأول فيها إلي البطالمة الذين قاموا بأعمال إصلاح ضخمة للحصول علي أراض خصبة يستقر فيها جنودهم المقدونيون .

وفي الطرف الشمالي الغربي من بركة قارون علي مسيرة ميل وثلاثة أرباع الميل من الشاطيء تقع خرائب مدينة ومعبد سكنوبايونيسوس (جزيرة سكنوبايوس) عند حافة الصحراء علي ارتفاع ٢٣٠ قدماً عن منسوب البحيرة .

ولابد أن هذه المدينة كانت كبيرة ، وكان يزين طريقها الرئيسي تماثيل علي هيئة السباع الرابضة محاكاة لتماثيل أبو الهول ذات رءوس الكباش في العصور المصرية القديمة .

ويؤدي هذا الطريق إلي معبد كبير للإله سكنوبايوس الذي كان صورة أخري لسبك الإله الممثل علي هيئة التمساح والذي كانت عبادته هنا متصلة بعبادة إيزيس .

وهذا المعبد أقل أهمية من معظم المعابد البطلمية الأخري ، وعلي مسافة خمسة أميال شمالي سكنوبايونيسوس (دماي) يقع المعبد المعروف باسم قصر الصاغة .

وهو معبد صغير مبني من الحجر الجيري وبه فناء طويل تفتح عليه سبع فجوات كانت في الأصل مقفلة بأبواب لا تزال أعقابها ظاهرة حتي الآن [١] .

ولم يكن هذا المعبد منقوشاً ولم يكن يحوي في الأصل تماثيل أو رسوماً .

أما بقايا المدن الأخري الواقعة حول البحيرة ونعني بها كارانس (كوم أوشيم) وباخياس (كوم الأتل) وديونيسياس (قصر قارون) ويوهمريا (قصر البنات) وفيلوتريس (وطفه) وثيادلفيا (خرابة اهريت) - فلا تعنينا إذ أنها ترجع إلي العصر اليوناني ،

ويمكن أن نقول إنه خلال السنوات الخمس الأخيرة قامت جامعة ميتشجان برياسة المستر ، انوك بيترسون ، بحفر منظم في كارانس أسفر لأول مرة في تاريخ الآثار عن كشف تراث وفير من العصر اليوناني الروماني يرجع إلي فترة تقرب من نصف قرن .

---

(١) أرجع بعض العلماء هذا المعبد للدولة القديمة ، وأرجعه البعض الآخر وهم الغالبية للدولة الوسطى حيث كان لإقليم الفيوم شأن كبير .

(مدينة كوم غراب)

فإذا تركنا الفيوم مررنا بموقع مدينة كوم غراب حيث كانت تقع مدينة أسسها تحتمس الثالث وخربها منفتاح [1] وقد سكنها أجانب لمدة قرنين ونصف قرن بعد إنشائها.

وفي هذه المدينة عثر بتري عام ١٨٨٩ - ٩٠ كما عثر في اللاهون في نفس هذا التاريخ علي الأواني الفخارية الأجنبية التي وصفها في ذلك الوقت بأنها « إيجية » والتى عرفت فيما بعد بأنها « مينوية » .

ويبدو أنه أقيمت في هذا المكان مدينة أخرى في العصر البطلمي كشف بها بتري عن مجموعة من التوابيت المصنوعة من الكارتون الذي ثبت عند فحصه أنه يتكون من أوراق من البردي ضم بعضها إلي بعض بمادة لاصقة في بعض الأحيان وبدون هذه المادة في أحيان أخري .

وعند فصل هذه الأوراق بعضها عن بعض تبين أنها علي جانب كبير من الأهمية إذ أنها أول مجموعة من الوثائق التي ترجع إلي الفترة ما بين ٣٠٠ - ٢٠٠ سنة ق.م.

ومما يجدر ذكره أن مس « كاتون تومسون » كشفت في الفيوم عن مخلفات حضارة قديمة ترجع إلي العصر الذي يسبق عصر ما قبل الأسرات في مصر ، وتعاصر حضارة البداري التى كشف عنها « برنتون » في الصعيد .

وقد كان أهالي الفيوم الذين تربطهم القرابة بالبداريين يسكنون حول شواطيء البحيرة الكبيرة التي كانت حينذاك تغمر المنخفض إلي ارتفاع ٢٠٠ قدم فوق مستواه الحالي ، كما كانوا يشتغلون بصيد السمك والقنص .

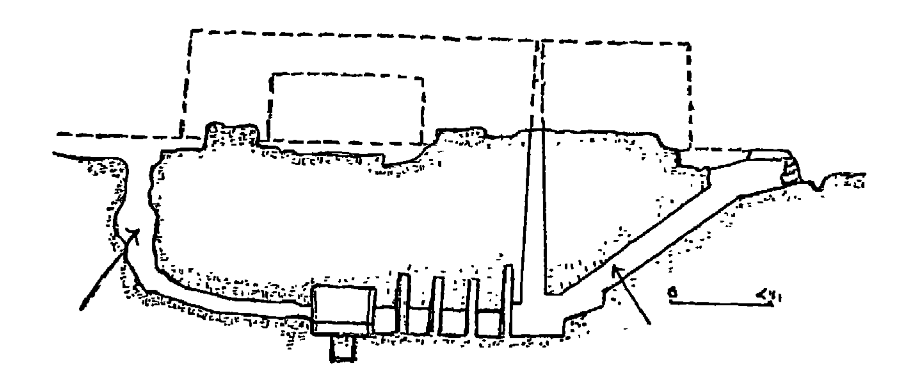
وقد بدءوا أيضاً زراعة وتخزين القمح البري والقمح والشعير وتربية الثيران والضأن والماعز والخنزير .

ومما يدل علي ممارستهم التجارة أيضاً وجود محار من البحر الأبيض والبحر الأحمر .

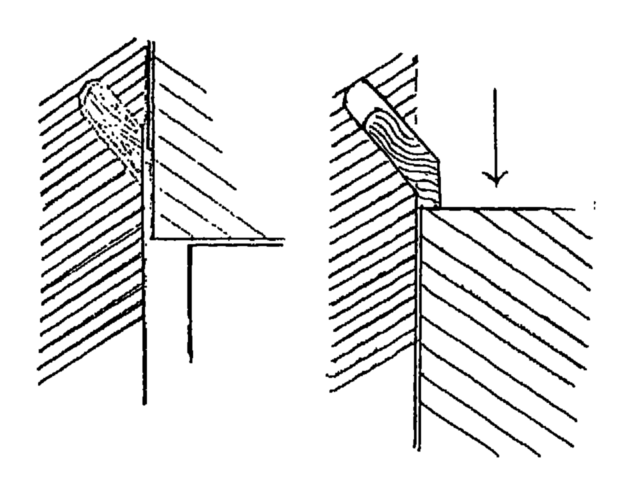
وهناك طريق آخر ممتع يوصلنا إلي الفيوم عبر الصحراء من كوم أوشيم ، وهذا الطريق يمتد مستقيماً حتي أهرام الجيزة ، ويمكن للسيارة السريعة أن تقطع كل المسافة في ساعة ونصف ساعة .

---

(١) المعروف أن أمنوفيس الثالث وإخناتون وتوت عنخ آمون قد تركوا آثاراً هامة فى تلك المنطقة ، وقد اعتقد البعض أن الملكة تى أقامت هناك بعد موت زوجها إخناتون ، فقد وجدت لها تماثيل كثيرة هناك ، ومن ضمنها ذلك الرأس الجميل المصنوع من الأبنوس والموجود الآن بمتحف برلين .



(شكل رقم ٣٧)
قطاع في مقبرة سنوسرت عنخ في اللشت وهي من أهم المقابر بجوار هرم سنوسرت الأول وكان سنوسرت عنخ مثال الملك وبنائه ، وهذه المقبرة كان يكسوها حجر جيري تحليه مشكاوات ويحيط بها سور من الحجر الجيري وقد تهدمت المصطبة ومقصورة القربان



(شكل رقم ٣٨)
أحد أقفال الأبواب المنزلقة في مقبرة سنوسرت عنخ في اللشت حيث يؤدي إلي غرفة الدفن دهليز هابط من الشمال ينتهي في قاع بئر ضيقة في أعلاها - كانت مملوءة بالحصي والرمال ومن وراء ذلك دهليز أفقي تتخلله أربعة متاريس - ويؤدي إلي غرفة الدفن صورة باب وهمي - كما يحلي جدرانها جزء كبير من متون الأهرام

الكتاب الثالث

وادى النيل

من الفيـــوم حتى طيبـــه

الفصل الحادى عشر

من بنى سويف حتى ملوى[1]

هراكليوبوليس واكسرنكس وبنى حسن

وإذ نترك الآن إقليم الفيوم فسوف نبدأ رحلتنا في وادي النيل صوب الجنوب ، وفى المرحلة الأولى من هذه الرحلة يستمر المظهر الذى لاحظناه بوضوح حتى الآن ، وهو زيادة الأماكن الهامة فى الغرب عنها فى الشرق .

ولا تكاد تتعادل هذه الأماكن حتى نقترب من ملوى ، ومن المستحسن فى هذه المرحلة أن نمضى فى معاينتنا للضفة الشرقية بحيث تكون متعادلة مع المرحلة التى وصلنا إليها فى الغرب .

وذلك بالمرور علي الأماكن القديمة الموجودة بالصحراء الغربية من القاهرة حتي بنى سويف ، مع ملاحظة أن تلك الأماكن محدودة العدد .

فبين القاهرة وحلوان الحديثة توجد على بعد ستة أميال إلى الجهة الشمالية من المدينة الأخيرة ، محاجر طرة والمعصرة الشهيرة حيث قام الفراعنة وبخاصة فراعنة الدولة القديمة باستخراج الحجر الجيرى الأبيض البديع الذى استعمل فى التكسية الخارجية للأهرامات .

وفى واجهات المعابد ، ولتبطين جدران حجرات الدفن ، وفى كثير من الأحيان فى عمل التماثيل .

وقد يكون عصر الدولة القديمة هو العصر الذى شاهدت فيه طرة والمعصرة

---

(١) تقع محافظة بنى سويف – التى تعد من أغنى محافظات الوادى ، والتى تتميز بسعة أراضيها الزراعية وجودتها – فى قلب مصر الوسطى ، ولذا فهى حلقة الاتصال بين الدلتا وبقية أجزاء الوادى ، وهى حافلة – كبقية المحافظات – بالمواقع الأثرية التى ترجع إلى العهد الفرعونى (المراجع) .

أعظم النشاط ، إلا أن استخراج الحجر الجيرى من هذه المحاجر استمر طوال عهود التاريخ المصرى القديم ، ولا يزال استعمالها مستمراً حتي وقتنا الحاضر .

وليس هناك شيء يقوى فكرتنا عن مهارة قدماء المصريين ، ودرجة التقدم التى وصلوا إليها فى عملهم ، أكثر من المقارنة بين الطرق الحديثة للتحجير ، والطرق التى استعملها العامل المصري القديم ، حيث نرى العملين جنباً إلى جنب فى طرة .

وما نشاهده هناك في الوقت الحاضر لا يبدو أكثر من حطام ما خلفه القدماء ، وفى هذا قال ماسبيرو [1] عام ١٨٩٥ : « في خلال الثلاثين عاماً الأخيرة خرب البناءون فى القاهرة معظم البقايا المتخلفة فى هذه الأماكن وقد غيروا تماماً مظاهر هذا المكان » .

ولا تزال هذه العملية مستمرة حتي اليوم ، ومع ذلك فلقد حفظت لنا بقايا كافية

---

(١) كان ماسبيرو مديراً لمصلحة الآثار فى مصر – وقد خلف مارييت باشا عام ١٨٨١ وواصل عمله فى المحافظة على الآثار القديمة من سرقات لصوص الأحجار وتجار العاديات والتحف – كما كان يقوم بالتنقيبات عن الآثار وهو إيطالى المولد وتعلم فى فرنسا وأصبح أستاذاً في كوليدج دى فرانس وكان يهتم أكثر باللغة المصرية – وقد فتح أهرامات أوناس وبيبى الثانى وتيتى التى كانت جميعها منقوشة بنصوص لم تكن معروفة من قبل – وفى سنة ١٨٨١ تم له اكتشاف على جانب كبير من الأهمية فى الدير البحرى حيث قام الكهنة خلال الأسرة الحادية والعشرين بإخفاء أجساد ومومياوات أربعة وثلاثين ملكاً في توابيتهم بعد أن سرقت مقابرهم وكان هذا المدفن الخفى هو الذى عرف سره (خبيئة الدير البحري) ماسبيرو واكتشفه – واستأنف حفائره فى صقارة ، وأمر بإزالة الرمال عن تمثال أبو الهول الكبير بالجيزة – وفى عام ١٨٨٦ تقاعد عن الخدمة وتفرغ لنشر نتائج أعماله ونشر عدة كتب هامة عن تاريخ الشعوب – وبعد ثلاث سنوات عاد لإدارة مصلحة الآثار والمتحف الجديد الذى بنى فى القاهرة بدلاً من المبنى القديم فى بولاق – كما عمل سجل كامل للمبانى والنقوش فى جزيرة فيلة والمعابد النوبية الأخري التي كان يهددها الغرق بسبب بناء سد أسوان القديم ، وقد نشر علماء الآثار بعد ذلك نتائج أعماله – كما أنشأت حكومة الثورة مركزاً لتسجيل الآثار لتسجيل جميع آثار النوبة من معابد ومقابر ولوحات تسجيلاً دقيقاً قبل أن تغرق تحت مياه السد العالى وفي عام ١٩١٢ تقاعد ماسبيرو نهائياً عن العمل وتوفي بعد ذلك بسنتين (المراجع) .

تمكننا من تقدير هذه الحقيقة ، وهى أنه فى مثل هذه الأحوال فإن العامل الحالى لا العامل القديم هو الأميل إلى الهمجية .

فالحجار الحديث هو الذى يكتفى بخدش السطح الخارجي للمنحدر الصخرى ليحصل على ما يريد ، بينما خطط سلفه الذى عاش قبل ذلك بخمسة آلاف سنة فى حفر الدهاليز والممرات والآبار بمهارة وإقدام داخل قلب الجبل » .

واستخرج الحجر الجميل الذى كان فى حاجة إليه بدقة وبطريقة اقتصادية يتميز بها كل فنان كبير .

والعبارة التى ذكرها ماسبيرو تطلعنا عن انطباعاته عن العمل القديم فى طرة حتى بعد أن تخرب الكثير منه نتيجة لما لحق به حالياً من تدمير حديث .

والواقع أن مظهر هذه المحاجر يكاد يكون مدهشاً كالآثار التى خرجت منها ، فاستخراج الأحجار قد تم بمهارة وانتظام مما يبرهن علي خبرة استمرت طوال عدة قرون .

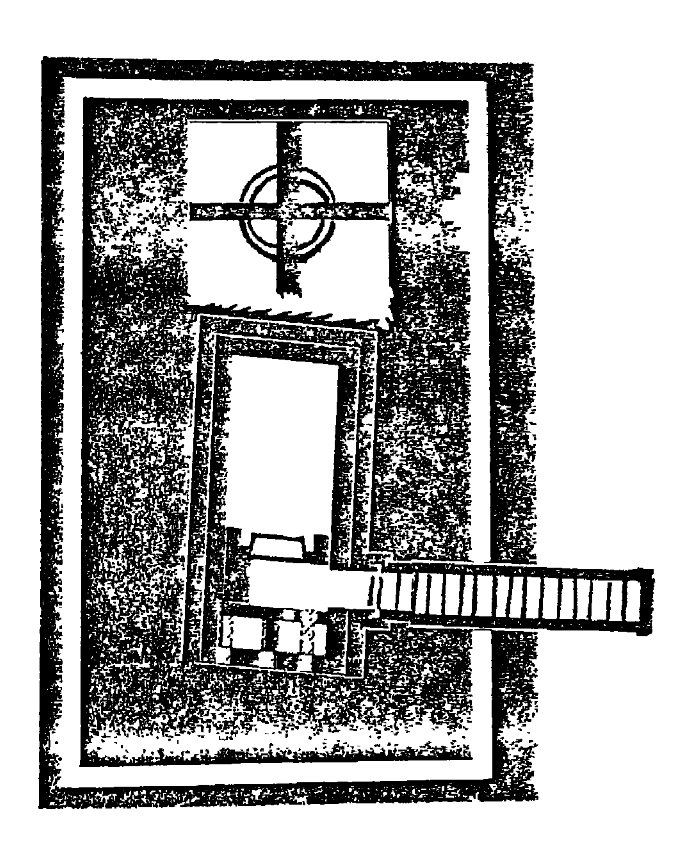
ففى الدهاليز أمكن الحصول على أجمل الكتل وأكثرها بياضاً دون أي إتلاف . فضلاً عن أن الحجرات كانت كبيرة الاتساع وقد شكلت الجدران المربعة والأعمدة والسقف بطريقة توحى بأنها لمعبد تحت الأرض وليست لمجرد استخلاص المادة .

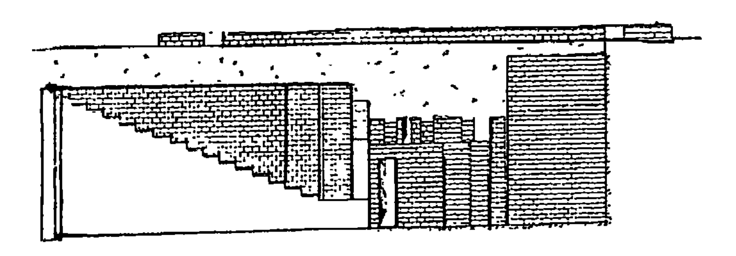
وسنرى فى مكان آخر إلى الجنوب ونعني به « منطقة السلسلة » مثلاً أكثر إتقاناً لطرق قدماء المصريين قيل عنه : « إن نسفنا للصخور الآن إذا ما قورن بهذا التحجير المتقن القوى ليبدو كأنه من أعمال المتوحشين » .

وبعض الصالات التي استخرج منها الحجارون القدامى الحجر الجيرى بالسهولة التى يقطع بها المرء شرائح الجبن ، لا تزال قائمة بأسقفها التي تسندها أعمدة مربعة من الحجر (انظر كلارك وإنجلباك في مؤلفهما العمارة المصرية القديمة – الفصل الثاني) (١) .

---

(١) (Clarke and Engelbach, Ancient Egptian Masonry, chap. II).





(شكل رقم ٣٩)

رسم تخطيطي للمقبرة رقم ٧٨٥ بمنطقة حلوان نري فيها منظراً عاماً للمقبرة ومبانيها وهي مبنية من كتل كبيرة من الحجر الجيري الأبيض

ولا يزال عليها بعض الكتابات والرسوم وعلي الأخض ما يرجع منها إلي عهد فراعنة الدولتين الوسطي والحديثة أمثال أمنمحات الثالث وأمنوفيس الثالث ونقطانبو الثاني .

وكان الاسم القديم للمحاجر « ريو » وقد حرفه الإغريق بسرعة إلى كلمة « ترويا » ، كما استطاع استرابو أن يعلل هذا التحريف بأن قص علينا ما قد كان بمثابة أسطورة شعبية في أيامه .

وهي أن قرية الحجارين « كانت مقراً قديماً لأسرى طروادة الذين تبعوا « منلاؤس » إلي مصر وبقوا فيها » وهذا مثل طريف لواقعة كان فيها أحد أسماء البلاد غير المفهومة سبباً في ظهور أسطورة كلها تزييف ، بل إنها من السخف بحيث لا يمكنها أن تقف علي قدميها .

(حلوان)

وعلي بعد سبعة أميال إلى الجنوب الشرقي من حلوان (١) توجد بقايا سد مصرى قديم كان قد أقيم على مدخل « وادي جروي » كى يمد العمال الذين يعملون فى محاجر المرمر فى تلك المنطقة بالمياه .

وكان عرض الوادي الذى أريد التحكم فيه ٢٤٠ قدماً ، وعمقه يتراوح بين ٤٠ ، ٥٠ قدماً ، أما السد نفسه فكان سمكه ١٤٣ قدماً « ويتكون جزؤه السفلي من أحجار صغيرة مختلطة بالطين ، يعلوها كتل متراصة من الحجر الجيري .

---

(١) تقع حلوان على الضفة الشرقية للنيل جنوبى القاهرة بحوالى ثلاثين كيلومتراً ، وهى تتميز بعيونها الكبريتية ، وقربها من محاجر الحجر الجيرى فى المعصرة وطره إلى الشمال – وقد قامت فى المنطقة الممتدة من حلوان الحالية وحتي وادى حوف ، حضارتان متقدمتان تنتسبان إلى العصر الحجرى الحديث ، وتركزت إحداها فى الشرق فى المنطقة المعروفة حالياً باسم العمرى ، والثانية على مقربة منها – وقد عثر فى المنطقة الغربية على بقايا قرية ضاربة فى القدم (نيوليتية) بعد حضارة العمري فى الشرق ولذلك تسمى حضارة حلوان الثانية وقد عثر فى منطقة حلوان على مئات المقابر للطبقة المتوسطة ترجع للأسرة الأولى بصفة خاصة مما يدل علي أن منطقة حلوان استخدمت كجبانة لمدينة منف المواجهة لها على الضفة الغربية للنيل (المراجع) .

وينتهي فى نهايته العليا بحائط من الأحجار المنحوتة مبنية في صفوف متراجعة كأنها سلم ضخم ، .

ومن الخمس والثلاثين درجة (مدماك) الأُصلية مازالت اثنتان وثلاثون باقية في مكانها ، غير أن السيول قد أطاحت بالجزء الأوسط من هذا الخزان ، وقد اكتشف دكتور شفينفورث عام ١٨٨٥ هذا الشكل الطريف من الإنشاءات المصرية [١] .

ولا نكاد نجد أي مكان ذى أهمية تذكر على الضفة الشرقية إذا ما اتجهنا جنوباً حتي نصل إلي نقطة تقع تجاه بلدة ، الرقة ، وهي التي سبق أن ذكرناها بمناسبة اكتشاف مجوهرات الدولة الوسطى وسرقة المقابر .

فهنا علي مسافة قليلة بعض الشيء من شاطيء النهر (هنا تتسع الأراضي الزراعية لدرجة أكبر من اتساعها شمالاً وجنوباً على الشاطيء الشرقي) تقع قرية أطفيح [٢] التي تحدد موقع المدينة المصرية القديمة المعروفة باسم ، تب - إيح ، وقد كانت هذه المدينة مقدسة بالنسبة للإلهة حاتحور التى كانت تمثل متجسدة في شكل البقرة المقدسة .

---

(١) يعد هذا السد أقدم سد فى العالم ويقدر عمره بنحو خمسة آلاف عام أى فى أوائل الدولة القديمة وقد قدر هذا التقدير على ضوء الأوانى الفخارية التى خلفها العمال بجوار السد وعلى أسس أخرى من بينها طريقة بناء واجهة السد التى تشبه إلى حد كبير الطريقة التى استعملت فى بناء أهرامات الأسرتين الثالثة والرابعة (المراجع) .

(٢) أطفيح بلدة على الضفة الشرقية للنيل جنوب بلدة الصف وتبعد حوالى ٤ ك.م من شاطيء النهر - وكانت عاصمة للإقليم الثانى والعشرين من أقاليم الوجه القبلى ومركزاً هاماً لعبادة الإلهة حتحور ولذلك سميت مدينة أفروديت التى ساواها اليونانيون بالإلهة المصرية حتحور وكان اسمها فى أيام المصريين القدماء « تب - إحى » وفى العصر القبطى ينطقون اسمها « تيح » وهو أصل اسمها الحالى - وقد كثر اسم أطفيح فى الكتابات المسيحية منذ أوائل القرن الرابع الميلادى عندما اختار القديس أنطونيوس إحدي مغارات الجبل فى الجهة الشرقية منها مكاناً يتعبد فيه قبل أن ينتقل نهائياً إلى داخل الصحراء الشرقية قريباً من البحر الأحمر فى المكان الذى يعرف حالياً باسم دير الأنبا أنطونيوس (المراجع) .

وقد مثلها الإغريق بإلهتهم أفروديت ، وبسبب ذلك أطلقوا على « تب - إيح » اسم أفروديتوبوليس .

ومن الغريب أن تكون لهذه المدينة علاقة بالقديس أنطونيوس مؤسس التنسك المسيحي والرهبنة المنفردة ، علي أنه من حسن الحظ أنه ليس لنا أن نعالج الآن هذه النقطة .

(اهناسيا)

والآن نتجه إلي الضفة الغربية حيث يجب علينا أن نوجه اهتمامنا في الوقت الحاضر إلي اهناسيا ، فعلي بعد عشرة أميال تقريباً من بني سويف وعلى مسافة صغيرة من الفرع الذي يجري من هذه المدينة إلي اللاهون تقوم قرية إهناسيا (إهناس أو إهناس المدينة) (١) .

وتقع إلى جوارها مساحة واسعة من أكوام التراب ، جاء منها الاسم المحلي « أم الكيمان » وهذه الأكوام التي تغطي مساحة ٣٦٠ فداناً تحدد موقع مدينة من أهم المدن المصرية القديمة .

كانت في عصر من العصور السحيقة إحدي عواصم البلاد ، وكان اسمها القديم « حنن نسوت » أما إلهها المحلى « حريشاف » (ذو الوجه المخيف) (٢) ، أو « حرسافس » فلقد مثله الإغريق بإلههم هرقل ، ولهذا سموا المدينة « هراكليوبوليس » وهو الاسم الذي أضاف إليه الرومان الصفة « ماجنا » .

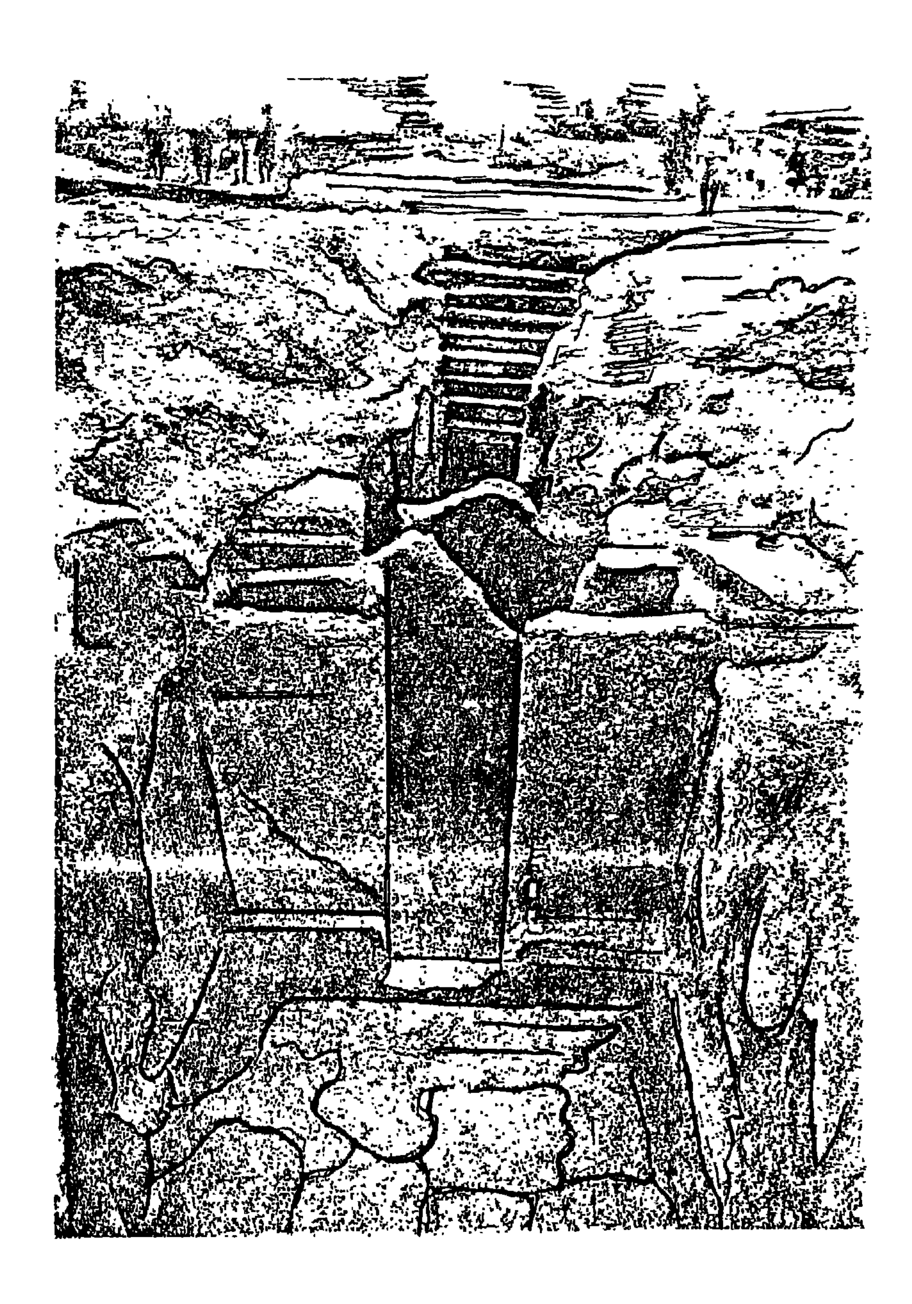
وقد ورد اسم كل من الإله حريشاف ومدينته على حجر بالرمو منذ الأسرة

---

(١) أتاح الموقع الجغرافى والاستراتيجى لهذه المدينة أن تلعب أدواراً سياسية هامة وأن تصبح عاصمة للبلاد خلال فترة من فترات تاريخها الفرعونى ، وأن تحتل مركزاً مرموقاً فى الأدب والديانة والأساطير المصرية القديمة .

وتقع بقايا المدينة القديمة إلى الغرب والجنوب الغربى من البلدة الحديثة ، وهى تبلغ حداً من الإتساع لا يضارعها فيه إلا أطلال مدينة الفيوم القديمة « كيمان فارس »(المراجع) .

(٢) معنى الاسم كذلك « الذى على بحيرته » (المراجع) .



(شكل رقم ٤٠)

منظر لمقبرة رقم ١٥ بمنطقة حلوان من الحجر الجيري الضخم حيث يشاهد جدران حجرة الدفن والأرضية والسلم

الأولى بالشكل الآتي : « موقع عند بحيرة معبد حريشاف بهراكليوبوليس » ، وكانت المدينة عاصمة للبوصة (نسو) ملك مصر الوسطي [١] وهو الذي ارتبط شعاره ولقبه مع لقب وشعار النحلة أو الملك الزنبور لكون لقب « انسى بيا » [٢] الذي تلقب به كل فرعون مستعملاً علامة البوصة والنحلة أو (الزنبور) .

وقد بلغت هذه المدينة أوجها من الشهرة في العصور التاريخية خلال الأزمنة المضطربة التي خلفت سقوط الدولة القديمة عندما حكم ملوك الأسرة التاسعة - الذين عرفوا باسم خيتي أو (اختاي) - في هراكليوبوليس مملكة يشك كثيراً في ولائها لهم .

ويبدو أن أول الملوك المعروفين باسم خيتي كان ملكاً قوياً ، فلقد ذكر مانيتون عنه « بأنه كان أقسي من كل الملوك الذين سبقوه وقد قام بأعمال شريرة في مصر كلها » .

ولقد يعني هذا القول أنه حاول أن يثبت حكم أسرته كما يجمل بمؤسس أسرة جديدة أن يفعل ، ولكن بشيء من العنف .

ومن الواضح أن خلفاء هذا الملك كانوا ودعاء بقدر ما كان هو قاسياً ، ولقد استطاعوا أن يحتفظوا بالعرش المهتز بفضل قوة سلسلة جبارة من الحكام المحليين المخلصين .

الذين كانوا يحملون نفس اسم ملوك هراكليو بوليس الصوريين ، وهم المدعوون خيتي أو اختاي أمراء أسيوط ، ولقد سقطت الأسرة أخيراً أمام هجمات الحكام المعروفين باسم « انتف » من طيبة [٣] .

---

(١) الأصح ملك مصر العليا (المراجع) .

(٢) النطق الصحيح هو « نسوبيتى » (المراجع) .

(٣) وقد حافظت إهناسيا علي أهميتها أيام الدولة الوسطى والحديثة ، واهتم بها الرعامسة اهتماماً خاصاً لأهميتها الدفاعية ضد الليبيين .

وقد أخذ الليبيون بعد أن عجزوا عن غزو البلاد عسكرياً فى الهجرة السلمية واستيطان البلاد ، واتخذوا من إهناسيا مركزاً لهم حيث أخذت أسرة بيواوا تقوى تدريجياً حتى تمكن أحد =

ورغم ضعف مجموعة الملوك الذين حكموا من هذه المدينة ، فقد احتفظت هيراكليوبوليس بشهرة دينية تزيد كثيراً علي قوتها الحقيقية .

فهناك أسطورة قديمة تقول « إن الشمس قد ظهرت هنا لأول مرة في ذلك اليوم الذي خلقت فيه السماوات والأرض » ، وهنا أيضاً توج الإله أوزوريس .

وعندما مات نصب ابنه هنا ملكاً ، وبالإضافة إلي ذلك فعندما أمر إله الشمس بإبادة الجنس البشري ، وأرسل الإلهة سخمت لتتولي تنفيذ ذلك الأمر الرهيب ، بدأت رحلتها علي حد قولهم من هذه المدينة .

وفي مكان غير معروف قريب من هذه المدينة كان يعيش « بنو » الخيالي أو الفنكس ، وهنا أيضاً كان يعيش « محطم العظام » الذي كان يرعب كل روح شريرة في المحاكمة الأخيرة ، كذلك اعتقدوا في نفس الوقت أن « نخب كاو » – وهي الإلهة الحية التي كانت تكرر شراب الآلهة – تسكن في قلب هذه المدينة .

(ويجال – تاريخ الفراعنة ، الجزء الأول – ص ٢٦٦) [(١)] . وبهذه الملابسات الدينية ظلت لهراكليوبوليس أهميتها في تاريخ مصر الديني مدة طويلة بعد زوال أهميتها السياسية المؤقتة وغير المؤكدة أمام قوة طيبة المتزايدة .

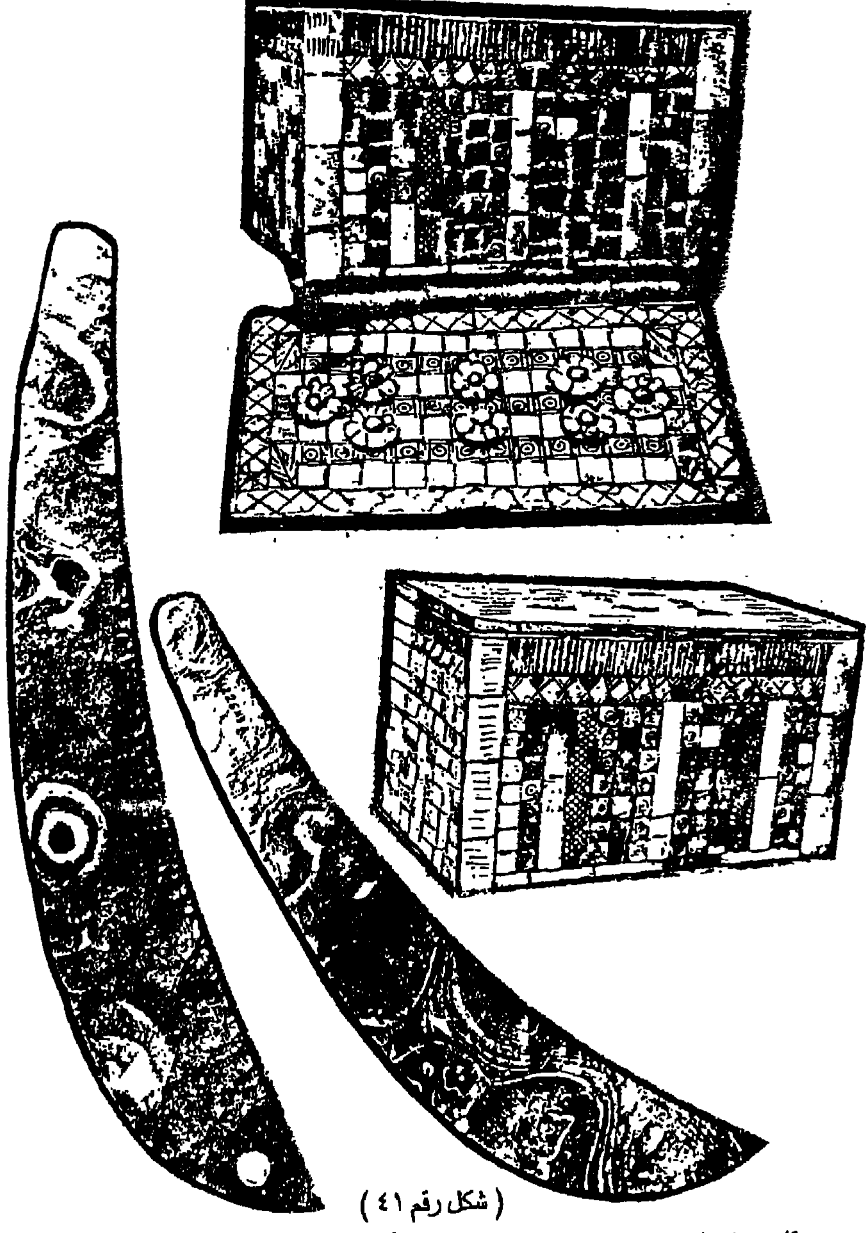
ولقد قام نافيل بالحفر في هذا المكان عام ١٨٩٢ – ١٨٩٣ علي حساب « جمعية الحفائر المصرية » ، وتبعه بتري عام ١٩٠٤ .

وبفضل ما قام به الاثنان أمكن الكشف عن تخطيط يكاد يكون كاملاً لمعبد يتكون من فناء مكشوف به بواكي ذات أعمدة مستديرة من قطعة واحدة من الجرانيت الأحمر ، ولها تيجان علي شكل سعف النخيل .

= أفرادها وهو شيشنق الأول من التربع على عرش البلاد مؤسسا الأسرة الثانية والعشرين التى اتخذت مدينة بوبسطة فى شرق الدلتا عاصمة لها .

وقد استمرت لإهناسيا أهميتها طوال العصر الفرعونى ، كما تدل الكميات الكثيرة من الآثار الرومانية والبيزنطية والقبطية التى عثر عليها فى إهناسيا على الدور الهام الذى لعبته فى تلك العهود (المراجع) .

(١) (Weigall, A. History of the Pharaons, I, 266).



(شكل رقم ٤١)

صندوقان مطعمان بسن الفيل وبجانب الصندوق الأول غطـــاء وفوقه بعض المجوهــــرات

- الشكل الثالث -

سكينتان من حجر الصوان الأشهب وقد عثر علي هـذه الأشياء بمنطقة حلوان

ثم صالة للأعمدة يستند سقفها في الغالب علي أربعة وعشرين عموداً مستديراً ثم صالة صغيرة ، فهيكل ملحق به ثلاث حجرات .

ولقد عثر بترى أيضاً علي بقايا تماثيل من بينها ثالوث يمثل رمسيس الثاني بين بتاح وحريشاف ، وتمثال صغير من الذهب الجميل لحريشاف يرجع إلي عهد الأسرة الثالثة والعشرين ، ولم يكن هناك أي دليل علي وجود آثار ترجع إلي ما قبل الأسرة الثانية عشرة .

وكان هذا مدعاة لخيبة الأمل لما هو معروف عن أهمية المدينة فى عصر الاضمحلال الأول .

وقد ظهر في بقايا المعبد مبني أصلي وصغير من الأسرة الثانية عشرة ، وقد أعيد بناء هذا المعبد علي صورة أوسع بواسطة الأسرة الثامنة عشرة ، ثم أعيد بناؤه للمرة الثانية فى عهد رمسيس الثاني من ملوك الأسرة التاسعة عشرة (١) وفي الوقت الحاضر لا يوجد في المكان ما يمكن رؤيته سوي بقايا أعمدة من العصر البيزنطي .

---

(١) كشف بترى كذلك عن كثير من الآثار الرومانية والبيزنطية ، كما عثر الباحثون فى المدة من ١٩٤١ إلى ١٩٤٣ على عدد كبير من الآثار الهامة فى المنطقة ، من بينها تمثالان كبيران من الكوارتزيت لرمسيس الثانى جالساً ، ويبلغ ارتفاع أحدهما ٣٫٨٨ من المتر بينما يبلغ ارتفاع الثانى ٤٫٤٤ من المتر ، وهما موجودان الآن بحديقة المتحف المصرى .

وقد أخذت مصلحة الآثار فى تنظيف المنطقة منذ سنة ١٩٦١ وكشفت سنة ١٩٦٤ عن معبد من العصر الرومانى ولا يزال العمل جارياً للكشف عن امتداد ذلك المعبد .

وفى عام ١٩٦٦ كشفت البعثة الأسبانية أمام مدخل المعبد الذى عثر عليه بترى عن رأس جميل من البازلت لأحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، كما عثرت على الجزء الأسفل من تمثال ضخم من الحجر الرملى لرمسيس الثاني جالساً على عرشه . وفى منطقة الجبانة كشفت عن مجموعة من المقابر من العصر المتأخر وجدت بها بعض الأوانى الكانوبية من الحجر الجيرى ومجموعات من التماثيل المجيبة (شوابتى) من الفخار والقاشانى (المراجع) .

(جبانة هراكليوبوليس)

وتقع جبانة هراكليوبوليس إلي غرب المدينة علي البر الغربي من بحر يوسف بين جبل سدمنت وميانة ، وتمتد الجبانة لمسافة ثلاثة أو أربعة أميال .

ولهذا كان حجم هذه الجبانة أكثر مطابقة لأهمية المدينة القديمة من أي شيء اكتشف في مكان المدينة نفسها .

ولقد حفر بتري الجبانة عام ١٩٢٠ - ١٩٢١(١) فوجد سلسلة من مقابر الدولة القديمة ومن بينها مقبرة مري رع حاي شتف « الرفيق الأكبر ، والمرتل ، ومحبوب الإله الأعظم » .

وكان يحمل أيضاً لقب « أمين حديقة القصر » وقد عثر في مقبرته علي ثلاثة تماثيل صغيرة جميلة من الأبنوس تمثل صاحب المقبرة كشاب وكرجل مكتمل ، وكشخص يدنو من الشيخوخة .

ومن الواضح أنه قصد بذلك أن يكون للكا (القرين) الخيار في أن يعيش فى أحد تلك الأجسام الثلاثة تبعاً لذوقها في أى وقت .

وحالياً يوجد التمثال الذي يمثله شاباً في المتحف البريطاني ، والذي يمثله في منتصف العمر في متحف في كارلسبرج ، والذي يمثله مسناً في متحف القاهرة . وقد كشف في سدمنت أيضاً عن مدافن من الأسرتين التاسعة والعاشرة كما هو المتوقع من تاريخ هراكليوبوليس .

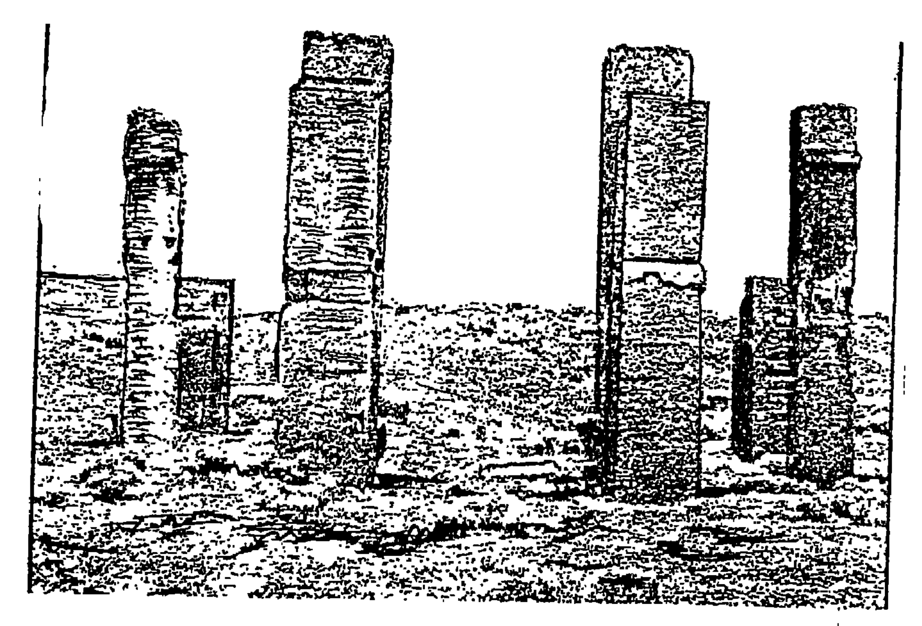
وفي بعض الحالات كانت المقابر تحوي توابيت ملونة عليها بعض كتابات ومجموعات من تماثيل الخدم رديئة الصنع نوعاً ما (٢) .

ويمكن تفسير عدم وجود مقابر من الأسرة الثانية عشرة بنظرية غزو المدينة

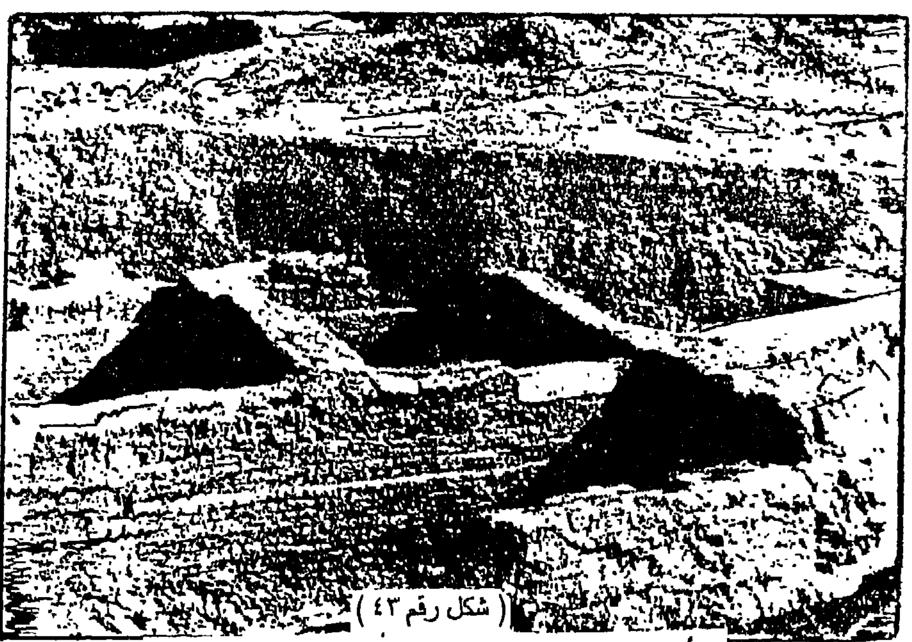
---

(١) قام نافيل فى سنة ١٨٩٤ بالحفر فى تلك المنطقة فى أثناء عمله بإهناسيا كما قام « كورلى » و« لوت » بالحفر بها أيضاً سنة ١٩٠٤ (المراجع) .

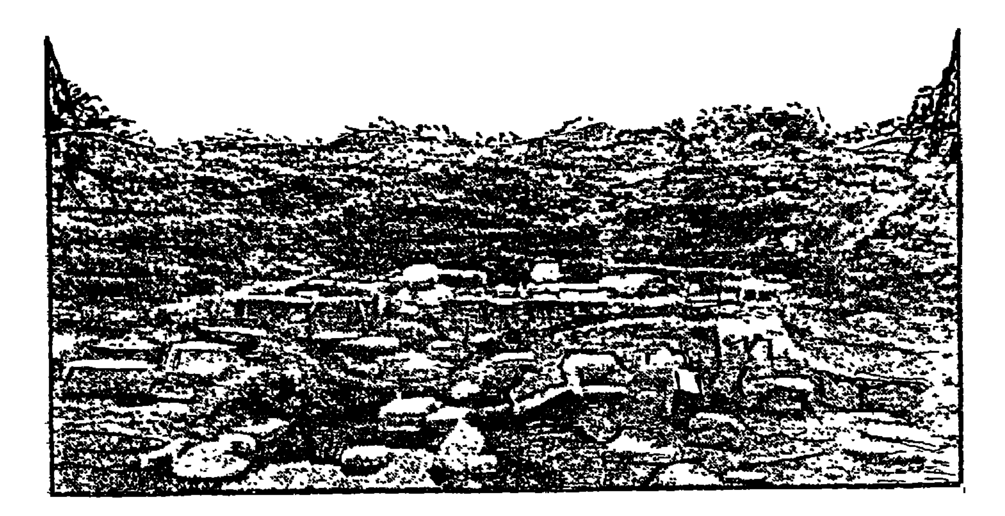
(٢) كذلك نماذج للحياة اليومية وللسفن ومساند للرأس ولوحات وتماثيل للمحاربين وأوانى كانوبية وجعارين وتوابيت وغير ذلك من ألوان الأثاث الجنائزى (المراجع) .



(شكل رقم ٤٢)
أطلال بعض المعابد فى (أهناسيا) منطقة كوم العقارب



(شكل رقم ٤٣)
أساسات بعض البيوت البطلمية في منطقة « كيمان فارس »
(حفائر جامعة ميلانو عام ١٩٦٥)



(شكل رقم ٤٤)

أطلال معبد رمسيس الثاني بإهناسيا



(شكل رقم ٤٥)

منظر عام لأعمدة بعض المعابد المتبقية في منطقة الأشمونين بتونة الجبل

بواسطة طيبة منافستها الجنوبية تحت حكم ملوك الأسرة الحادية عشرة المعروفين باسم انتف ومنتوحتب ، غير أن الجبانة أعيد استعمالها أيام الأسرة الثامنة عشرة واستمر ذلك في أثناء الأسرة التاسعة عشرة .

(دشاشة)

تقع دشاشة [١] علي بعد يتفاوت ما بين ثمانية وعشرة أميال جنوبي إهناسيا على الشاطيء الغربي لبحر يوسف .

وتقع وراءها حافة الهضبة التي تصل إلي ارتفاع ثمانين قدماً أو ما يقرب من ذلك .

وهنا توجد مجموعة من مقابر الدولة القديمة التي نحتت في الصخر والتي تمتد إلي ما يقرب من نصف ميل ، ويبدو علي حد قول بتري الذي فحصها عام ١٨٩٠ بأن جميعها من عهد الأسرة الخامسة .

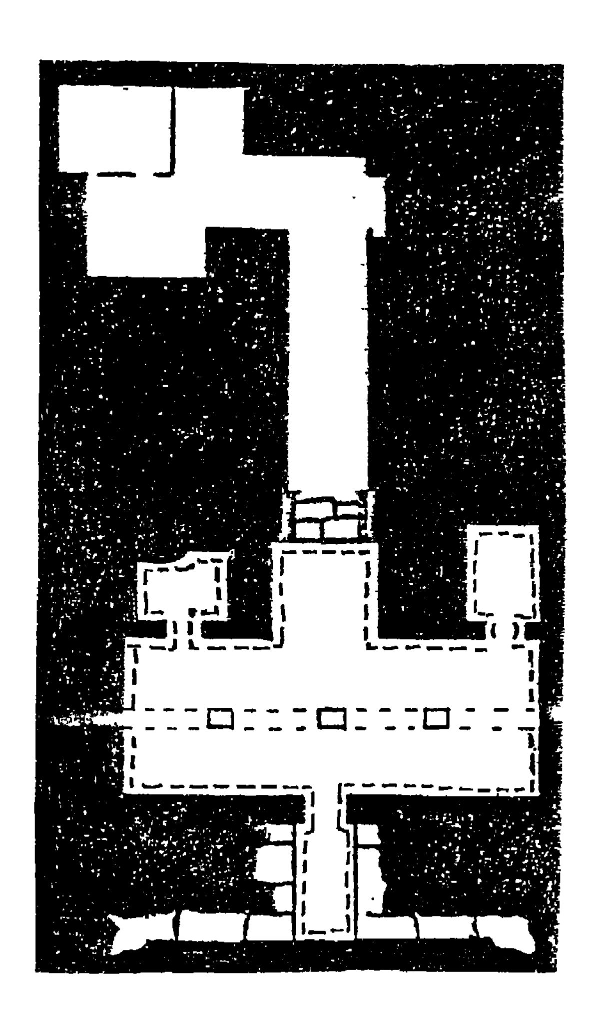
وتضم جميع أشكال المقابر ، ففيها المصاطب ذات الآبار العميقة إلي « ما هو عبارة عن فجوات في الصخور تحوي عظاماً متراكمة فوق بعضها » ، ويوجد قليل من المقابر الثانوية من عهد الأسرة الثامنة عشرة .

وفي حالات قليلة أعيد استعمال المقابر في العصر الروماني - ولكن الجبانة تعتبر علي وجه أخص من الأسرة الخامسة ، وأهم مقابرها مقبرة « انتي » ومقبرة « شدو » ويمكن فتحهما للمعاينة إذا ما طلب ذلك من الحارس .

ومقبرة انتي منحوتة في الصخر الواقع أسفل قمة الجبل المنعزل عند نهاية

---

(١) تقع دشاشة علي الشاطيء الغربي لبحر يوسف جنوبي أهناسيا المدينة وإلى الشمال الغربى من مدينة « ببا » بمحافظة بنى سويف وتمتد خلفها الصحراء الغربية التى تضم جبانة قديمة يرجع تاريخ أهم مقابرها إلى أيام الدولة القديمة ، وتعتبر مقبرة « انتى » أجدر تلك المقابر بالزيارة - فهى تزخر بمناظر صيد السمك وقنص الطير وجمع سيقان البردي وبناء السفن وغير ذلك من مناظر الحياة اليومية وأروع ما فى المقبرة منظر الجنود المصريون ورماة السهام يقتحمون أسوار مدينة أجنبية مستخدمين الفؤوس فى ثقب أسوارها والسلالم للتسلق بينما جلس حاكم تلك المدينة منزعجاً كذلك توجد مقبرة « شدو » التى فيها بعض المناظر التى تمثل الحياة الزراعية (المراجع) .



(شكل رقم ٤٦)

مقبرة انتي بمنطقة دشاشة وهى منحوتة في الصخر الواقع أسفل قمة الجبل المنعزل عند نهاية الجبانة من الجهة القبلية ورسوم مقصورة هذه المقبرة على أعظم جانب من الأهمية

الجبانة من الجهة القبلية ، ويمكن إدراك شكلها بسهولة من الرسم ، فالحجرة الأولى (١) مقسمة بواسطة ثلاثة أعمدة مربعة لم تنحت في الصخر بل وضعت في أماكنها وقد سقط عمودان من هذه الأعمدة الثلاثة .

ويوجد في نهاية هذه الحجرة كوات بالوسطي منها (٢) رسم يمثل انتي وزوجته وموائد وقوائم القرابين ومن خلف هذه الكوة ممر منحدر (٣) ممر آخر يؤدي إلي حجرة الدفن .

ورسوم مقصورة المقبرة علي أعظم جانب من الأهمية ، فعلي النصف الشمالي من الحائط الشرقي مناظر لحروب وقعت بين المصريين وبين شعب عاش في الجزء الشمالي من بلاد العرب أو في جنوب فلسطين .

ويري فيه رماة السهام المصريون وهم يهاجمون إحدى المدن ، بينما يحارب مشاة المصريين المسلحين بفئوس الحرب ضد الآسيويين المجهزين بالهراوات .

وفي نفس الوقت الذي يقوم فيه الجنود المصريون بنقب أساسات أسوار المدينة بواسطة عتلات مسننة ، ينصت أحد الآسيويين بعناية داخل الأسوار ليكتشف مكان الهجوم .

وهناك هجوم آخر يقوم به حلفاء المصريين من البدو مستخدمين سلماً .

وهناك رسم يمثل رئيس المدينة جالساً على عرشه وهو يشد شعره حزناً علي سقوط مدينته الوشيك ، ويعتبر هذا أكثر المناظر طرافة في المقبرة ويفوق بكثير المناظر المماثلة في مقابر الأسرة الثانية عشرة في بني حسن .

أما المناظر الباقية فهي في الغالب من المناظر المألوفة في الدولة القديمة ، ففيها صيد الطيور بواسطة الفخاخ وجمع البردي وصيد السمك وصناعة القوارب .

وهناك منظر علي الحائط الغربي بين الباب في الزاوية الشمالية الغربية والكوة الوسطي يمثل قارب انتي وهو واقف أمام مقصورته .

وألقابه مكتوبة كالآتي : « نديم الملك ، المشرف علي التوزيع ، المشرف علي

الآثار الملكية ، حاكم القلعة ، زعيم الأرض ، المقرب من سيده ، انتي ، هذا وتوجد رسوم كثيرة لانتي وزوجته ، مريت - مين ، في المناظر الأخري .

وبعض هذه المناظر قد أتلفت لسوء الحظ نتيجة للتعصب القبطي ، فلقد شغل المكان كمسكن لجماعة من الأقباط الذى شوهوا النقوش ، وكتبوا كتابات دينية (يمكن وصفها علي وجه أصح ، بالمخربشات ،) باللون الأحمر علي الجدران ، وغطوا الكثير من الجدران بالطين والقاذورات .

وتعتبر مقبرة ، شدو ، أيضاً بسيطة للغاية ولو أن شكلها غير عادي ، فواجهتها أوطأ من مقصورتها التي يمكن الوصول إليها بواسطة درجات سلم الفناء ، وفي المقصورة صف من ثلاثة أعمدة وعمودين مربعين متصلين بالحائط تقسمها إلي قسمين .

غير أن هذه الأعمدة قطعت بدون رحمة للحصول علي الأحجار ، وتوجد بالناحية الغربية كوة كانت معدة للباب الوهمي ، وتحت أرضية الكوة بئر توصل إلي حجرة الدفن .

أما السرداب فكان إلي الجهة القبلية من الكوة ومنه يبدأ ممر ضيق يفضي إلي الخارج فوق الصخر ، وبهذا تستطيع ، كا ، شدو أن تصل في أي وقت إلي تماثيله الجنائزية .

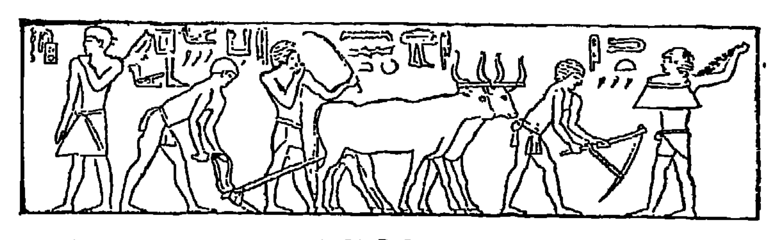
أما المناظر المنحوتة فهي في أغلبها مناظر مألوفة ، غير أن البعض الذي يمثل عمال الضيعة جدير بالملاحظة .

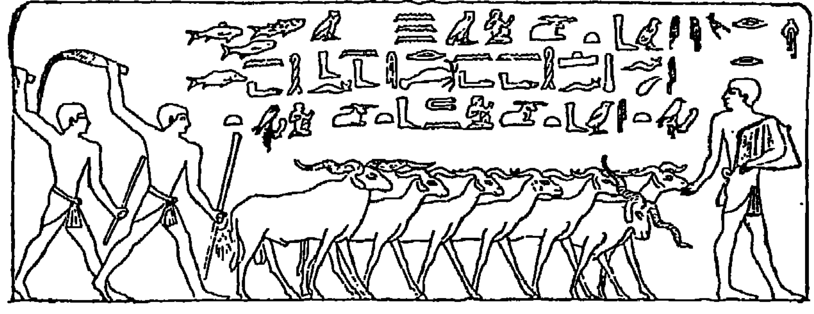
وقد عثر بتري في إحدي المقابر المبنية علي شكل مصطبة - لأحد أشراف الأسرة الخامسة علي تمثال من الحجر الجيري لمن - خفتي - كاي .

ويعتبر إحدي نفائس المتحف البريطاني حيث يؤرخ بالأسرة الرابعة وينسب خطأ إلي دهشور بدلاً من دشاشة (بدج - التماثيل المصرية بالمتحف البريطاني - لوحة ٣ وصفحة ٧) (١) .

---

(١) (Budge, Egyptian Sculptures in Britsh Museum, Plate III, and P. 7) .



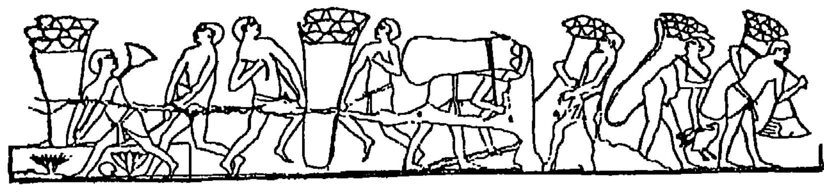


(شكل رقم ٤٧)

منظر يمثل الزراعة في عهد الدولة القديمة من حرث وبذر الحبوب والمنظر السفلي يشاهد فيه أغنام ورعاتها سائرة علي الأراضي المبذورة لغرس الحبوب في الأرض

(من مقبرة انتي)





(شكل رقم ٤٨)

قطيع من الثيران والبقر يخوض غديراً وأسفله رجال يقومون بجمع سيقان البردي وضمه بهيئة حزم وبعض الرجال يقومون بحمله من مقبرة انتي (الدولة القديمة)

(الفشن)

وعلي مسافة مائة ميل تقريباً من القاهرة نصل إلى مدينة الفشن وهي حاضرة مركز - وعلي مسافة قليلة إلي الجهة القبلية منها تقع قرية الحيبة التي كانت في الأيام القديمة تسمي مدينة « حات بنو » وكانت مركزاً لعبادة الفينكس .

ومازالت أسوار هذه المدينة التي أقيمت في عهد الأسرة الواحدة والعشرين في حالة جيدة نسبياً ، كذلك يوجد بها بقايا معبد لآمون أقامه الملك شيشنق الأول من الأسرة الثانية والعشرين .

علي أن هناك ما هو أكثر طرافة من تلك البقايا القليلة والمتأخرة التي تري هناك ، ألا وهي تلك الواقعة التي تحدثنا عن العثور في الحيبة عام ١٨٩١ علي أوراق كثيرة من البردي التي اشتراها الأستاذ جولينشيف عالم الآثار الروسي والتي اتضح أنها تحوي القصة المشهورة « لمغامرات ونامون » .

أما سبب وجود هذا المستند في الحيبة بدلاً من وجوده في محفوظات معبد آمون في طيبة حيث كان مؤلف القصة ونامون « كبير صالة بيت آمون » فيعتبر لغزاً إن لم يكن ذلك الملف الثمين الذي استحوذ عليه جولينشيف مجرد صورة من التقرير الذي قد نعثر عليه في المستقبل في طيبة .

ولو أن هذا بعيد الاحتمال ، وعلي أية حال فالحيبة تستحق الذكر لأنها أمدتنا بواحد من أهم المستندات التي لا تقدر بمال من أيام الملوك الكهنة في طيبة .

(البهنسا)

وهناك علي مسافة ٢٠ ميلاً تقريباً من الفشن[1] نجد خطاً فرعياً يمتد من

---

(١) لقد دخلنا الآن فى محافظة المنيا التى تعد من أحفل المحافظات بالمناطق الأثرية الهامة التى تضم تراثاً مجيداً خلفه لنا أجدادنا القدماء ، يشهد لهم بجمال الذوق ودقة الإحساس والقدرة الفنية العالية .

=

بني مزار [1] = – وهي حاضرة مركز – إلي صندفا وهي قرية تقع علي البر الشرقي لبحر يوسف الذي يجري هنا ملاصقاً لحافة الهضبة الغربية .

وعلي البر الغربي توجد قرية « البهنسا » التي نالت في السنين الأخيرة شهرة عالمية ، وهي تشغل مكان المدينة المعروفة باسم اكسرنكس التي عرفت في العصور القديمة باسم « بر – مدچت » عاصمة المقاطعة التاسعة عشرة .

وقد اشتق اسمها اليوناني من سمكة الاكسرنكس التي كانت هنا موضع تقديس .

وفي العصور المسيحية الأولي كانت مثلاً مبالغاً فيه لجنون الرهبنة الذي تفشي في مناطق معينة في صعيد مصر ، وقد قيل إنها كانت تضم ما لا يقل عن ١٠ آلاف راهب ، و ١٢ ألف راهبة في الأسقفية التي كانت هذه البلدة مركزها .

ولا شك في أن هذا لم يكن في صالح المنطقة تماماً ، علي أن شهرتها الحالية لا تتصل بهذا النمو المرتب علي المسيحية بل للحفائر التي قام بها جرنفل وهنت في عام ١٨٩٧ .

وما هو معروف عن غني النفائس التي حصل عليها الباحثون عن البردي من كيمان الأترية المتخلفة عن كثير من المدن المصرية .

(مدينة اكسرنكس)

بزت خرائب مدينة اكسرنكس غيرها في عدد أوراق البردي الثمينة التي ظهرت بها نتيجة بحث الباحثين .

علي أن الاكتشافات التي جعلت من اكسرنكس مدينة شهيرة كانت علي الأخص تمثل في هاتين المجموعتين اللتين عرفتا باسم أقوال يسوع المسيح ، والأوراق المماثلة لها مثل الأجزاء الخاصة ببضعة أناجيل مفقودة .

= ويمكن للزائر أن يزور عشرات من تلك المناطق لعل أولها – إذا اتجهنا من الشمال إلى الجنوب – منطقة شارونة على الضفة الشرقية للنيل فى جنوب مغاغة حيث أقام « بيبى عنخ » من نبلاء الدولة القديمة مقبرة جديرة بالمشاهدة .

ولكن اكسرنكس ، بصرف النظر عن كل هذا ، كانت لابد أن تشتهر بسبب غناها في النصوص اليونانية ، ومن بينها مخطوط أفلاطون المعروف باسم « مقالة أفلاطون ، الهلينيكا » .

وهي نسخة من كتاب تاريخي لمؤرخ يوناني من الطراز الأول غير معروف ، وكذا مخطوطات من أشعار باخيليديس ، وكتابات بندار ، وقطع متناثرة لسافو وألكمان وكاليماكس وكثير من النفائس الأخري .

أما الزائر الذي يمضي في اكسرنكس بحثاً عن بقايا هامة فلابد أن يتولاه اليأس – إذ ليس هناك مكان موحش وخال من الملامح مثل منظر كيمان الأترية التي يتميز بها كل مكان عثر به على أوراق البردي .

وليست اكسرنكس أفضل ، إن لم تكن أسوأ ، في هذه الناحية من تبتونس وارسنوي وانتينوي ، ولكن المكان الذي يستخرج منه هذه النفائس التي أغرقت العالم لا يمكن إلا أن يكون له أهميته الخاصة حتي بالنسبة لهؤلاء الذين لايفرقون بين بردية وأخرى إلا بدرجة خشونتها ورثاثتها .

وعلي بعد قليل من الشرق والجنوب من اكسرنكس وعلي البر الشرقي لبحر يوسف تقع القرية الصغيرة المعروفة بالقيس ، وهنا تقع حاضرة المقاطعة السابعة عشرة التي كانت تدعي مقاطعة ابن آوي .

إذ كان إلهها المحلي أنوبيس الممثل برأس ابن آوي وهو الذي كان يعتبر كقائد لأرواح الموتى .

ونظراً لأن ابن آوي أو الكلب كان مقدساً فقد أطلق اليونان علي هذه البلدة اسم كينوبوليس أي مدينة الكلب .

ولم يكن هناك حب مفقود بين مدينة الكلب ومدينة السمكة (كما يمكن أن تدعي اكسرنكس) وهذا ليس بغريب علي مدينتين متنافستين حتي بصرف النظر عن عنصر إضافي للمنافسة وهو اختلاف العبادة .

وها هو ذا بلوتارك يقص علينا كيف كان يظهر أهـــالي كل مدينة احتقارهم

لإله المدينة المجاورة فتتغذي إحداهما بالكلب والثانية بالسمك ، ولنا أن نقرر أن سكان مدينة الكلب كانوا أحسن حظاً .

ولو أن ذوق المصريين في أكل اللحوم لم يكن كذوقنا ، ومن الجائز أن الشعب الذي كان يسمن الضباع علي اعتبار أنها من أصناف الطعام الممتازة كان يجد متعة في أكل لحم الكلاب [١] .

وبعد نحو عشرين ميلاً أخرى إلى الجنوب نصادف جبلاً عالياً يرتفع علي الجانب الشرقي من النيل هو جبل الطير [٢] .

وتقع علي مسافة قصيرة منه إلي الجهة القبلية قرية طهنا الجبل حيث يوجد بجوارها بعض المقابر المنحوتة في الصخر من عصر الدولة القديمة .

وقد أعيد استعمالها فى العصر اليوناني ، وقد وجد بها السيد ج. فريزر الذى كشف عنها عام ١٨٩٣ أسماء الملك « منكاورع » من الأسرة الرابعة « وأوسركاف » من الأسرة الخامسة ، وليس لهذه المقابر أو للمعبد الصغير الذي يرجع تاريخه إلى العصر المتأخر أهمية خاصة .

(المنيـــا)

على بعد ١٥٣ ميلاً من القاهرة (١٥٧ ميلاً بطريق النهر) يصل المرء إلي المدينة الهامة المعروفة بالمنيا علي الضفة الغربية [٣] وتقع قبالتها علي الضفة الشرقية قرية زاوية الأموات حيث يوجد علي مسافة قليلة إلي الجهة القبليـة منها أحد التـــلال العديدة الموجودة في مصر والتي يطلق عليها اسـم (الكوم الأحمر) .

---

(١) يجب النظـر بحذر شـــديد إلى الكثير مما كتبــه المؤرخون القدماء من يونان وروم‍ـــان (المراجع) .

(٢) على قمة الجبل دير من العهد القبطى كما تقع فى أسفله جبانة من الدولة القديمة بها قبور محلاة بالمناظر والرسوم المختلفة على الحوائط (المراجع) .

(٣) يجدر بنا زيارة متحف الآثار بمدينة المنيا الذى يضم مجموعات أثرية من مختلف مناطق المحافظة ، وكذا نماذج لبعض آثار المحافظة التى نقلت خارجها (المراجع) .

(زاوية الأموات ، الكوم الأحمر)

وهذا الكوم يحدد مكان المدينة القديمة المعروفة باسم « حبنو » عاصمة مقاطعة الوعل التي تقع بين مقاطعة ابن آوي في الشمال ومقاطعة الأرنب في الجنوب .

وقد اشتهرت في عهد الدولة الوسطي بأنها كانت الحاضرة التى حكم فيها الأمراء المحليون العظام الذين سوف نرى مقابرهم قريباً في بني حسن والذين استطاعوا بتبادل الزيجات وغيرها من السبل أن يسيطروا في بعض الأوقات علي مقاطعة ابن آوى ومقاطعة الأرنب .

وقد اقتطع في بعض الأحيان الشريط الضيق والواقع بين الجبال الشرقية والنيل من مقاطعة الوعل ليتكون منه مقاطعة مستقلة بذاتها كانت تعرف باسم (أفق خوفو) أو « منات خوفو » أى « مرضعة خوفو » نسبة إلي مدينتها الرئيسية حيث ولد باني الهرم الأكبر أو على الأقل ربي فيها .

وكانت « منات خوفو » في عهد الدولة الوسطي تابعة لأمراء بنى حسن الأقوياء وخلف الكوم الأحمر توجد بعض المقابر الصخرية لحكام حبنو ولكنها مطمورة في الأتربة .

والمقبرة الوحيدة التي يمكن الوصول إليها لا ترجع للعصر الزاهر لمقاطعة الوعل ، بل ترجع إلى الدولة الحديثة وتخص « نفروسخرو » الذى كان مجرد مشرف على المخازن [١] .

(أبو قرقاص)

وأمام قرية أبو قرقاص التى تقع على البر الغربى قبلى المنيا ببضعة أميال توجد المقابر الصخرية المشهورة فى بنى حسن والمعبد الصخرى للإلهة الممثلة برأس

---

(١) كشف فى قرية زاوية الأموات أو زاوية سلطان حالياً بقايا بناء يعتقد أنه قاعدة لهرم من الدولة القديمة .

وتقع فى الجبل الأحمر جبانة الدولة القديمة التى مثلت على جدران قبورها ، وفى مقدمتها قبر « نى عنخ ببيى » و« جونس » ، مناظر متنوعة ، تمثل نواحى الحياة اليومية (المراجع) .

قطـــة المعروفـة باســـم « باخت » التي شـبهـها اليــونان ، لسبب غير معروف ، بإلهتهم ارتميس وسموا معبدها لنفس السبب كهف ارتميس [١] وأفضل مكان يصــل منه المرء إلي بني حسن هو المنيا ، وذلك بواسطة سيارة أو أتوبيس ثم بعدئذ يعبـر النيــل .

(كهف أرتميس)

سنزور أولاً كـهف أرتميس ، والمعـروف أن الإلهـة باخت المكرس لهـا الكهف كانت مظهـراً آخر من مظاهر الإلهـــة القطــة باستت وكانت أيضاً قريبـة الصلة من سخمت ذات رأس اللبؤة التى كانت تمثل الحرارة المدمرة للشمس .

على أن باخت كانت تمثل التـأثير الأكثر هدوءاً لحرارة الشمس ، ففي النص الطويل للملكة حتشبسوت وهو المنقوش بأعلى واجـهة الكهف تصفها لنا حتشبسوت بأنها « باخت العظيمـة التى تختـرق الوديان القائمـة فى وسط الأرض الشرقـية ذات الطرق التى اجتاحتها العواصف » .

ويقول جـارستانج إن الكهف كـان في الأصل مـحجـراً وإن الملكة حتشبسوت وتحتمس الثالث هما اللذان حولا هذا المحجر للغرض الديني ، وهنا قام سيتى الأول أيضاً ببعض الأعمال .

ويبـدو أن البناء لم يكتمل أبداً ، فقد كان به في الأصل رواق يستند سقفه علي صفين من الأعمدة بكل منـهما أربعة أعمدة ، أما الحجرة الداخلية فكانت مساحتها حوالى ٢١ قدماً مـربعاً ، وفى الحـائط الخلفى للغرفة الداخلية كوة من المحـتمل أنـها كانت معدة لوضع تمثال لباخت .

ولم يبق حـالياً من الأعمدة الثمانية التى كـانت موجـودة بالرواق سوى ثلاثة ، وهى تحـمل أسمـاء تحـتمس الثـالث وسيـتي الأول وقد وضـعت الأسمـاء الأخيـرة فى الأماكن الخالية التي أزال منها تحتمس الثالث أسماء الملكة حتشبسوت .

---

(١) يعرف اليوم باسم إسطبل عنتر نسبة إلى البطل العربى عنترة بن شداد (المراجع) .

أمـا النقوش في الداخل فقـد قام بحـفرها سيـتي الأول وحده وهي تمثل الملك متعبداً لآمون وباخت ، وفي الدهليز نص طويل لسيتي الأول .

علي أن أهميـة كـهف أرتميس يرجع إلي نقش حـتـشبسوت الذى نقش على واجـهـة الكهف ، وفيه تشيـر الملكة العظيمة إلى التخريب الذي قام به الهكسوس ، ولهذا أهميـة تاريخيـة كبرى باعتبار أنه أقرب تسجيل معاصر حصلنا عليه ونصه كالآتى :

« لقد رممت ما أصبح حطاماً وأقمت ما لم يكن قد أكمل منذ أن كان الآسيويون في قلب أفاريس في أرض الشمال ، ومنذ أن كان البرابرة فى صميمها يخربون ما أقيم ، بينما كانوا يحكمون متجاهلين إله الشمس » .

ويوجـد كهف آخـر غـرب أرتميس ويحـمل اسم إسكندر الثاني وهو ابن إسكندر الأكبرالمقدوني ودوكسانا وقد عاشا لفترة قصيرة [1] في هذا المكان .

(مقابر بنى حسن)

أما مقابر بنى حسن الصخرية وهى التى ينبغى أن نوجه إليها اهتمامنا بعد ذلك فهي سلسلة طويلة من المقابر تمتد لبضعة أميال علـى طول واجهة الهضاب الواقعة على الشاطىء الشرقى للنيل من نقطة تقع تماماً أمام قرية شرارة .

وتمتد حتى قرية اتليدم ، وتعتبر المجموعتان الواقعتان فى أقصى الشمال وفى أقصى الجنوب أقدم هذه المقابر .

فالمجموعة الشمالية ترجع إلى الأسرتين الثانية والثالثة على حين تخص المجموعة الجنوبية الأسرة الخامسة ، وهذه المجموعة الأخيرة تقع إلي الجنوب مباشرة من الوادى الواقع به كهف أرتميس .

---

(١) بالمنطقة قبور ترجع إلى العصر المتأخر وجبانة للقطط البرية ، وهى الحيوان المقدس للإلهة باخت (المراجع) .

وتقع إلي الجهة الشمالية مباشرة لهذا الوادى مقابر من عهود الأسرة العشرين إلي الثلاثين ، ولكن مجموعة المقابر الملفتة للنظر وذات الأهمية البالغة هى مقابر الأسرة الثانية عشرة الخاصة بحكام مقاطعة الوعل .

وتقع هذه المقابر فى منتصف المسافة لهذا الخط الطويل من المقابر قبالة أبو قرقاص مباشرة .

وهناك جبانة كبيرة لأفراد الحاشية والموظفين التابعين لأمراء مقاطعة الوعل واقعة مباشرة تحت واجهة الهضبة التي تضم المقابر الفخمة لرؤسائهم الإقطاعيين .

وقد بحث هذه المقابر جارستانج فى ١٩٠٢ - ١٩٠٣ و ١٩٠٣ - ١٩٠٤ وانتهى إلى نتائج مثيرة وقيمة ولكنها لا تهمنا حالياً .

وتعتبر المجموعة الكبيرة من مقابر الدولة الوسطي الخاصة بالحكام من أروع ما خلفه لنا هذا العصر الذي يعد أعظم عصور التاريخ المصري متعة .

ويبلغ عددها ٣٩ مقبرة وتمدنا الكتابات فى اثنتى عشرة منها بأسماء الأشخاص الذين أقيمت المقابر من أجلهم .

ومن بين هؤلاء ثمانية كانوا رؤساءاً وحكاماً عظاماً ، واثنان منهما كانا أميرين وواحد آخر كان ابن أمير ، وآخر كان كاتباً ملكياً .

(١) تعتبر منطقة بنى حسن من أهم مناطق الآثار فى مصر ، وتقع بالضفة الشرقية للنيل ، حيث تبعد ٢٧٧ كم جنوبى القاهرة وقريبة من بلدة أبوقرقاص على الضفة الغربية للنيل بمحافظة المنيا - ومنطقة بنى حسن بها مقابر حكام الإقليم السادس عشر (اقليم الغزال) من أقاليم الوجه القبلى ، وهى منحوتة فى الصخر وجدرانها مغطاة بنقوش ملونة فوق طبقة من الملاط عليها مناظر تمثل مختلف مظاهر الحياة اليومية إلى جانب مناظر تقديم القرابين - وكان أمراء هذا الإقليم يعتزون كثيراً بجيشهم ويجدون متعة كبرى فى التمرينات الرياضية ليحتفظوا بمرونة أجسامهم ولذلك اشتهرت مقابر بنى حسن بما فيها من مناظر كثيرة تمثل الهجوم على الحصون والمصارعة والمبارزة بالعصا وكلها فى حالة جيدة وأهم مقابر بنى حسن مقبرة امنمحات (أمينى) رقم ٢ وخنوم حتب رقم ٣ ومقبرة باخت رقم ١٥ وابنه خيتى رقم ١٧ وعلى مسافة ٢ كم جنوبى المقابر نجد مدخل وادفيه معبد منحوت ومعروف باسم اسطبل عنتر من أيام الملكة حتشبسوت (المراجع) .



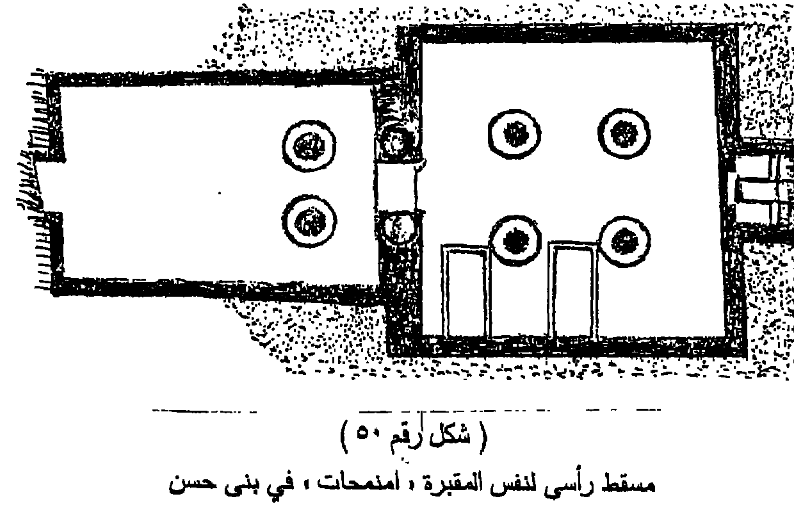
(شكل رقم ٥١)

منظر لواجهة مقبرة صخرية من مقابر بني حسن وهى محفورة فى الصخر ويشاهد أيضاً بعض مداخل المقابر المجاورة فى نفس المنطقة



(شكل رقم ٤٩)

مسقط أفقي لمقبرة امنمحات في بنى حسن



(شكل رقم ٥٠)

مسقط رأسي لنفس المقبرة ، امنمحات ، في بنى حسن

وبهذا فإننا ننتقل بزيارتنا لهذه المقابر بين عظماء القوم في المجتمع المحلى فى مصر الوسطى .

وتقع أقدم المقابر إلى الجنوب من هذه المجموعة التى تمتد على طول الهضبة لمسافة ربع ميل تقريباً .

وهذه المقابر القديمة ترجع إلى الأسرة الحادية عشرة ، وتتكون فى العادة من حجرات مستطيلة بسيطة مع بئر للدفن ومقصورة ذات سقف يستند في بعض الأحيان علي أعمدة مستديرة منحوتة في الصخر .

وإذا ما مررنا أمام هذا الصف من المقابر متجهين نحو الشمال وجدنا مقابر أشراف الأسرة الثانية عشرة وقد أصبحت تدريجياً أكبر وأكثر إتقاناً .

والكثير منها ذات أروقة ، والنظام الداخلى فيها أتم ، وزخرفتها على العموم أكثر إتقاناً أيضاً ، وفي حالة من الحفظ أحسن ، ولو أنها فى بعض الأحيان قد أصابها بعض التلف منذ أن اكتشفت ، ولم يكن ذلك بفعل الزمن فقط بل بسبب السواح والزائرين أيضاً .

والمقابر جميعها منحوتة فى نفس طبقة الحجر الجيرى فى منتصف الهضبة تقريباً ، وكانت الطريقة التى استعملت فيها كالآتي : يستحدث مدخل فى واجهة الهضبة حتى الارتفاع الذى يرى فيه المهندس المعمارى سمكاً كافياً فى الصخر فوق حافة السقف .

غير أن المهندس قد أساء التقدير في هذا الموضوع فى إحدي الحالات وذلك فى المقبرة رقم ٢٩ مما أدى إلى سقوط السقف .

وهناك من الأدلة ما يشهد بأن جزءاً كبيراً من هذا العمل قد تم بواسطة آلات نحاسية ولكن حجر الصوان قد استعمل أيضاً بدرجة كبيرة كما يبدو من بقايا الآلات التي استهلكت .

وعندما ينتهى العمل فى الواجهة الرئيسية فإن الخطوة التالية تتناول نحت

أعمدة الرواق نحتاً مبدئياً ثم استحداث الباب الرئيسي ، وبعد ذلك يبدأ الحفر داخل المقبرة حيث يقوم العمال باستخلاص الصخر في كتل يقرب حجمها من ٦٠ بوصة × ٢٠ بوصة × ٢٢ بوصة مبتدئين بالسقف إلى أسفل .

ولم يكتمل العمل فى الكثير من المقابر ، وبذا أتاحت لنا فرصة تكوين فكرة عن طرق العمل التى استعملت .

وتعتبر المقبرة رقم ٤ لخنوم حتب الرابع أحسن مثال لذلك ، فتسوية الصخور لاستحداث واجهة عمودية نتج عنها تحويل ما كان بمثابة شرفة طبيعية فى الجبل إلى ممر عريض تنفتح فيه الأبواب المختلفة .

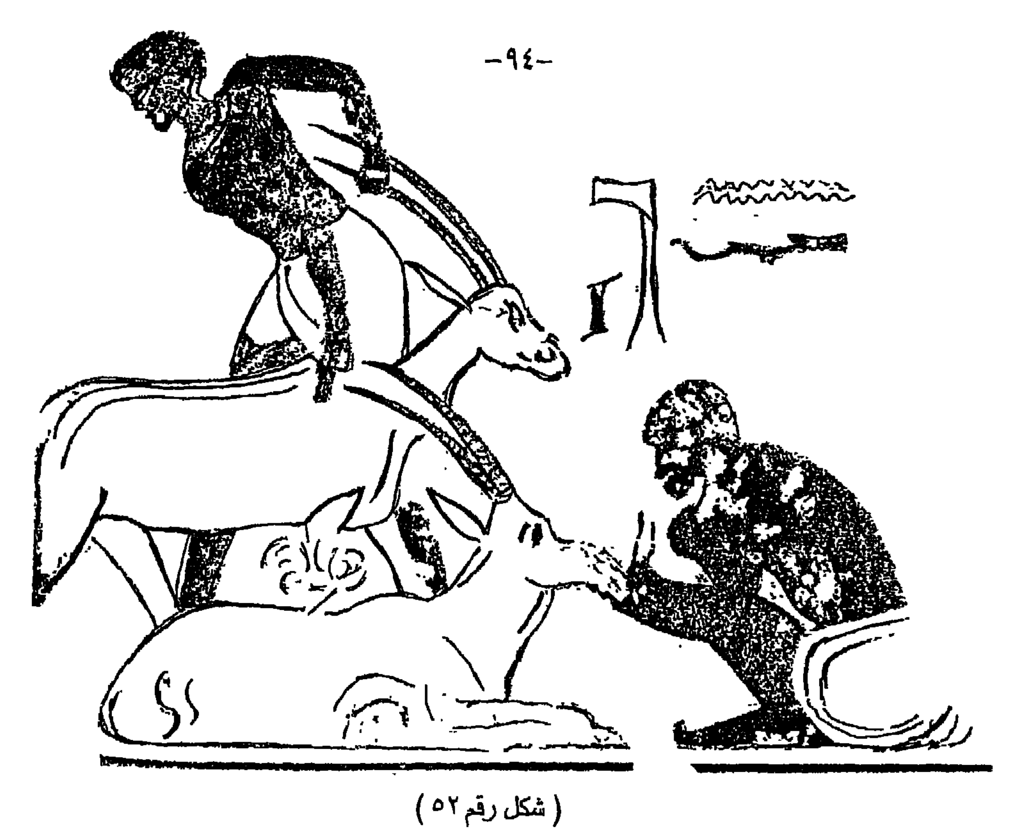
وهذا أتاح الفرصة للعمل في تكملة الواجهة برواقها ومدخلها التى تركت بطبيعة الحال منحوتة نحتاً خشناً حتى يكمل العمل الداخلى ، وما قد ينتج عن ذلك من ضرر قد يلحق بالمدخل والرواق .

ويلاحظ أن الممر الواقع أمام الواجهة ينقطع كثيراً أو قليلاً في إحدي المناطق بين المجموعتين البحرية والقبلية ، وفي أماكن متعددة كما هو الحال فى المقابر المقابلة ٢ ، ٣ ، ١٥ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ حيث تصعد الممرات من الوادى إلى أبواب المقابر .

وهذه المقابر فى مجموعها تعتبر أثراً رائعاً لحضارة الدولة الوسطى وهى تصطف على طول الهضبة لمسافة ربع ميل ، ، فمداخل المقابر الكبيرة ، تبدو بوضوح من أي نقطة من السهول الخصبة التى تقع تحت الهضبة .

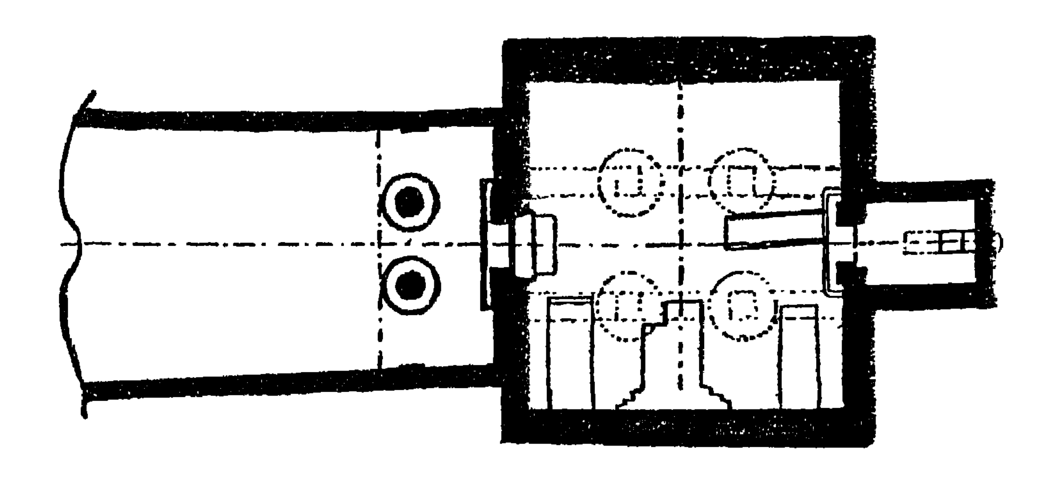
وهذا مما يوجب الدهشة والإعجاب ، وبالإضافة إلي ذلك فلابد أن طبيعة المنظر الذى يراه المرء من أعلي قد جلب الأنظار إلى هذا المكان .

فإلى مدي ما يقرب من أربعين ميلاً يمكن رؤية نهر النيل وهو يلمع تحت أشعة الشمس عندما يخترق متعرجاً الوديان الخضراء من الروضة حتي الهضاب البيضاء للكوم الأحمر في الشمال .



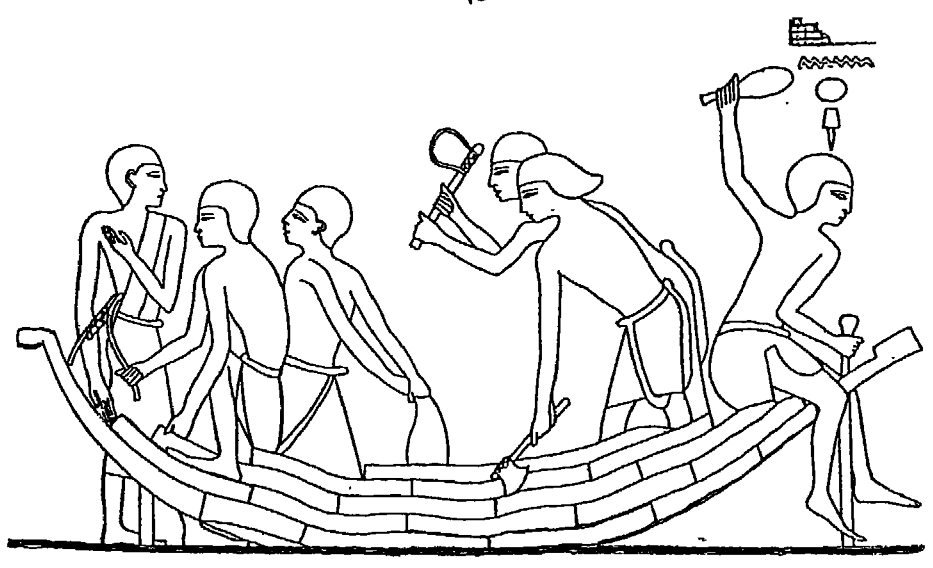
(شكل رقم ٥٢)

رسوم حائطية ملونة من مقبرة « خنوم حتب » ببني حسن تبين رجلين يقومان بإطعام زوج من الوعول ١٨٩٠ ق.م



(شكل رقم ٥٣)

رسم تخطيطى لمقبرة « خنوم حتب » ومدخلها ببنى حسن والمقبرة تحمل رقم (٣)



(شكل رقم ٥٤)

منظر من مقبرة ، خنوم حتب ، ببني حسن يمثل عمال يقومون بصناعة احدى المراكب

(الأسرة ١٢)





(شكل رقم ٥٥)

منظر آخر من مقبرة ، خنوم حتب ، ببني حسن يمثل قبيلة من ٣٧ شخصاً قدمت لمصر في عهد سنوسرت الثاني حوالى عام (١٨٨٩ ق.م)

وحيث ترى مآذن الجوامع البعيدة المدى فى المنيا عندما يحدث النهر انحناءه الأخير ثم يختفى بعيداً عن الأنظار .

وهذه المقابر [١] رائعة في جملتها غير أن بعضها ملفت للنظر فى تفاصيلها ، فواجهتا مقبرتى أمنمحات (أميني) وخنوم حتب الثانى بأعمدتهما ذات الأضلاع الثمانية والستة عشر ضلعاً علي التوالى مهيبتان لبساطتهما .

والحجرة الداخلية فى المقبرة الأولى بأعمدتها ذات الستة عشر ضلعاً وسقفها المقبب المنقوش وكوتها الغربية حيث يقوم تمثال أمنمحات ، لا يكاد يوجد ما يعلو عليها فى نوعها .

أضف إلى هذا أن رسوم المقاصير الملونة بفرق المصارعين والراقصين والبنات اللاتي يلعبن بالكرة ، ولو أنها ليست علي درجة متساوية من الدقة كما كان متوقعاً ، فإنها دائماً نضرة ومثيرة للاهتمام رغم ما عانته من تلف .

ورغم التغيرات الطبيعية وزوال ألوانها بمرور الزمن .

ويقول الدكتور هول : « تعتبر مقبرة أميني ببنى حسن كشفاً جديداً لهؤلاء الذين يستمدون معلوماتهم عن الفن المصرى بوجه أخص من المبانى الضخمة للكرنك وأبو سمبل».

فلا يوجد مبنى مثل صالة مقبرة أميني المتكاملة في نسبها ، ذات الأعمدة المربعة الجميلة – قد نحت في الصخر – فى العصور اللاحقة بمثل هذا الجمال وبمثل هذه الدقة فى محاكاة الأصل الذى اتبع فى رسم المجموعات المتعددة للمصارعين بالألوان على الجدران حول المدخل حتى الحجرة الداخلية .

والتى لا يمكن أن يدانيها إلا الرسوم الملونة فى أحسن العصور على الأوانى الإغريقية ، التى تحلى هذا الحائط بأشخاصها الملونة المتباينة .

حين كان لا يوجد فى العصور اللاحقة إلا صفوف من الكتابة الهيروغليفية المتكلفة الجامدة ، بإطاراتها المزخرفة ، هذه الرسوم لا يمكن أن تذكرنا بشيء أكثر

---

(١) جارستانج – عادات الدفن عند قدماء المصريين – ص ١٦ .

(Garstang, Burial Customs of Ancient Egypt, P. 16)

من الرسوم التي تحلي تابوت « كلازومنيا » وليست مقابر هذا القصر الأخرى أقل منها جمالاً » .

(التاريخ القديم للشرق الأدني ص ١٦٣ وينظر كذلك تاريخ كمبردج القديم المجلد الأول للوحات ، ص ٨٨) [١] .

ويبدو أن هذا المديح فى بنى حسن قد يقلل أكثر من اللازم من تقديرنا لقيمة الفن في العمل الذى تم فيما بعد أيام الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة .

فهناك قبل كل شيء أشياء جميلة في الكرنك وأبو سمبل تتميز بأنها فخمة على الأقل ، وعلى كل حال ، بصرف النظر عن المقارنات ، فليس هناك وجه للتساؤل فى أنها جديرة بكل تقدير .

ومن الصعب تتبع أصل الأسرة الكبيرة التي حكمت مقاطعة الوعل بجدارة تشرف حكام الأقاليم (إن صدقنا ما جاء في كتاباتها) ، ولكن هذه الأسرة قد وصلت إلي كامل سلطتها فى شخص خنوم حتب الأول .

وهو صاحب المقبرة رقم ١٤ من المجموعة ، ولكن قبل تعيينه الذى يرجع إلى عصر أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة حيث كان هناك أربعة أعضاء علي الأقل من نفس الأسرة قد تبوءوا مراكز هامة ولكنها لا تصل إلى المراكز المشرفة للأعضاء الذين جاءوا فيما بعد .

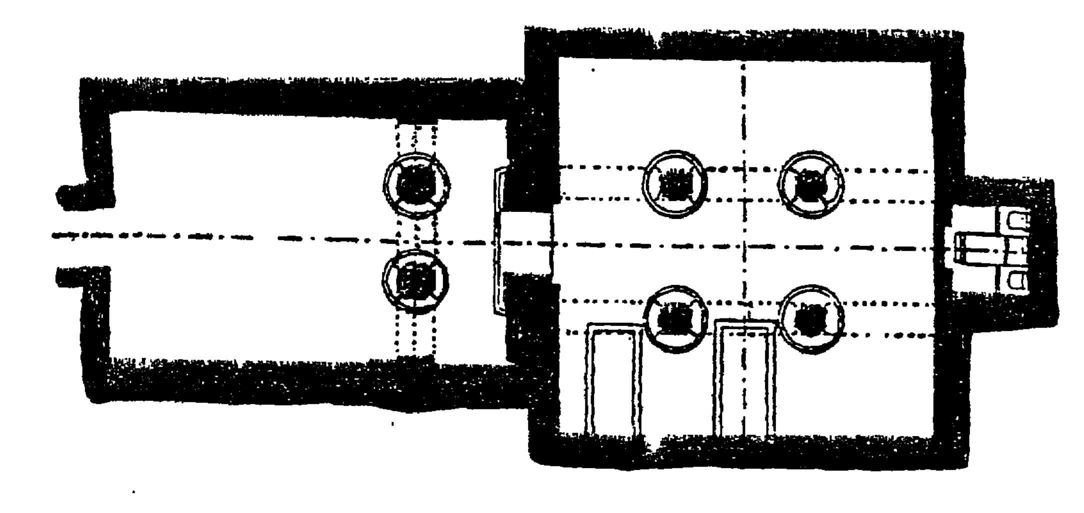
وكان هؤلاء ثلاثة حكام يحملون اسم باكت وواحد يسمي خيتي - وتتابع هؤلاء كان يجري على وجه التقريب على النحو الآتي : باكت الأول وباكت الثاني وراموشنتى وباكت الثالث وخيتى وخنوم حتب الأول .

وقد خلف خنوم حتب الأول ابنان هما نخت وأمنمحات « أميني » ، وقد عين نخت حاكماً لمدينة منات خوفو ، وأمنمحات حاكماً لمقاطعة الوعل [٢] .

---

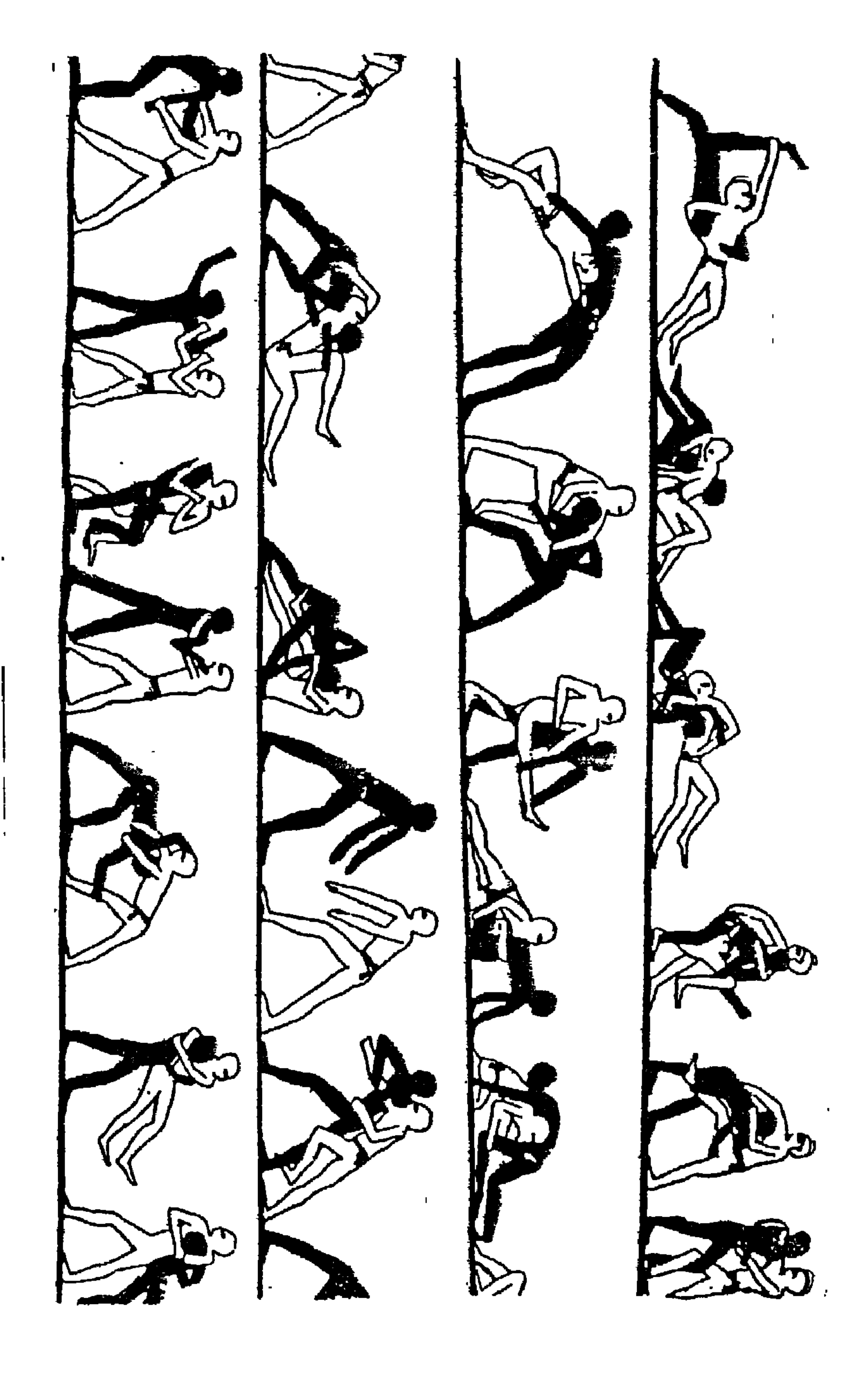
(١) (Ancient History of the Near East, P. 163; cf. alsi Cmbridge Anct. Hist., Vol I of Plates, P. 88) .

(٢) تضم هذه المنطقة ثلاثة أقاليم من الشمال إلى الجنوب : الإقليم السابع عشر وكان يسمى إقليم ابن آوى وعاصمته مكان بلدة القيس الحالية ، والإقليم السادس عشر أو إقليم الوعل وقد قامت عاصمة منات خوفو مكان زاوية الأموات الحالية والإقليم الخامس عشر أو إقليم الأرنب وعاصمته مكان الأشمونين الحالية (المراجع) .



(شكل رقم ٥٦)

مقبرة امنمحات (أميني) في منطقة بنى حسن رقم ٢ وهى تعتبر من أجمل الأمثلة في مجموعة مقابر بنى حسن ومقصورة هذه المقبرة منحوتة بنسب دقيقة وبطريقة تجعل لها تأثيراً مستقلاً عن مجرد حجمها ولا يوجد فى المعمار المصرى إلا القليل الذى يمكن أن يضاهيها لأن معظم الرسوم الملونة روعى فيها التحرر في التصميم والتنفيذ الذى يميزها



(شكل رقم ٥٧)

أوضاع المصارعة – مقابر بني حسن – الدولة الوسطى

وكان لخنوم حتب أيضاً ابنـة تدعي أيضاً باكت ، وقد تزوجت حاكما آخر هو: « نهري » وكـان أمير مقاطعة الأرنب ، ومن هذه الزيجـة ولد خنوم الثاني الذي مـات عمه نخت في الوقت المناسب ليترك له حكم منات خوفو في السنة التاسعة عشرة من حكم الملك أمنمحات الثاني .

ويبدو أن خنوم حتب الثاني كان يملك الموهبة التي تجعله يتزوج حيث المال أو الجاه ، إذ اختار خيتي أكبر بنات أمير مقاطعة ابن آوي زوجه له .

وقد عين لهذا نخت أكبر أبناء خنوم حتب الثاني أميراً لمقاطعة ابن آوي ، بينما عين ابنه الثاني المدعو خنوم حتب الثالث أميراً لمقاطعة منات خوفو .

وبذلك استولت العائلة كلها علي مقاليد الحكم في المقاطعات الثلاث لابن آوي والوعل والأرنب وكذا منات خوفو ، وقد ظلت لهم السيادة من منتصف الأسرة الحادية عشرة حتي منتصف الأسرة الثانية عشرة حيث يبدو أن نجمهم قد أفل .

وهذا سجل طريف للتاريخ المحلي - ومن الواضح أن عائلة خنوم حتب أثبتت أنها كانت سنداً لملوك الدولة الوسطي ، كما كانت عائلة خيتي بأسيوط سنداً لفراعنة هراكليوبوليس من الأسرة التاسعة .

وكمـا كانت عـائلة أحمس من الكاب سنداً للأسرتين السابعـة عشرة والثـامنة عشرة « أنظر نيوبري » « بني حسن » ، في المسح الأثرى لمصر - الجـزء الثـانى - ص ٥ وما بعدها » [١] .

وتقع أهم مقبرتين من هـذه المجموعـة في القسـم الشمالي ، وهما مـقبرتا أمنمحـات (أميني) [٢] وخنوم حتب الثاني (رقما ٢ و ٣) ، ويمكن الوصول إليهمـا بواسطة طريق قديم يؤدي مباشرة لرواق المقبرة رقم ٢ .

والمقبرة رقم ١ الموجودة إلي جهـة اليسار لم تكمل مطلقا فليس لها سوي رواق لم ينحت نحتاً تاماً وليس بها كتابة ولا تحوي بئراً .

---

(١) (Newberry, Beni Hasan, in the Archaeological Survey of Egypt, Vol. II, PP. 5 sq.).

(٢) كان حاكماً لإقليم الوعل أيام سنوسرت الأول ثانى ملوك الأسرة الثانية (المراجع) .

أما المقبرة رقم ٢ فيمكن اعتبارها أجمل مثال في المجموعة كلها ، فعتب الرواق فيها يسنده عمودان كل منهما ذو ثمانية أضلع ، ولو أنه من المحتمل أنه قصد أن يكونا ذوي ستة عشر ضلعاً مثل الأعمدة الموجودة داخل المقصورة .

إذ أن العمل في الرواق لم يكتمل أبدا ، ووراء الأعمدة نجد سقف المدخل مقبياً ويبلغ ٢٣ قدماً في ارتفاعه ، أما الباب الكبير في المنتصف فيبلغ ارتفاعه ١٦ قدماً وعرضه أكثر قليلا من ٦ أقدام [١] .

والحجرة الرئيسية أو المقصورة مربعة الشكل وتكاد تبلغ ٣٨ قدماً في كل ضلع من أضلاعها ، وتنقسم إلي ممر أوسط وممرين جانبيين وذلك بواسطة صفين من الأعمدة ذات ستة عشر ضلعاً .

ويتكون كل صف منهما عن عمودين ، والعمود القريب من الهيكل المنحوت في الحائط الشرقي محطم فيما عدا قطعة منه ما زالت معلقة بالعتب .

وقد حفرت أضلاع الأعمدة حفراً قليل الغور يتراوح عمقه من نصف بوصة تقريباً إلي أكثر قليلا من ربع بوصة .

ومن بين الستة عشر ضلعاً ترك ضلعان - وهما المواجهان للصفين الشرقي والغربي للمقبرة - دون حفر ، ومن المحتمل أنه قصد بذلك أن يكونا معدين لنقش كتابة عليهما ولكنها لم تتم قط .

وقد شكلت أسقف الممر الأوسط والممرين الجانبيين في صورة قبو مسطح بعض الشيء ، فالارتفاع حتي قمة القبو يبلغ ٢١ قدما . ويغطي سطح القبو رسوم مضلعة .

وفي منتصف الحائط الشرقي باب ارتفاعه ١٠ أقدام وتسع بوصات يؤدي إلي الهيكل أو على وجه أصح إلي الباب الوهمي الذي يوجد أمامه تمثال القرين (كا)

---

(١) سجل علي المدخل نص طويل عن حياة صاحب المقبرة وخاصة ما يتعلق باشتراكه في الحملات الحربية وبعثات المناجم ، كما ذكر النص أن صاحب المقبرة كان منصفاً عادلاً وحاكماً مهاباً .

لإمنمحات ، وقد تحطم هذا التمثال الذي يبدو من القطع التي عثر عليها في أثناء الحفر أنه كان قدر الحجم الطبيعي مرتين ونصف .

وكان الهيكل يغلق بواسطة باب له مصراعان . وبالمقصورة الأساسية في الجانب القبلي بئران للدفن .

وعلي العموم فإن مقصورة المقبرة منحوتة بنسب متناسبة دقيقة وبطريقة تجعل لها تأثيراً مستقلا عن مجرد حجمها ، ولا يوجد في المعمار المصري إلا القليل الذي يمكن أن يضاهيها .

وهنا لا نجد الرسوم كما هو الحال في صقارة بارزة بل نجدها ملونة بشكل يدعو إلي الاهتمام الكبير ، خاصة وقد روعي فيها التحرر في التصميم والتنفيذ الذي يميزها .

وعلي هؤلاء الذين يعتبرون الفن المصري جافاً وتقليدياً أن يدرسوا هذه المجموعات من المصارعين هنا وفي مقبرة خنوم حتب الثاني ، ورسوم الفتيات اللواتي يلعبن الكرة في مقبرة باكت رقم ١٥ .

وإذ ذاك سوف يجدون من الأسباب ما يجعلهم يغيرون من آرائهم ، وفي هذا يقول (الدكتور هـ . ر . هول في تاريخ كمبردج القديم . الجزء الأول - ص ٥٧٥) (١) :

« إن مجموعة المصارعين المرسومة بالألوان علي جدران الصالة الخارجية لمقبرة أميني تبدو فخمة علي وجه خاص بسبب التحرر والواقعية اللتين روعيتا في رسمها والقريبة من « الإحساس الإغريقي » .

فالرسوم الملونة في هذه المقبرة وفي مقبرة خنوم حتب تعتبر أحسن مثال من الدولة الوسطي للتلوين بالماء الذي يقابل الطريقة الكريتية للتلوين بالفرسكو الحقيقي .

ومن الأشياء التي يجب ملاحظتها فى هذا النظام العجيب للوحة الرسام المصري في هذا الوقت (٢٠٠ ق . م) فلقد استطاع التخلص من الكثير من الألوان التي تشبه قوس قزح .

---

(١) (H. R. Hall, Cambridge, Anct. Hist, Vol. I P. 575).

بينما نجد الرسام البابلي لم يستطع أن يتطور ليدرك كنه الألوان حتي وقت متأخر ، وأن الدقة العجيبة التي نفذ بها الرائع من هذه الرسوم في ظلام المقابر المصرية الدامس لأمر يدعو حقاً إلي الدهشة والتأمل .

وترتيب المناظر يجري علي النحو الآتي :-

الحائط الغربى (ويتخلله باب الدخول) . الجانب الشمالى

الصف الأول . صناع السكاكين الصوانية من حجر الصوان وصناع الصنادل .

الصف الثاني . أعمال النجارة والأقواس والجلود والسهام والكراسي والصناديق

الصف الثالث . صناع الحلي .

الصف الرابع . صناعة الفخار .

الصف الخامس . زراعة الكتان وصناعته .

الصف السادس . الحصاد .

الصف السابع . الحرث والبذر .

أما الصفوف السفلية علي الجانب الجنوبي من الحائط الغربي فقد تخللها رسم الباب الوهمي لأمنمحات حيث توجد عليه الصلوات الجنائزية المعتادة التي تذكر أزوريس وأنوبيس لصالح أمنمحات وزوجته حتبت وهذه النقوش مهشمة تهشيما كبيراً ، أما المناظر فهي مرتبة علي النحو الآتي .

الصفان الأول والثاني . زراعة الكروم .

الصفان الثالث والرابع . صيد السمك والطيور .

الصف الخامس . إدارة المنزل ومناظر الفاكهة والأعشاب واللحوم والخبز والبيرة .

الصف السادس . خدم الأميرة حتبت ومعهم أدوات الزينة والخبازون .

الصف السابع . الموسيقيون وصناع الحلوى .

الصف الثامن . الموسيقيون والثيران تخترق المياه الضحلة .

الحائط الشمالي (على يمين الداخل)

الصفان الأول والثاني . الصيد بالشباك في الصحراء .

الصف الثالث . موكب المحراب وبه تمثال أميني ثم الكهنة والراقصات والأكروبات.

الصف الرابع إلي السابع . موكب موظفي وخدم منزل أميني ومعهم الهدايا .

الحائط الشرقي

ويشمل المناظر الآتية التي يتخللها في حالتنا هذه باب الهيكل الذي كان يوضع به تمثال أميني .

الصفوف : الأول والثاني والثالث . المصارعون .

الصفان الرابع والخامس . الجنود وهم يهاجمون القلعة ومناظر الحرب .

الصف السادس . الحج إلي محرابي أزوريس الرئيسين .

(أ) ناقلة عليها مومياء أميني يجرها مركبان مبسوطا الشراع وقد ذكرت العبارة الآتية : « الإبحار إلي الجنوب لنيل البركة من أبيدوس للأمير أمنمحات »

(ب) قارب خاص بالحريم يجره مركبان منكسا الصاري وقد ذكرت العبارة الآتية :

« الإبحار شمالا لنيل البركة من دادو بوزيريس (١) للأمير أمنمحات» .

الحائط الجنوبي

علي هذا الحائط خط يقسمه إلي قسمين الأكبر منهما (إلي اليسار) وعليه يري الكهنة والخدم وهم يقدمون العطايا لأمنمحات وهو جالس ، بينما نجد علي اليمين عطايا مماثلة تقدم لزوجه حتبت .

ورسوم الحائط الشرقي من الهيكل مهشمة جداً ، بينما تحطم تمثال أميني الضخم ، ويوجد علي جانبي التمثال أو علي الأصح علي بقاياه رسم لزوجه حتبت إلي

---

(١) تسمى الآن « أبو صيرينا » جنوبي سمنود .

اليمين قد تهشم أيضاً ، ورسم مماثل لأمه حنو إلي اليسار ، أما الجدران فتحوي عطايا ونقوشاً وصلوات .

وتأتي بعد مقبرة رقم ٢ مقبرة رقم ٣ التي تخص خنوم حتب الثاني الذي سبق أن ذكرناه علي أنه ابن باكت ابنة خنوم حتب الأول .

فهو والحالة هذه ابن شقيقة أميني الذي تقع مقبرته بجوار مقبرة عمه – ولا بد أن مقبرة خنوم حتب الثاني كانت متشابهة في مظهرها لمقبرة أميني ولكن أعمدتها الداخلية قد تحطمت وبذا فقدت مميزاتها .

ولكنها مع ذلك ما زالت لها طرافتها وأهميتها الكبيرتان بسبب نوع مناظرها الملونة التي تضم المنظر الذي يمثل الآسيويين والذي أخذ علي أنه صورة لمجيء سيدنا يعقوب وأولاده وأسرهم .

وهذا الرأي قد رفض بالطبع من زمن طويل إلا أنه بقيت للصورة أهميتها باعتبار أنها تمثل مظهر وملابس ومستوي الحضارة التي كانت للساميين في سوريا في ذلك الوقت (حوالي ٢٠٠٠ ق ٠ م)

ويزين رواق هذه المقبرة عمودان لكل منهما ستة عشر ضلعاً ، ويري السقف مقبباً خلف العمودين كما هو الحال في مقبرة أميني .

أما المقصورة فتكاد تكون مربعة ويسند سقفها كما هو الحال في المقبرة رقم ٢ أربعة أعمدة لم يبق منها إلا جزء صغير ما زال مرتبطاً بالقاعدة وهو يوضح لنا أن الأعمدة كانت ذات ستة عشر ضلعا وأنها كانت محفورة حفرا قليل الغور .

وفي نهاية الحائط الشرقي من الحجرة ينفتح باب الهيكل كما هو الحال تماما في المقبرة رقم ٢ ، وفي الممر الجانبي القبلي نجد بئرين للدفن .

والواقع أن هذه المقبرة في جوهرها صورة طبق الأصل من المقبرة رقم ٢ فيما عدا الاختلاف في التفاصيل قليلة الأهمية .

وأهم تلك التفاصيل افريز ارتفاعه قدمان ونصف قدم يحيط بالحجرة كلها تحت المناظر الملونة .

وقد لونت هذه المصطبة بلون أحمر وردي قاتم عليه بقع سوداء وحمراء قاتمة وخضراء لتقلد الجرانيت ، وعلي هذا السطح حفر ولون باللون الأزرق النقش العظيم بالهيروغليفية الذي يسرد قصة حياة خنوم حتب وهو يشمل ٢٢٢ صفا رأسياً .

وقد وصفه بريستيد[١] علي أنه « أكمل وأهم مصدر لدراستنا عن العلاقات التي كانت تربط حكام المقاطعات الأقوياء وهم الحكام المحليون أو الأشراف في الأسرة الثانية عشرة ومعاصروهم من الملوك » (الوثائق القديمة - الجزء الأول - ٦١٩)[١] وهو أيضاً مصدر معلوماتنا عن تاريخ أسرة حكام مقاطعة الوعل والزيجات التي أمكنهم بها بسط سلطانهم علي المقاطعات الثلاث وعلي حكم إحدي الإقطاعيات .

أما الرسوم الملونة فهي في مجموعها متشابهة لتلك التي أوردناها بالتفصيل في مقبرة أميني .

---

(١) بريستيد - جيمس هنرى بريستيد (١٨٦٥ - ١٩٣٥) - كان أستاذاً لعلم الآثار المصرية ومديراً لمعهد الدراسات الشرقية فى شيكاغو عام (١٩١٩ - ١٩٣٥) وقد ذهب إلى برلين ودرس علم الآثار المصرية على يد العالم الكبير ادولف ارمان وقد زار مصر فى أوائل حياته وعمل سجل لكل النصوص الهيروغليفية التى تتضمن أي اشارة إلى تاريخ مصر وقد نشر نتيجة رحلته هذه فى خمسة أجزاء - ثم سافر إلى شيكاغو بعد ذلك عام ١٨٩٥ وعين محاضراً بمرتب ضعيف جداً - ثم عاد إلى مصر بعد عشر سنوات ١٩٠٥ وعمل على نقل النصوص المنقوشة على بعض الآثار - غير أن الظروف المالية المضطربة ظلت تضايقه ولم تلق مشروعاته التى كان يديرها لانشاء معهد بحوث شرقية أي نجاح ملحوظ - ثم جاءت الحرب العالمية الأولى وفى مايو ١٩١٩ وافق روكفلر الابن على أن يقوم بتمويل مشروع للبحث الأثرى فى مصر لمدة خمس سنوات غير أنه قامت صعوبات ازاء ذلك -غير أنه فى النهاية بدأت مشروعاته لتسجيل كل الآثار التاريخية فى مصر تتحقق وارسلت بعثه لمدينة هابو التى بدأت بالمسح الأثرى المعمارى فى الأقصر - وبدأ بريستيد العمل فى مصطبة مرروكا بصقارة - كما بدأ العمل فى مسح المناطق لعصر ما قبل التاريخ فى مصر تحت اشرافه ويعتبر بريستيد من أعظم علماء العالم وأنشطهم فى تلك الدراسات وألف كتابه الشهير عن تاريخ مصر وكذلك له عدة كتب عن الديانة المصرية القديمة كما ترجم القرطاس الطبى المعروف باسم « بردية ادوين سميث فى الجراحة » وأهم ما ارتبط باسمه تأسيسه للمعهد الشرقى بجامعة شيكاغو الذى يقوم بالبحوث الأثرية فى جميع بلاد الشرق الأدنى ومن بينها مصر (المراجع) .

(٢) (Breasted, Ancient Records, I S. 619).

الحائط الغربى (ويتخلله باب الدخول) - الجانب الجنوبى

الصف الأول : النجارون والحمالون .

الصف الثاني : بناءو السفن وصانعو الفخار .

الصف الثالث : أولاد وحريم خنوم حتب يبحرون إلي أبيدوس .

الصف الرابع : الغزالون والخبارون .

الصف الخامس . النحاتون (مهشم) .

الحائط الغربى - الجانب الشمالى

الصف الأول : تخزين وتسجيل القمح .

الصف الثاني : الحصاد والدرس .

الصف الثالث : الحرث .

الصف الرابع . حج خنوم حتب إلي أبيدوس .

الصف الخامس . الكروم ومناظر الحدائق والبساتين .

الصف السادس . الثيران تخوض المياه ومناظر صيد السمك .

الحائط الشمالى

ويري علي الجانب الأيسر من الحائط في أعلي : منظر خنوم حتب وهو يصطاد ، وعلي الجانب الأيمن تحت الكتابة يقف خنوم حتب ويصحبته أحد أولاده وتابع وثلاثة كلاب .

وهو يشرف علي أوجه النشاط المختلفة في مقاطعته ، وفي الصف الثالث من أعلي الحائط يقدم كاتبه نفر حتب السبعة والثلاثين آسيوياً (الممثلين فقط بعدد منهم) والكتابة التي تصف ذلك تجري كالآتي : « السنة السادسة تحت حكم جلالة الحورس ، مرشد الأرضين ، ملك مصر العليا والسفلي ، سنوسرت الثاني .

عدد الآسيويين الذين أحضروا بواسطة ابن الحاكم ، الأمير خنوم حتب ، ومعهم الكحل ، الآسيويين الشاسو [1] عددهم ٣٧ » .

---

(١) لفظ كان المصريون يطلقونه على البدو فى سينا وجنوب فلسطين (المراجع) .

ويجدر بنا أن نلاحظ علي الأخص في الصف الثاني من أسفل الحائط عند النهاية الموجودة إلي اليسار منظر الخادم وهو يحاول أن يرغم الوعل علي الرقود ليطعمه .

فهو يمثل حرية في الرسم قل أن نجدها في الفن المصري في أي مكان آخر ، فالذراعان المطوحتان إلي الوراء وما يتبع ذلك من بروز في الصدر قد مثل بمهارة تدعو إلي الإعجاب .

وفي الصف الذي رسم فيه وصول الآسيويين نري أن مميزات الزوار الآسيويين ولبسهم الزاهي الملون قد رسمت بأمانة ورئيس الفريق يدعي « أبشا » وهذا ما يعادل أبشاي في الإنجيل .

الحائط الشرقي (ويتخلله الهيكل)

ويري عليه خنوم حتب وهو يصطاد الطيور بعصا الرماية ويوقعها في الشرك بالمصايد المصنوعة من الشباك ويصطاد السمك بالحراب .

الحائط الجنوبي

وعليه خمسة صفوف من الخدم يقدمون العطايا لخنوم حتب الذي يجلس أمام مائدة القربان .

وفي الهيكل بقايا تمثال للأمير مزين – كما هو الحال في تمثال أميني – يصور زوجته خيتي وأمه باكت ، وعلي الحائط البحري للهيكل بناته الثلاث باكت وثنت ومرس يتقدمن من التمثال .

وعلي الحائط القبلي خمسة من أولاده هم نخت وخنوم حتب ونهري ونترنخت وخنوم حتب آخر يقبلون علي مائدة قربان أمام التمثال .

ومن المؤسف أن يكون النقش العظيم لخنوم حتب من الطول بحيث لا يمكننا سرده بأكمله ولكن شذرات قصيرة منه سوف تعطينا فكرة عن الغرور الممزوج بالثقة بالنفس لحاكم مصري نموذجي :

« ملك الوجه القبلي والبحري ، نوب كاورع (أمنمحات الثاني) ، المعطي

الحياة والقوة والحظوة مثل رع إلي الأبد ، الذي أورثني كابن أحد الحكام حكم والد أمي لحبه الشديد للعدل » .

« فهو أتوم نفسه ، نوب كاورع ، المعطي الحياة والقوة والحظوة وسرور القلب مثل رع إلي الأبد » .

« فقد عينني حاكما في السنة التاسعة عشرة علي منات خوفو حيث قمت بتجميلها كما امتلأت خزائنها بكل الأشياء » .

« وقد خلدت اسم والدي وجملت منازل الكا [1] والمساكن التابعة لها ، وبعثت بتماثيل إلي المعبد وخصصت لها قرابينها من خبز وجعة وماء ونبيذ وبخور كما خصصت شرائح لحم للكاهن الجنائزي ... وكان المديح الذي يوجه إلي بالقصر أكثر مما كان يوجه لأي رفيق أوحد » [2] .

« وقد امتدحني الفرعون أمام كل نبلائه ، وتقدمت جميع الذين كانوا يسبقونني ، وهذا لم يحدث قبلا لأي خادم ، وقد عرف طريقة حديثي وتواضع خلقي ، وقد كنت من المقربين من الملك وكنت ممدوحا في بلاطه ومحبوبا بين مرافقيه ، أنا الأمير الوارث والحاكم خنوم حتب بن نهري المحق » .

« وقد نلت تشريفا آخر فإن ابني الأكبر نخت المولود من خيتي عين مقاطعة ابن آوي بالوراثة من والد أمه وأصبح الرفيق الأوحد ، وعين رئيسا [illegible] الوسطي » .

« ومنح كل ألقاب الشرف بواسطة جلالة الملك سنوسرت الثاني المعطي [illegible] والقوة والحظوة مثل رع إلى الأبد ... وهناك أمير آخر هو المستشار ، والرفيق الأوحد والكبير بين الرفقاء الفريدين ، فلا يوجد مثيل له في صفاته » .

« هذا الذي يطيعه الموظفون ، إنه الفم الوحيد الذي يلجم أفواه الآخرين ، الذي يجلب الخير لأصحابه ، حارس باب الجبلية ، خنوم حتب بن خنوم حتب بن نهري المولود من سيدة البيت خيتي » .

---

(١) القبور .

(٢) أحد ألقاب التشريف لعظماء مصر فى ذاك الوقت .

وقد أوردنا ما يكفي للإبانة عما يجول في فكر خنوم حتب من أنه هو وأسرته كانوا بمثابة (ملح الأرض) في مصر من جيل إلي جيل .

وهو ولا شك اعتقاد كان يشاركه فيه كل واحد من طبقة الأشراف الذين لا حصر لهم ، والذين كانوا يعتقدون جميعاً أنهم المصدر الذي لا غني له لرخـــاء بلادهم .

وما أشبههم بالذبابة الطائرة فوق محور عجلة المركبة عندما تقول « أي غبار أسببه ؟ » .

والمقبرة رقم ٤ تخص خنوم حتب الثالث (أو الرابع إذا اعتبر الكاتب الملكي خنوم حتب ضمن سلسلة هذه الأسرة) ، وهي لم تكمل ، وبها رواق ذو عمودين مستديرين (منهما عمود مهدم) ومقصورة بديء في عملها .

والنقش الموجود علي عتب الباب يذكر اسم صاحب المقبرة وألقابه علي النحو الآتي : « الأمير بالوراثة خنوم حتب المولود من سيدة البيت چات » .

والمقبرة رقم ٥ لم تكتمل ، وبها رواق يسنده عمودان لكل منهما ستة عشر ضلعاً ، والمقصورة الرئيسية لم تكمل أيضاً ، وهي مصممة بحيث يكون لها ثلاثة ممرات ذات سقف مقبب ، وليس بها أى رسوم ملونة .

والمقبرة رقم ٦ تشمل حجرة صغيرة مربعة دون رسوم .

والمقبرة رقم ٧ لم تكتمل ، وبها بئر للدفن ، وخالية من الرسوم .

والمقبرة رقم ٨ عبارة عن حجرة صغيرة مربعة لم تكمل ، وبها بئران للدفن .

والمقبرة رقم ٩ بها بهو مفتوح صغير به بئر للدفن ، ثم مقصورة مستطيلة الشكل (بها بئر للدفن) ثم هيكل صغير .

والمقبرة رقم ١٠ لم تكتمل وتشمل حجرة مستطيلة وبئراً للدفن .

والمقبرة رقم ١١ لم تكتمل وبها رواق يحوي عمودين لكل منهما ثمانية أضلع وسقف مقبب ولم تنفذ المقصورة وليس بها رسوم أو نقوش .

والمقبرة رقم ١٢ لم تتم وليس بها رسوم .

والمقبرة رقم ١٣ تخص الكاتب الملكي خنوم حتب وتشمل حجرة مستطيلة صغيرة بها بئر للدفن ، وفيها ثلاثة نصوص ولكن ليس بها أي رسم .

والمقبرة رقم ١٤ تخص خنوم حتب الأول وتبدأ بباب كبير الحجم دون رواق ، وتكاد المقصورة أن تكون مربعة لها سقف مقبب مستو نسبيا ويزينها عمودان مستديران من الأعمدة المنحوتة علي شكل برعم زهرة اللوتس (وهما محطمان الآن) ، وبها بئران للدفن .

والرسوم بالمقبرة بهتت ألوانها ولكن الرسوم التي علي الحائط الشرقي تستحق الاهتمام فعليها صور المصارعين والجنود الذين يهاجمون إحدي القلاع ، وجماعة من الليبيين يتقدمهم كاتب مصري .

ويلاحظ أن السيدات الليبيات يحملن أطفالهن في سلات خلف ظهورهن ، ويتميز الرجال بالريشة الموضوعة في شعرهم وهي الرمز المميز لليبيين .

والمقبرة رقم ١٥ لباكت الثالث والد خيتي [1] ويوجد بها مدخل كبير عادي دون رواق ، ثم مقصورة مربعة ذات سقف مقبب وطرفها الشرقي مقسم بواسطة عمودين (محطمين) من طراز برعم زهرة اللوتس .

وفي الزاوية القبلية الشرقية من المقصورة نحت هيكل صغير ، وبالمقبرة سبعة آبار للدفن .

الرسوم – الحائط الغربي : مشوه تشويها كبيراً ، أما الحائط الشمالي فعليه مناظر صيد الحيوان والحلاقة وصناعة الكتان والغزل ، ومناظر لفتيات يلعبن ألعاباً بهلوانية وأخري لنساء يلعبن بالكرة .

ومناظر للرعاة وجامعي المكوس وصانعي السكاكين الصوانية والموسيقيين والصياغ والرسامين والنحاتين وصيادي الأسماك .

---

(١) أى أنه عاش أيام الأسرة الحادية عشر .

وعند الطرف الغربي للحائط نجد رسماً كبيراً لشخصين واقفين أحدهمايمثل باكت والآخر يمثل ابنته نفرحبوت حاتحور .

ومما هو جدير بالانتباه بوجه خاص صور البنات وهن يلعبن الكرة وعلي الحائط الشرقي رسوم المصارعين التي تضم ٢٢٠ مجموعة منهم تمثلهم في مواضع مختلفة .

والمصارعون هنا مصريون وقد رسم أحدهم بلون أحمر فاتح والثاني بلون أحمر بني حتي يمكن التمييز بين أعضاء جسم كل منهما .

وبخلاف ذلك يوجد منظر لموقعة حربية ، تمثل هجوماً علي قلعة ومناوشة في ساحة القتال – أما الحائط الجنوبي فيحوي مناظر الكروم وعمل الخبز والفطائر والقرابين ثم موكب تمثال باكت ثم جرد الأشياء وأعمال الحقول وصناع الفخار والمعادن والتمرينات والألعاب الرياضية .

والمقبرة رقم ١٦ وهي من الوجهة المعمارية من نفس طراز المقبرة رقم ١٥ ولكنها أصغر حجما وبها سبعة آبار للدفن ، ولكن ليس بها أي رسم أو كتابة .والمقبرة رقم ١٧ تخص الحاكم الأعظم لمقاطعة الوعل المدعو خيتي وبها باب كبير عادي بدون رواق ، والمقصورة مستطيلة الشكل .

وعلي طول الطرف الشرقي صفان من الأعمدة ذات براعم زهرة اللوتس ومنها اثنان كاملان ، وأعتابها في خط متعارض مع محور المقبرة .

وسقف الحجرة مقبب والأعمدة مرسومة بثمانية خطوط ملونة بألوان جميلة تحيط بجذوعها ، في حين أن تيجانها ملونة بألوان زرقاء وحمراء وبيضاء .

وبالمقبرة بئران للدفن ويلاحظ أن الرسوم مازالت في حالة جيدة نسبياً إلا أنها نفذت بطريقة غير متقنة ورسمت رسماً رديئاً .

فمجموعات المصارعين والأكروبات والبنات اللاعبات بالكرة وما عداها لا يمكن مقارنتها بالرسوم المماثلة في المقبرة رقم ١٥ فالمناظر هنا لا تعدو أن تكون مناظر عادية .

المقبرة رقم ١٨ وقد كان من الممكن أن تكون من المقابر الجميلة ولكنها لم تكمل ، ففيها مدخل عادي دون رواق وللمقصورة امتداد في الجانب الجنوبي ، أما النهاية الشرقية فمقسمة في عرضها بثلاثة صفوف من الأعمدة ذات براعم اللوتس .

بينما يوجد عمود واحد يسند السقف أمام الحائط القبلي حتي أول الأعتاب المستعرضة ، ومن بين هذه الأعمدة خمسة ما زالت قائمة ولكن ليس بالمقبرة رسم أو كتابة .

المقبرة رقم ١٩ والمقبرة رقم ٢٠ بكل منهما حجرات صغيرة لم يكتمل العمل فيها ، وليس بها أي كتابات أو رسوم .

المقبرة رقم ٢١ تخص ناخت عم خنوم حتب الثاني وهي من نفس الطراز المعماري للمقبرة رقم ١٥ ، ولكنها أصغر منها حجماً وأعمدتها مهدمة ولكن ما زال بها بقايا قليلة من الرسوم .

المقبرة رقم ٢٢ لم تكتمل وتتكون من مقصورة مستطيلة ، وبها بابان وهميان ما زال يحتفظان بآثار من الألوان .

المقبرة رقم ٢٣ وتخص نترناخت حاكم الصحراء الشرقية وبها مدخل عادي ، والمقصورة تكاد تكون مربعة والنهاية الشرقية منها معزولة بواسطة عمودين مهدمين في الوقت الحاضر ، والسقف والحائط الشرقي هما وحدهما اللذان تزينهما الرسوم ولكن هذا الحائط مشوه كثيراً .

المقابر أرقام ٢٤ و٢٥ و٢٦ وكلها لم تكتمل ولا تستحق أى اهتمام .

المقبرة رقم ٢٧ وتخص ريموشنتي الحاكم الأكبر لمقاطعة الوعل وليس في تفاصيلها المعمارية ما يستحق الذكر .

وبها رسم ملون لريموشنتي وكتابة علي الحائط الشرقي كما يوجد بها كتابة ملونة وبعض الأشكال المشوهة تشويهاً كبيراً علي الحائط الجنوبى .

المقبرة رقم ٢٨ وهي من الوجهة المعمارية من طراز المقبرة رقم ١٥ ولكنها

أصغر حجماً ولم يبق فيها غير عمودين ، وقد استعمل الأقباط هذه المقبرة في وقت من الأوقات ككنيسة .

المقبرة رقم ٢٩ وهي لباكت الأول الحاكم الأعظم لمقاطعة الوعل ، وقد شوهها الأقباط كثيراً ، وبها مناظر عادية في حالة سيئة جداً من الحفظ .

المقبرة رقم ٣٠ وتحوي مقصورة صغيرة مربعة لها سقف مقبب ، وفي نهايتها الشرقية هيكل صغير وعلي الحائط الشرقي رسم شخص مشوه .

المقبرة رقم ٣١ غير كاملة وتخطيطها غير واضح .

المقبرة رقم ٣٢ وتتكون الواجهة من رواق به عمودان مهدمان والصالة السابقة للمقصورة لها سقف مقبب .

أما المقصورة نفسها ففيها عمودان يقسمانها إلي ثلاثة ممرات ذات أسقف برميلية الشكل وجدرانها خالية تماماً من النقش .

المقبرة رقم ٣٣ تخص باكت الثاني الحاكم الأكبر لمقاطعة الوعل ولها مدخل عادي ومقصورتها تكاد تكون مربعة وسقفها مقعر تقعيراً بسيطاً .

وفي النصف الجنوبي من الحائط الغربي باب وهمي عليه كتابة هيروغليفية ، أما الرسوم فهي في حالة سيئة من الحفظ .

والمقابر ذات الأرقام ٣٤ و ٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٨ و ٣٩ لم تتم ، وكلها باستثناء المقبرة رقم ٣٥ التي بديء فيها حفر الرواق -- عبارة عن حجرات صغيرة مربعة خالية من الرسوم أو النقوش .

ولا شك أن أهم وأمتع تلك المجموعة الرائعة من المقابر هما المقبرتان ٢ و٣ اللتان تخصان أميني وخنوم حتب الثاني ، ويليهما في الأهمية المقبرتان ١٥ و١٧ وإحداهما وهي المقبرة ١٥ تحوي أجمل الرسوم والصور الملونة .

وعلي المنحدر الواقع أسفل المسطح الموجود به مقابر حكام المقاطعات تقع جبانة الموظفين والخدم الملحقين بهؤلاء السادة العظام .

وخلال الحفائر التي أجراها جارستانج في الأعوام ١٩٠٢ حتي ١٩٠٤ فحص ما لا يقل عن ٨٨٨ مقبرة في هذه الجبانة .

وقد وفق إلى نتائج هامة جداً فقد عثر علي مجموعات كبيرة من نماذج السفن والخدم وغيرها ولكنه لم يجد غير القليل نسبياً من الحلي تتمثل في القلائد المنظومة من الخرز الملون .

والقصة القديمة عن لصوص المقابر أعيد تمثيلها هنا كما حدث في كل مكان آخر في مصر ، فقد تمت السرقة في أول فرصة ممكنة .

ولم يترك اللصوص إلا بعض الأشياء الصغيرة ليست بذات قيمة جوهرية لتعوض المنقبين من العلماء الذين جاءوا بعد أربعة آلاف سنة .

ويقول الأستاذ جارستانج :[١] « مما لاشك فيه أنه حتي هؤلاء الذين استطاعوا بجهد كبير الدخول إلي حجرات المقبرة عن طريق إحداث ثقب في الصخر قد وجدوا بداخلها ما يعوضهم بعض الشيء عن تعبهم .

لقد كانت بغيتهم الحلي والأشياء الثمينة التي ندر العثور عليها بواسطة هؤلاء اللصوص المتأخرين – كما تدلنا علي ذلك معلوماتنا ، إذ إنه من النادر أن يكون قد فات علي هؤلاء الذين قاموا بالدفن أن يسلبوها ، ففي كثير من الحالات التي استطعنا فيها أن نفتح أبواب حجرات المقابر لأول مرة ، كنا نجد أن غطاء التابوت ، قد فتح عنوة وبسرعة .

وفي حالات أخري عندما كان من الصعب فتح التابوت ، كانت تستحدث الفتحات في جوانبه ، ومن هذه الفتحات سرقت محتوياته .

وفي حالتين علي الأقل كان يبدو أنه قد حدث تواطؤ بين صانعي التوابيت واللصوص ، إذ كانت هناك فتحة في جانب التوابيت بجوار الرأس ، وهذه كانت قد سدت بواسطة قطعة من خشب لونت بشكل التابوت حتي لا يمكن اكتشافها .

---

(١) (جارستانج – عادات الدفن عند قدماء المصريين – ص ٤٨) .

(Garstang, Burial Customs of Ancient Egypt, P. 48) .

، ثم ثبتت بواسطة خوابير واهيـــة من الممكن رفعها بســهولة ، بالضغط ، .

والملاحظ أن المثل الخلقية فيما يختص بسرقة المقابر في الدولة الوسطي كانت علي نفس المستوي الذي كانت عليه في عصر بناة الأهرام .

(قرية الشيخ عبادة - خرائب انتينوى)

وفي مقابلة مدينة الروضة (١٧٧ ميلا من القاهرة) تقع علي الضفة الشرقية من النيل وبجوار قرية الشيخ عبادة خرائب أنتينوي أو أنتينوبوليس .

وهي المدينة الرومانية التي شيدها الإمبراطور هادريان [١] عام ١٣٠ م إحياء لذكري أنتينوس محبوب الإمبراطور الذي قيل إنه أغرق نفسه حتي يجنب سيده مصيبة كانت ستصيبه كما تنبأ بها الوحي .

والواقع أن أنتينوي تخرج عن مجال كتابنا ، ولكنها ذكرت بسبب ما خرج منها للعالم من مخطوطات البردي المصري .

ولقد كان السيد ج . جونسون الذي حفر في هذا المكان أقل حظاً من الآخرين الذين شاء حظهم أن يعملوا في أماكن أكثر غني ، علي أن أحد عناصر اكتشافاته كان ذا أهمية غريبة .

فنحن نشكو كثيراً في الوقت الحاضر من الأحذية ذات النعال المصنوعة من الورق بدلا من الجلد .

---

(١) نعتقد أن هادريان لم يقم بإنشاء هذه المدينة فى أوائل القرن الثانى الميلادى ، بل عمل على توسيعها إذ يوجد بقايا معبد لرمسيس الثانى تهدم معظمه فى أطلال المدينة .

وقد حدثنا كتاب « وصف مصر » الذى أخرجه علماء الحملة الفرنسية فى أوائل القرن الماضى عن قوس نصر ومسرح وشوارع مستقيمة وحارات واسعة ترجع إلى العهد الرومانى ، ويتمثل ذلك الآن فى الأعمدة وتيجانها المتناثرة فى الكيمان .

وقد شغلت هذه المدينة مركزاً ممتازاً فى صدر المسيحية ، حيث كانت بها أبريشية كبيرة كما كانت تقع على أطرافها الغربية قرية قيل إن مارى القبطية زوجة رسول الله ﷺ قد ولدت وتربت فيها ثم أهداها المقوقس إليه فتزوجها وأنجبت له ولده إبراهيم ، وقد اهتم الصحابة بهذه القرية وأعفاها معاوية من الخراج . وكان لها محصول عظيم من البلح والفواكه . ولما قدم مصر عبادة بن الصامت =

ولكن السيد جونسون قد وجد أن الطريقة المتبعة عند صانعي الأحذية في أنتينوي في نهاية القرن الرابع وبدء القرن الخامس بعد الميلاد هي استعمال البردي في عمل نعال الصنادل .

ومن سوء الحظ أنه اتضح استحالة اكتشاف نوع الأدب الذي كان سكان أنتينوي يدوسون عليه يوميا إذ كانت حرارة الأقدام سبباً - في كل حالة - في إزالة الكتابة من فوق صفحات البردي [١] - .

(مدينة شمنو)[٢]- هرموبوليس

وعلي الشاطيء الغربي من النيل بين ترعة الإبراهيمية وبحر يوسف وعلي بعد

= بنى بها مسجداً يعرف الآن باسم مسجد « سيدى عبادة » ، ومنه اتخذت القرية اسمها الحالى « قرية الشيخ عبادة » .

وقد قامت بعثتان إيطاليتان بالحفر فى هذه المنطقة خلال سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر من سنة ١٩٦٥ ؛ بعثة جامعة روما التى عملت فى أطلال المدينة وكشفت عن ثلاثة عشر قبراً يعتقد أنها من أول عهد الأسر الفرعونية القديمة .

أما البعثة الثانية التابعة لمعهد البردى بجامعة فلورنسا ، فقد اكتشفت أجزاء من ورق البردى عليه كتابات إغريقية وقبطية ، ترجع إلى ما بين القرنين الخامس والسابع الميلادى .

كما كشفت عن مجموعة من الحجرات كانت تستعمل كمقاصّير للأغراض الجنائزية وقد غطيت جدرانها بطبقة من البلاط الملون باللون الأحمر ، كذلك عثرت على بعض الشواهد الجنائزية عليها كتابات قبطية (المراجع) .

(٢) تعرف هذه المدينة الآن بالأشمونين وهو مشتق من كلمة خمن باللغة المصرية القديمة ومعناها ثمانية ، إذ كان كهنة هذه المدينة يعتقدون أن عناصر الكون ثمانية .

وقد لعبت هذه المدينة أدواراً أساسية ودينية هامة ، سواء فى العصر الفرعونى أو فى العصر اليونانى الرومانى .

ولذا فهى تضم آثاراً من كافة العصور بعضها من عهد الدولتين الوسطى والحديثة ، كما نجد بقايا معبد لرمسيس الثانى وآخر للملك الإغريقى « فيليب أريدوس » وثالث من العصر البطلمى أقامه أهل المدينة للملك بطليموس الثالث .

وبين تلك الآثار مجموعة قائمة من العمد الجرانيتية الرائعة ، وأخرى ملقاة على الأرض ، يعتقد بعض المؤرخين أنها بقايا سوق المدينة فى العصر اليونانى (اجورا) فى حين يعتقد آخرون أنها بقايا كنيسة كبيرة (بازيليكا) من أوائل العصر المسيحى (المراجع) .

حوالي أربعة أميال غرب الروضة ، توجد خرائب مدينة أكثر شهرة وهي المدينة المصرية القديمة خمنو أو شمنو .

وهي التي كانت تعرف عند الإغريق باسم هرموبوليس وكانت مكرسة لعبادة تحوت إله الحكمة وحامي الكتبة ، وقد شبهه الإغريق بإلههم هرمس .

ومن هنا اشتق اسم المدينة الأخير – وقد ظهر أن هرموبوليس مصدراً غنياً لأوراق البردي ، ومن المحتمل أنها تلي اكسرنكس في هذا المضمار .

وفي الأزمنة القديمة كانت عاصمة مقاطعة الأرنب التي دفن حكامها في البرشا التي سوف نشاهد مقابرها مباشرة ، وعلي مسافة قليلة إلي الغرب وخلف بحر يوسف توجد لوحتان قديمتان نحتهما إخناتون في الصخر ليبين حدود المنطقة المقدسة لإخناتون عاصمة ملكه (مدينة اخيتاتون) ، وتقع اللوحتان إلي الجنوب من تونة الجبل .

(ملوى - تونة الجبل)

ومن ملوي [١] – عاصمة أحد المراكز – التي تقع علي البر الغربي للنيل وخلف ترعة الإبراهمية يمكن زيارة المقبرة الهامة لبتوزيريس التي تقع علي أسفل التلال الليبية خلف بحر يوسف .

ويمكن القيام بالرحلة بواسطة سيارة حتي بحر يوسف ثم بواسطة معدية حتي قرية دروة .

---

(١) أقيم أخيراً فى ملوى متحف للآثار يضم مجموعات أثرية معظمها من المناطق المجاورة كتونة الجبل والأشمونين ، ومن بين هذه المجموعات تماثيل وموميات الطائر أبو منجل والقردة رمز الإله تحوت رب الحكمة ومنطقة ملوى تعتبر احدى المناطق الأثرية الهامة فى مصر وقد كانت فى قديم الزمان مسرحاً للحضارات الفرعونية الهامة ، والإغريقية والرومانية ... وفى منطقة الأشمونين وتونة الجبل نشاهد من آثارهم الباقية على مر الزمان آيات وآيات تنطق بأمجادهم وحضارتهم وكنوع من الاعتزاز بالماضى وأمجاده .

وحفاظاً على تراث الآباء والأجداد تم إنشاء متحف ملوى حيث يضم بين جنباته من آثار وثروات عظيمة وذلك فى سنة ١٩٦٢ كما تفضلت مصلحة الآثار بالموافقة على ضم المجموعة المشتراه من متحف المرحوم سيد خشبه بأسيوط إلى آثار المتحف حتى أصبح فى أجمل صورة مشرفة (المراجع) .

ومن هذا المكان يمكن ركوب الحمار لمدة ساعة ليصل المرء إلي المقبرة التي تقع في الجبانة القديمة لمدينة هرموبوليس (ولابد من تجهيز الركوبة مقدماً بواسطة أحد الموظفين المحليين بملوي) (١) .

(مقبرة بتوزيريس)

كان بتوزيريس كاهناً أعظم لهرموبوليس ، ومقبرته التي ترجع تقريباً إلي الفترة من منتصف إلي نهاية القرن الرابع قبل الميلاد تعتبر مقبرة عائلية اشترك فيها مع والده « سشو » وشقيقه « جد – تحوت – أف – عنخ » .

وتشير الكتابات الموجودة بالمقبرة إلي ما لا يقل عن ثمانية من رؤساء كهنة هرموبوليس وهم: جد – تحوت –أف – عنخ الأول ، سشو ، بف – نف – نيت ، جد – تحوت – أف – عنخ الثاني .

بتوزيريس ، تاخوس ، تحوت – رخ – بتو – كم . ويؤدي إلي المقبرة طريق مرصوف بطول ٦٥ قدماً وعرض ١٣ قدماً .

ويوجد ، فيما يمكن اعتباره فناء خارجيا ، مذبح له زوايا مثلثة أو ما يشبه شكل القرون وهو قائم إلي الجانب الأيسر من الطريق ، ويظن أن بهذا المذبح الذي يبلغ ارتفاعه ثماني أقدام مؤثرات آسيوية .

وخلف هذا الفناء الخارجي توجد واجهة المقبرة التي تبدو فيها الأعمدة المستديرة ذات التيجان الزهرية والمشكلة علي هيئة سعف النخيل ، ويصل ما

---

(٢) يمكن الآن الذهاب بالسيارة من ملوى حتى مكان المقبرة فى تونة الجبل دون تحمل هذه المشاق ، فلقد أنشىء كوبرى على بحر يوسف كما عبد الطريق بالمكدام حتى المقابر .

وتسمى الآن هذه الجبانة الواسعة الامتداد « تونة الجبل » حيث دفن سكان الأشمونين فى العصر المتأخر موتاهم ولذا يطلق عليها اسم « أشمونين الغرب » .

وهى تضم قبوراً جميلة التصميم ، بها رسوم تسترعى الانتباه . وأشهر قبور هذه المنطقة قبر « بتوزيريس » هذا ، وهو يشبه فى طرازه المعمارى أحد المعابد المصرية الصغيرة ويضم مناظر يمثل بعضها الفن اليونانى الخالص ، والبعض الآخر خليطاً ممتزجاً من الفن اليونانى والفرعونى (المراجع) .

بينها جدران علي هيئة ستائر حليت بمناظر القرابين ومناظر أخري تمثل بتوزيريس يصلي فوق صف من آلهة النيل التي تقدم القرابين .

وعدد حجرات المقبرة اثنتان إحداهما هي الصالة التي تسبق المقصورة وهي المزينة برسوم تخص بتوزيريس نفسه ، ثم المقصورة التي كرسها بتوزيريس [1] لأبيه سشو وأخيه جد - تحوت - أف - عنخ الثاني .

والمناظر المنحوته تمثل خليطاً عجيباً من الطابع القديم الممزوج بالتأثير الإغريقي ، فالمناظر الممثلة هنا هى المناظر المصرية المألوفة ، غير أن الملابس منقولة عن الطراز السائد في ذلك العصر وهي خليط عجيب أكثر منه جميل .

وفي الصالة نجد علي حائط المدخل (الشمالي) خلف الستائر بين الأعمدة (من اليسار إلي اليمين) صناع المعادن والنحاسين والمذهبين وعملية وزن الذهب مع رص الأشياء التي تم صنعها .

ثم صانعي العطور والنجارين وصانعي السلال .

وعلي الحائط الشرقي توجد صفوف ثلاثة تمثل مناظر الزراعة والحرث وحصاد الكتان والغلال ودرس الغلال .

---

(١) هرموبوليس : كانت هرموبوليس القديمة مدينة فى مصر الوسطى على بعد حوالى ٣٠٠ ك.م جنوب القاهرة على مسافة قصيرة من الضفة اليسرى للنيل وهى تسمى اليوم الأشمونين ، ولم يبق من هذه المدينة الآن سوى خرائب متناثرة بين النخيل والبرك حيث يمكن تمييز معابد « تحوت » والآلهة الثمانية الأصلية بصعوبة وعلى مسافة قصيرة منها مدينة (أجورا الجميلة) قديماً .

وعلى بعد ٨ أميال شرقاً وراء بحر يوسف تبدأ الصحراء وجبانة تونة الجبل ، وفى عام ١٩١٩ عثر العالم الفرنسى ليفافر على مقبرة « بيتوزيريس » وكان شخصية عظيمة الأهمية فى هرموبوليس قبل مجيء الاسكندر الأكبر وكان حكيماً ومتصوفاً .

وقد عثر فى قبره على نصوص كثيرة فلسفية وفقرات من كتب الحكمة - وتبين النقوش الجميلة الغائرة فى تلك المقبرة كيف نفذت محاولة لإدماج الطراز المصرى بالأفكار الفنية الجديدة التى أحضرها الإغريق - كما تحتوى الجبانة المجاورة على مقابر غريبة للإغريق وحديقة خصصت للطائر أبى منجل والقردة وعدد كبير من الحجرات والممرات تحت الأرض مملوءة بالبقايا المحنطة لهذه الحيوانات المقدسة للإله تحوت (المراجع) .



(شكل رقم ٥٨)

بعض مناظر من مقبرة بتوزيريس تجمع بين الفن المصري القديم والفن اليوناني وتعتبر من أجمل الأمثلة الفنية للصناعة في منطقة الأشمونين بملوي



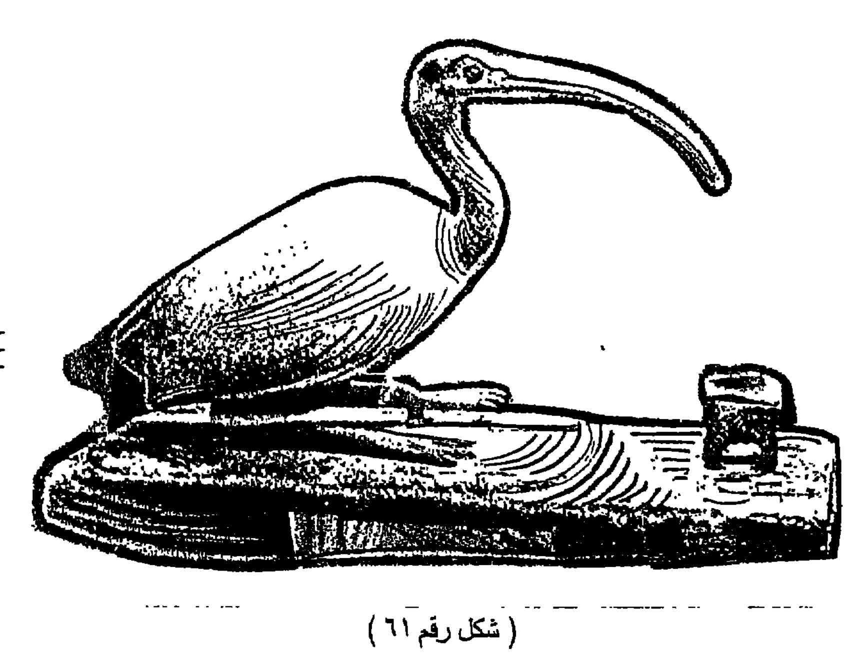
(شكل رقم ٥٩)

منظر آخر يمثل مجموعة من الصناع يقومون بتشكيل مجموعات من الذهب من مقبرة بتوزيريس (الأشمونين – ملوي)

(شكل رقم ٦٠)

الإله (تحوت) رب الأشمونين وهو رمز للحكمة والكتابة

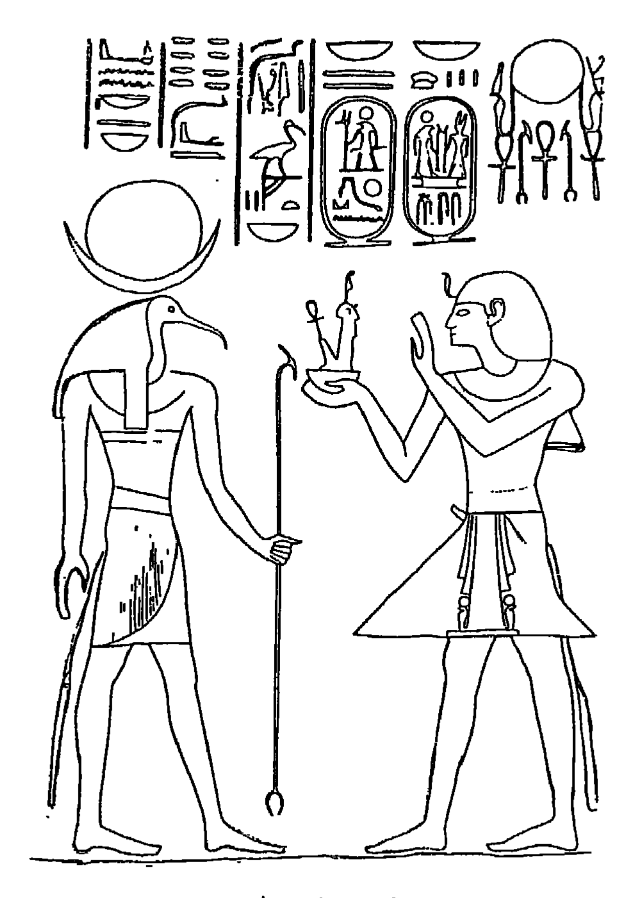
(تونة الجبل – المنيا)



(شكل رقم ٦١)

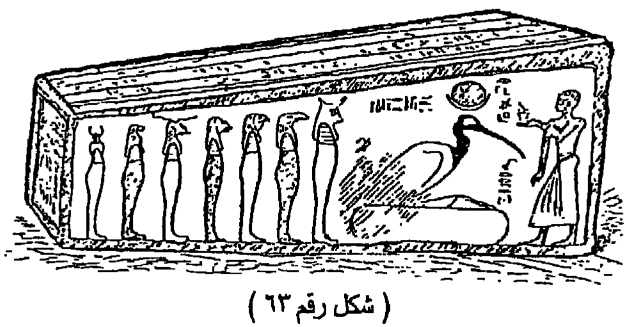
تمثال للطائر المقدس (أبيس) الرمز المقدس للحكمة والكتابة (الإله تحوت) من البرونز والخشب ومكسو بصفائح من الذهب من اكتشافات جامعة القاهرة بمنطقة

(تونة الجبل – المنيا)



(شكل رقم ٦٢)

الملك رمسيس الثاني يقدم تمثال « ماعت » « لتحوت » رب الأشمونين « تونة الجبل »



(شكل رقم ٦٣)

تابوت من الخشب لأبي منجل ومن أمامه كاهن يبخر الرجل الذي قام بدفنه

منطقة الأشمونين – تونة الجبل



(شكل رقم ٦٦)
رأس تمثال من الحجر
الجيري لأحد الملوك الأشمونين
(متحف ملوي) تونة الجبل



(شكل رقم ٦٥)
تمثال للإله تحوت حامي الكتابة علي شكل قرد جالساً وبجانبه كاتب ممسكاً
بقلم يكتب علي بردية – الأشمونين (المتحف المصري)



(شكل رقم ٦٤)
تابوت بيضي الشكل من الفخار
مغلق وبداخله مومياء الطائر
إيبيس (أبو منجل) تونة الجبل



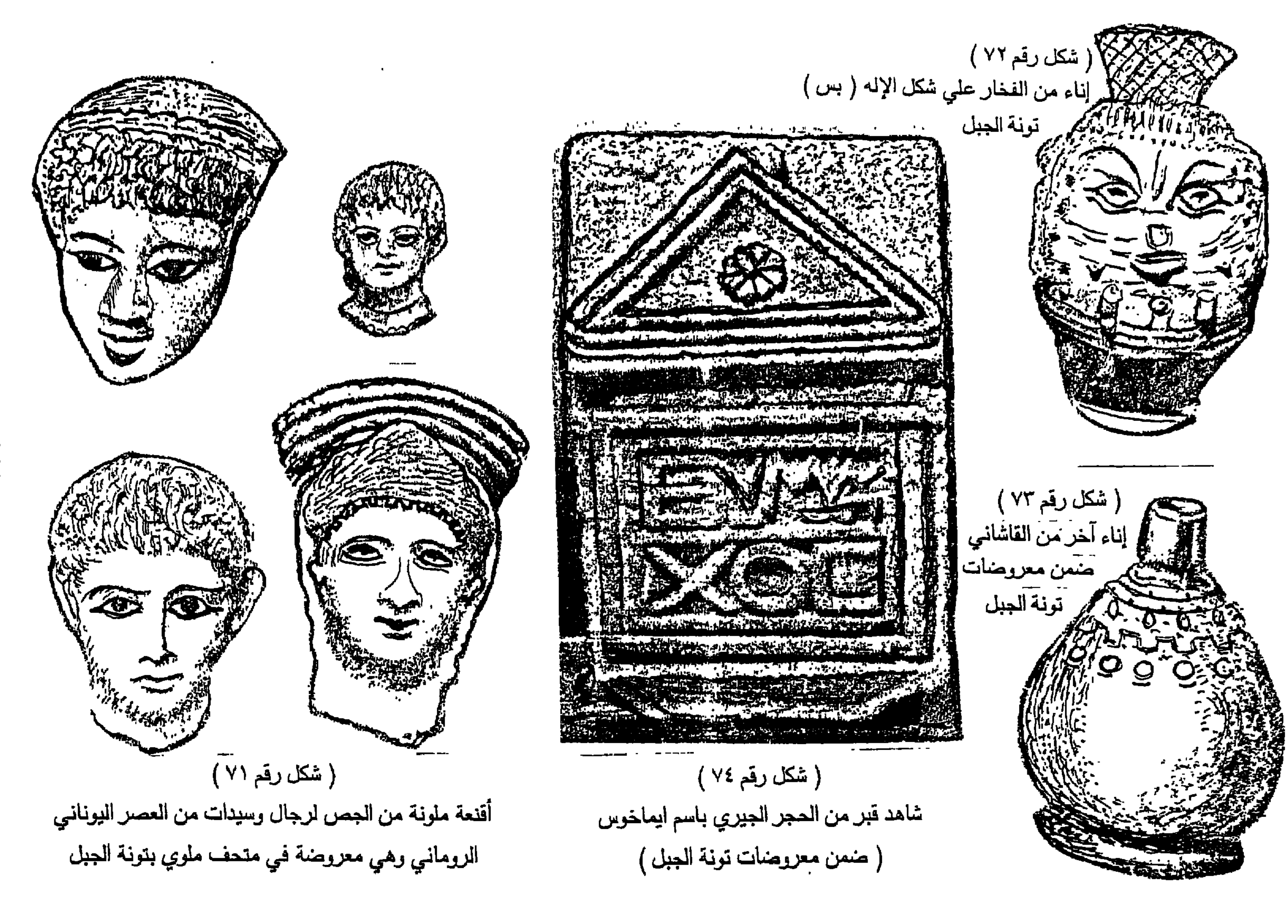
(شكل رقم ٦٩)
مائدة قرابين من الحجر الجيري
(تونة الجبل)

إناء من القاشاني الملون ضمن
معروضات متحف ملوى
تونة الجبـل

(شكل رقم ٧٠)
ناووس من الحجر الجيري
(تونة الجبل)

(شكل رقم ٦٨)
الإله خنوم ومعه بعض الآلهة علي قاعدة
حجرية (تونة الجبل)

(شكل رقم ٦٧)
تابوت من الفخار لقرد رمز الإله تحوت
(تونة الجبل)



(شكل رقم ٧٢)
إناء من الفخار علي شكل الإله (بس)
تونة الجبل

(شكل رقم ٧٣)
إناء آخر من القاشاني
ضمن معروضات
تونة الجبل

(شكل رقم ٧٤)
شاهد قبر من الحجر الجيري باسم ايماخوس
(ضمن معروضات تونة الجبل)

(شكل رقم ٧١)
أقنعة ملونة من الجص لرجال وسيدات من العصر اليوناني
الروماني وهي معروضة في متحف ملوي بتونة الجبل

وعلي الحائط الغربي منظر للماشية والكروم وعصر النبيذ ، كما يوجد علي الحائط الخلفي (الجنوبي) منظر كبير لبيتوزيريس وزوجته وهما يتقبلان القرابين من أولادهما وبناتهما مع مناظر التضحية . ويلاحظ أن العنصر الإغريقي ظاهر بشكل واضح .

ونمر بعدئذ إلي المقصورة وهي مربعة تقريباً ويسند سقفها أربعة أعمدة مربعة تحيط ببئر الدفن التي يبلغ عمقها ٢٦ قدماً .

وهذه البئر تؤدي إلي عدة حجرات منحوتة في الصخر وقد ملئت بقطع من الأحجار وأجزاء من التوابيت ، وكان من بينها ذلك الغطاء الفخم لأحد التوابيت الثلاثة لبتوزيريس .

وهو المزين بصفوف طويلة من الكتابة الهيروغليفية المصنوعة من الزجاج الملون المطعم في الخشب ، وهذا مثل من الأمثلة الرائعة للصناعة المصرية .

« والنص عبارة عن الفصل الواحد والأربعين من كتاب الموتي » .

وهذا النموذج البديع من الصناعة المصرية المتأخرة موجود الآن بالمتحف المصري (رقم ٦ ٣ ٦٠ بالحجرة ٢١ بالطبقة العليا في الوسط) وعلي حائط المدخل (الشمالي) إلي يمين الداخل منظر الإلهة نوت وهي تقدم الشراب لوالد ووالدة بتوزيريس .

ثم منظر بتوزيريس [١] وهو يتعبد لوالده ، ومنظر قطعان الماشية وهى تساق في المستنقعات بالطريقة المتبعة القديمة .

أما الجزء الأيسر للحائط فيظهر عليه «جد - تحوت - أف - عنخ» أمام مائدة القرابين وبتوزيريس في صحبة أخيه .

---

(١) تعتبر مقبرة بتوزيريس أهم مقابر تونة الجبل بمحافظة أسيوط وكانت هذه المقبرة جبانة لمدينة الأشمونين التى شيدها بتوزيريس الذى كان كبيراً لكهنة الإله تحوت وغيره من الآلهة وأهم شخصية فى الأشمونين حوالى عام ٣٠٠ ق.م فى أوائل حكم البطالمة لمصر ، وتمتاز هذه المقبرة بفخامتها ومناظرها الجميلة التى جمعت بين الفن المصرى الأصيل حيث نشاهد بعض مناظر الحياة اليومية التى تاثرت كثيراً بالفن اليونانى والحضارة اليونانية وخاصة فى الزراعة وبعض الصناعات ومازال جزء كبير من هذه المقبرة محتفظاً بألوانه (المراجع) .

وعلي الحائط الشرقي منظر للمركب الجنائزي مع التابوت ، والرجال والنساء والنائحات حاملو القرابين وأحد الكهنة يطهر المومياء عند المقبرة ، وغير ذلك من المناظر .

وعلي الحائط الغربي جد - تحوت - أف - عنخ ومعه تسعة قرود واثنتى عشرة ثعباناً من الكوبرا مع ثيران آمون وأوزوريس وهي تقاد إلي حضرة الإله أوزوريس .

وفي الصف الأسفل يقوم بتوزيريس بوصف جمال المقبرة لأخيه ، ثم يأتي صف من خمسة وعشرين خادما حاملين القرابين وثمانية وعشرين آخرين من الرجال والنساء ويحمل بعض النساء أطفالهن ، وفي بعض المناظر يبدو واضحا التأثير الإغريقي .

والحائط الجنوبي (الخلفي) ينقسم إلي ثلاثة أقسام . وفي القسم الأيسر نشاهد «الأمير بري سشو» يتعبد ومعه تسعة آلهة للشمس و« جد - تحوت - أف - عنخ » وأولاده يتعبدون لسشو ، وفي القسم الأوسط « سشو » و «جد تحوت - أف عنخ -» يتعبدان لأوزوريس وإيزيس .كما مثل بعض الآلهة ، المختلفة الأخري وفي القسم الأيمن جد - تحوت - أف - عنخ يتعبد لتسعة من الآلهة ، بينما يظهر بتوزيريس في صحبة أخيه .

وتحت هذا منظر لمستنقع وبه أفراس البحر والتماسيح . والمقبرة في جملتها مثل رائع للتصميم والصناعة في عصورها المتأخرة عندما بدأ التأثير الإغريقي يخضع الأسلوب المصري لأشكاله [1] .

---

(١) وقد كشفت حفائر جامعة القاهرة بتونة الجبل عن مدينة كاملة تقع خلف قبر بتوزيريس وهى تضم بيوتاً جنائزية تتصل بالقبور يقصدها أقارب الموتى فى الأعياد وهى ترجع إلى الفترة منذ العصر الفارسى (الأسرة ٢٧) حتى العصر البطلمى ، وهى تمثل فناً خليطاً من الفنين المصرى واليونانى - وكذلك يجدر مشاهدة بئر ضخم رائع البناء يرجع للعصر الرومانى يزود المنطقة بالمياه عن طريق أنابيب فخارية تصب فى حوض كبير .

ومن أهم معالم هذه المنطقة الجبانة الكبيرة للطيور المقدسة والقردة رمز الإله تحوت . وقد عثر هناك علي آلاف المومياوات للطائر أبو منجل والقردة محنطة وموضوعة داخل توابيت حجرية صغيرة أو أوان فخارية وقد كدست هذه المومياوات فى ممرات طويلة متشعبة حفرت فى باطن الأرض مثل السراديب (المترجم) .

الفصل الثانى عشر

البرشا والعمارنة

علي بعد يقرب من خمسة أميال من أنتينوي (قرية الشيخ عبادة) وعلي بعد سبعة أميال في خط مستقيم عبر النهر من عاصمة المقاطعة اختار ، الحكام الكبار لمقاطعة الأرنب ، موقع مقابرهم في الجهة البحرية من واد صخري في التلال الواقعة خلف المنطقة المعروفة الآن باسم دير النخلة (وادي النخلة أو وادي دير البرشا) (١) .

ويرجع الفضل في تعريف مقابر الدولة الوسطي المنحوتة (٢) هناك للعالم إلي الضابطين البحريين الكابتن ، ما نجلس ، والملازم ، اربي ، عام ١٨١٧ ، وهما أنفسهما اللذان أوجدا مع بلزوني المدخل الحالي لمعبد أبو سمبل المنحوت في الصخر .

وقد شاهدا ووصفا أولا المنظر المشهور للتمثال الضخم المحمول علي زحافة في مقبرة تحوت حتب وهو المنظر الذي كان منذ ذلك الوقت يجذب كثير من الناس لزيارة هذا المكان (٣) .

ومن بين المقابر الموجودة هنا مقبرة واحدة هامة تستحق الزيارة وهي مقبرة تحوت حتب ، فهي جديرة بالاهتمام حتي في الوقت الحاضر .ولا بد أنها كانت أجدر بالاهتمام قبل السنين الأخيرة من القرن التاسع عشر حين عانت الكثير – للأسف – علي أيدي الذين يبحثون عن الغريب والثمين والذين يخربون بلا ترو .

---

(١) تقع البرشا على بعد حوالى خمسة كيلومترات من الجهة الشمالية الشرقية من ملوى على الشاطىء الشرقى للنيل (جنوب الشيخ عبادة) وتشمل هذه المنطقة عدة مقابر منحوتة فى الصخر من الدولة الوسطى لأمراء اقليم الأشمونين وأهم الآثار الموجودة بها مقبرة الأمير (حجوتى حتب) حاكم اقليم الأشمونين من الدولة الوسطى فى عهد سن أوسرت الثانى (المراجع) .

(٢) وهى تشبه فى بساطة تصميمها وطريقة نحتها وأسلوب تصوير مناظرها قبور « بنى حسن » .

(٣) يبين هذا المنظر طريقة المصريين القدماء فى نقل القطع الثقيلة .

إذ قطعت النقوش الكثيرة الواقعة خلف التمثال الكبير كما هشمت أجزاء أخري كثيرة من المقبرة .

كان تحوت حتب صاحب المقبـــرة يحمل ضمن ألقابه الأخـــرى الكثيرة لقب « الحاكم الأكبر لمقاطعة الأرنب » ، وبعض تلك الألقاب هي مجرد ألقاب كان يدعيها لنفسه كل حاكم .

ولكنه كـان يحـمل بين ألقـابه الدينيـة لقبين جديرين بالاهتمـام فكان « كـبيـر الخمسة في مـعبد تحـوت » وكان « منظم العرشين » وهما اللقبان اللذان كـانا لرئيس كهنة الإله تحوت في هرموبوليس .

وهو يذكر لنا أنه كان ابن « كاي » الذي كان أميراً لمدينة هرم سنوسرت الثاني المسمـاة « خع » وأن اسم جده هو نهري الذي كـان مثله الحـاكم الأكبـر لمقـاطعـــة الأرنب .

وقد أصـاب مـقبـرته للأسف الكثيـر من التـخـريب بسبب زلزال وعلي أيدي المخربين الآدميين ، فمقصورتها الأمـاميـــة التي كـانت بلا شك بديعة قد تهدمت تمـامـاً .

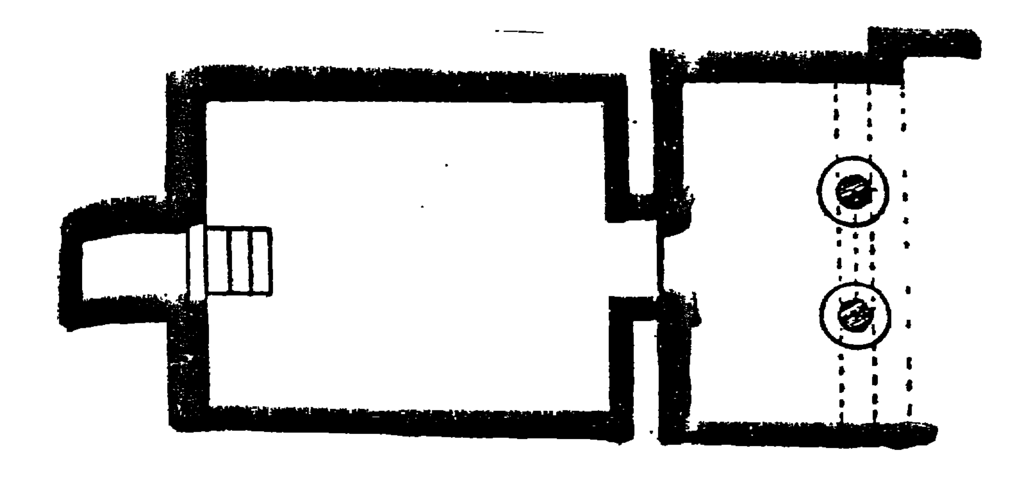
وكـان عتبها يستند علي عمودين مـستـديرين لكل منهمـا تاج علي شكل سعف النخيل وخلف العمودين تمتد المقصورة إلي بعد عشرة أقدام للداخل .

وبهذا يمكن اعتبـارها كـحجرة خارجيـة ، ويلاحظ أن سقفـهـا مسـتـو والبـاب الموصل للمقصورة يبلغ ١/٢ ١٠ قدم في ارتفاعه و٤ أقدام في عرضه .

وللباب عتبة ارتفاعها ٦ بوصات والمقصورة مربعة وتبلغ ٢٠ قدماً في عرضها وحوالى ٢٦ قدماً في امتدادها وسقفها مستو .

وفي منتـصف حـائطهـا الخلفي يوجـد سلم ذو ثلاث درجـات يؤدي إلي هـيكل صغير يبلغ امتداده وارتفاعه ١/٤ ٨ قدم وعرضه حوالى ٤ أقدام .

وتزدان المقـبـرة برسـوم ملونـة وأخرى بارزة بـروزاً قليـلاً ، بينمـا توجـد رسـوم بارزة وملونة في الوقت ذاته في بعض أجزاء المقبرة .



(شكل رقم ٧٥)

مقبرة تحوت حتب – البرشا – أسيوط وقد أصاب هذه المقبرة تخريب كبير – كما تهدمت المقصورة الأمامية – والمقبرة تزدان برسوم ملونة وأخري بارزة في جميع أجزائها كما يشاهد فيها منظر نقل التمثال الكبير لتحوت حتب

ويلاحظ أن كتفي الواجهة وعتبها والأعمدة والأعتاب كانت ملونة في الأصل بلون أحمر غامق معرق بلون أخضر باهت لتقليد الجرانيت وهو تقليد غريب في اعتبارنا ، وإن كان الفنان المصري قد لجأ إليه في بعض الأحيان .

والكتابة الهيروغليفية التي تزين الواجهة محفورة وملونة باللون الأخضر ، وأسقف الشرفة والمقصورة كانت مرسومة بإبداع علي شكل وحدات تقليدية باللونين الأصفر والأزرق .

وعلي الجدار الأيمن للشرفة يري تحوت حتب وقد التحف برداء طويل وهو يلاحظ صيد الغزلان بالشباك ، بينما اشترك ثلاثة من أولاده مع الصيادين .

ويظهر أنه كانت علي الجدار الأيسر مناظر لمصارعين ومحاربين غير أنها تلفت تماماً ، أما الحائط الخلفي فعليه منظران من مناظر القوارب يري في أحدهما تحوت حتب ممسكاً بعصا للرماية يصطاد الطيور في مركب بين أحراش البردي .

بينما يري في المنظر الآخر في قاربه يصطاد السمك بواسطة حربة ، ومن بين المناظر التي بقيت خلف الحائط الخارجي للمقصورة منظر تحوت حتب وهو يتطهر .

بينما يقوم أولاده بوظيفة الأتباع ، وعلي الحائط الأيسر للمقصورة منظر ذو أهمية فائقة وهو منظر نقل التمثال الكبير .

ويري فيه تحوت حتب ماشيا وراء تمثاله وفي صحبته أولاده الثلاثة وأتباعه ، وكان يلي هذا المنظر أو علي الأصح كان يتبعه قبل إتلافه كتابة طويلة تصف عملية تحريك هذا التمثال الضخم .

وهي تصف التمثال بأنه يبلغ ١٣ ذراعا في ارتفاعه ، وهو ما يقرب من ٢١ قدماً وأنه من « حجر من حاتنوب » أي أنه من المرمر ، ثم يلي ذلك التمثال وهو أبيض اللون فيما عدا لباس الرأس والذقن المستعار فكانا ملونين بالأزرق .

والتمثال ممثل جالساً علي كرسي وملقي علي الزحافة التي يمكن بواسطتها جره بحبال مجدولة زودت بوسادات من جلد الثور لمنع احتكاك الحجر ، وعلي ركبتي التمثال يقف شخص يعطي الإشارة – بالتصفيق بيديه – للرجال الذين يتقدمونه لكي يجروا التمثال معاً .

وهناك شخص آخر يقف علي مقدمة الزحافة ليصب الماء علي الأرض ، وقد يكون ذلك لتفادي اشتعال النار في الزحافة نتيجة الأحتكاك ، وأمام التمثال كاهن يحمل مبخرة يبخر بها التمثال .

ثم يلي ذلك أربعة صفوف من العمال يتكون كل صف منها من ثلاثة وأربعين رجلا يجذبون أربعة حبال مثبتة بمقدمة الزحافة .

وهناك مجموعات أخري من العمال والموظفين يصاحبون التمثال الكبير ، بينما يري عند حافة المنظر بعض أفراد يحملون فروع الشجر في أيديهم وهم يتقدمون للقاء الموكب .

والمنظر بأكمله من المناظر التي لها أهمية كبري ، ومن الواجب مقارنته بالمنظر المشهور في قصر ، سنخريب ، الذي يمثل نقل التمثال الضخم للثور المجنح الممثل بوجه آدمي ، ولنا أن نعترف أن المنظر الأشوري أكثر حيوية فيما يختص بعمل الذين يجرون التمثال ، علي أن المنظرين مع ذلك يكشفان عن البساطة المتناهية للطرق التي كانت تتم بها عمليات النقل الباهرة .

وهنا نلاحظ أيضاً أن الزعم القائل بأن القائمين بالفن المصري كانو مجهولين لا يجد له سنداً في هذه المقبرة .

فلقد ذكر في مقبرة تحوت حتب أن رئيس الأعمال هو ، سب ، بن ، آب – كيو ، وإن الفنان الذي زين المقبرة والذي رسم في منظر التمثال الضخم كان ، المرتل ورسام الموميات في قصر الملك ، ومزين هذه المقبرة ... أمني – عنخو ، .

أما المناظر الباقية في المقصورة فهي مناظر عادية مثل صيد الطيور والسمك

وجرد الماشية وموكب المراكب في البحر ومن بينها مركب تحوت حتب الذي يجره زورق ذو ١٦ مجدافاً .

ثم مناظر الزراعة وفلاحة البساتين وعمل الفخار والصناعات المنزلية وهكذا – وعلي جدران الهيكل توجد رسوم غائرة وملونة علي الحائط الخلفي تمثل تحوت حتب أمام والده « كاي » ، بينما توجد علي الحوائط الجانبية مناظر القرابين أمام تحوت حتب وكاي وهما جالسان .

ومن بين المقابر التسع الأخري التي ترجع إلي عصر الدولة الوسطي مقبرة تحوت التي كشفت عنها بعثة هارفارد – بوسطن عام ١٩١٥ ، ومنها عثر علي تابوتين جميلين من الخشب عليهما رسوم ملونة ، كما وجد بها مجموعة كبيرة منوعة من النماذج الخشبية الجنائزية .

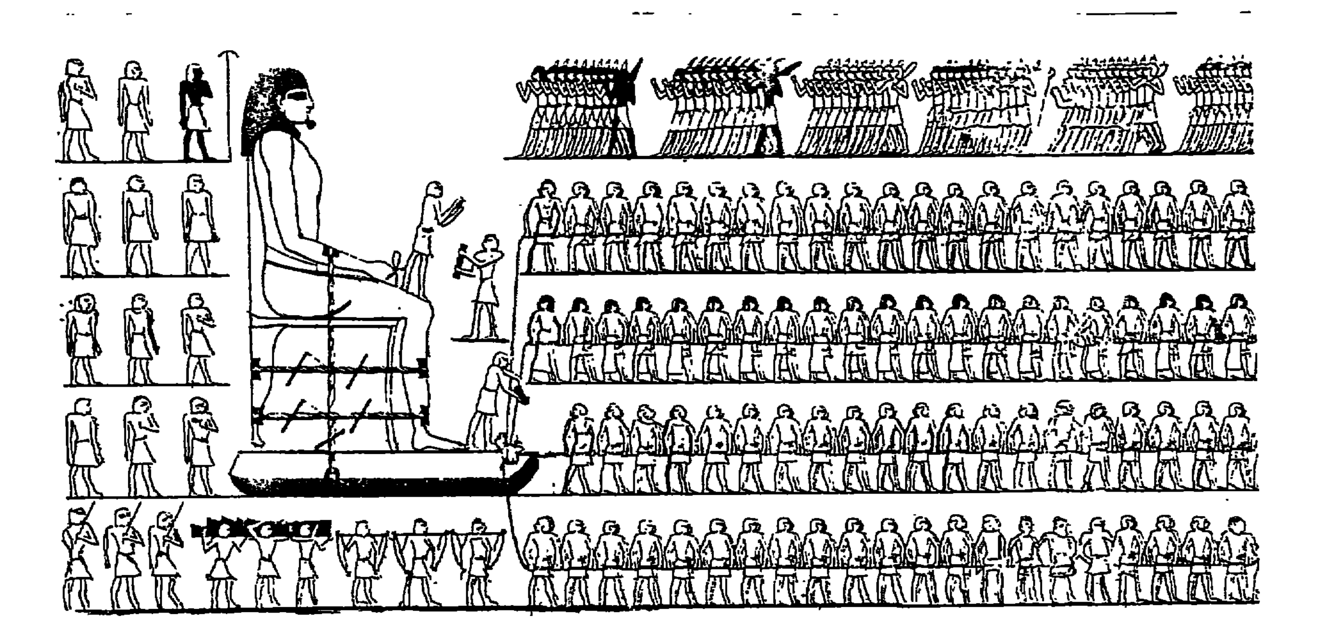
(تل الشيخ سعيد)

وعلي مسافة قليلة إلي الجنوب من البرشا وعلي نفس الشاطئ يقع تل الشيخ سعيد وبه مقابر الحكام الأوائل لمقاطعة الأرنب أيام الأسرة السادسة .

وقد اعتبرت أسرة تحوت حتب هؤلاء الحكام القدامى أسلافاً لهم .

وتباهوا عندما سجلوا أنهم رمموا مقابرهم المتهدمة ، ولهذا فإننا نجد النقش الآتي أربع مرات في الشيخ سعيد : « لقد جعلها كتذكار لآبائه الموجودين بالجبانة ، سادة هذا الجيل ، مرمماً ما وجده متهدماً ، مجدداً ما وجده متداعياً فالأجداد الذين كانوا قبلا لم يفعلوا هذا – هذا مافعله الحاكم ، القائد العام للعرشين ، الكاهن الأعلى ، رئيس البيت الملكي » .

« حاكم الجنوب ، الرئيس الأكبر لمقاطعة الأرنب ، العظيم في وظيفته ، الكبير في رتبته ، المتقدم في مركزه في البيت الملكي ، تحوت – نخت بن تيتي » .



(شكل رقم ٧٦)

منظر من داخل مقبرة (تحوت حتب) وكان حاكماً لمنطقة أسيوط وهو يمثل نقل تمثاله إلي داخل أحد المعابد ويلاحظ وجود سبعة صفوف من الجنود في الصف العلوي يشرفون علي عملية النقل – البرشا – أسيوط

(اخيناتون) (العمارنة) [1]

ونحن الآن داخل حدود المنطقة المقدسة لمدينة اخيتاتون الطاهرة التي تشتهر عند معظم الناس باسم العمارنة ، وليس في المظهر الحالي لهذه المدينة الكبيرة المشهورة ما يؤثر في النفس .

وكانت تمتد في الأصل علي طول الشاطئ الشرقي للنيل لمسافة تقرب من خمسة أميال ، غير أن أقصي عرضها كان حوالي ١١٠٠ ياردة فقط ولابد أنها كانت تبدو كمدينة طويلة مبعثرة واقعة بين الأراضي الخصبة علي شاطئ النيل والصحراء القاحلة التي تمتد خلفها حتي أسفل التلال التي توجد بها المقابر الصخرية لرجالها العظام .

ويمثلها في الوقت الحاضر بني عمران والحاج قنديل والعمارنة والحوطة ثم الخرائب القليلة التي تقع علي طول امتداد المدينة القديمة ومن ورائها المقابر ، علي أنها مع ذلك من أكثر الأماكن أهمية في مصر .

فهي مسرح لتلك المغامرة الكبيرة التي قام بها فرعون (امنحتب الرابع) وهو ابن أعظم ملوك الأسرة الثامنة عشرة أبهة عندما سلط إرادته ضد الوضع الديني الجامد للشعب بأجمعه .

وضد تعصب وحسد كهنته (كهنة آمون رع) ، وذلك في محاولة لإتمام ما كان يعتبره إصلاحا للعقائد الدينية ، وهي المحاولة التي فشلت في أيامه الأولى وسط حطام خططه .

---

(١) قسم اخناتون مدينة اخيتاتون الجديدة إلى عدة أقسام خص كل طائفة منها بقسم ولا تزال بقايا المنازل واضحة إلى الآن .

كما شيد عدة قصور بالعاصمة منها قصران عظيمان له ولزوجته نفرتيتى من قوالب اللبن وكساهما بالصيص المزين بأروع المناظر وأجملها (محفوظ جزء من هذه الأرضية بالمتحف المصرى) - إلى جانب هذا فقد عثر سنة ١٨٨٧ على رسائل العمارنة المشهورة وهى قوالب من الآجر منقوش عليها بالخط المسمارى ما طلبه ملوك بلاد الشرق القديم والحكام والأمراء المصريين فى سوريا لتدعيم سلطة مصر - كما عثر بأخت آتون على رأس نفرتيتى وهى من أجمل القطع الأثرية المصرية (موجودة الآن بمتحف برلين بألمانيا) .

ولسنا الآن في مقام النقاش في مغزي ديانة آتون وهي الديانة الجديدة التي حاول إخناتون إدخالها بدلا من ديانة آمون والعقائد الأخري في مصر ، كما أنه ليس بالمكان الذي يصلح فيه مناقشة الرأى .

فيما إذا كانت أو لم تكن ديانة توحيدية روحية أو أنها كانت متقدمة علي العقائد المصرية السابقة ويكفي لغرضنا أن نقول إن امنوفيس الرابع (إخناتون) [١] بمجرد أن أعلن العداء علي عبادة آمون وجد أنه من الضروري أن يهجر طيبة العاصمة القديمة ومعقل عبادة آمون .

وأن يبني لنفسه مدينة جديدة مقدسة لتثبيت قدم عقيدته الجديدة دون أي عثرة ودون أي تدنيس من أثر لخزعبلات قديمة .

وباختيار هذه المنطقة الواقعة مباشرة جنوب جبل الشيخ سعيد حيث تبتعد الهضاب عن شاطيء النيل لمسافة عدة أميال ، فقد استطاع أن يعين حدود المنطقة المقدسة ومعها منطقة أخري مماثلة علي البر الغربي وأن يحددها بأربعة عشر نقشاً منحوتة علي لوحات في الصخر مقيداً نفسه بقسم عظيم بألا يتعدي حدود هذه المنطقة إلي الأبد .

ونص هذا القسم كالآتي : « قسمي هو الحق وهو ما أرغب في أن أنطق به ولا أرغب أن أقول أبداً « إنه باطل » إلي أبد الآبدين : اللوحة الجنوبية التي تقع علي الجبل الشرقي من اخيتاتون .

إنها لوحة اخيتاتون أي تلك التي جعلت إحدي وقعاتي عندها : إنني لن أتعداها جنوباً إلي أبد الآبدين ولتكن اللوحة الجنوبية الغربية قبالتها تماما علي الجبل الغربي لاخيتاتون ، وهكذا كان لكل لوحة في الشرق ما يقابلها في البر الغربي .

---

(١) نحت عظماء رجال اخناتون قبورهم فى الجبل الشرقى جهة تل العمارنة والحاج قنديل وعددها حوالى ٢٦ مقبرة منها واحدة ملكية وقد نقشوا صور اخناتون وزوجته تحت الشمس المشرقة حيث تمثل قرص الشمس المشرقة رمز الإله آتون يخرج منه أياد تمسك بعلامة عنخ بمعنى الحياة كما صوروا اخناتون ونفرتيتى أثناء منحه الهدايا والعطايا لعظماء الرجال والأمراء وهم يتعبدون لآتون (قرص الشمس المشرقة) (المترجم) .

وسواء أكان المقصود بهذا القسم هو أن إخناتون [1] أراد - كما يقول البعض - أن يربط نفسه في حيز كحيز الناسك فلا يتحرك وراء حدود منطقته المقدسة .

أم أنه كان يقصد فقط أن يوضح أنه لا يصح أن تمتد هذه المنطقة وراء هذه الحدود فيجور بذلك علي حقوق الحكام المجاورين له - فهذا موضوع آخر من الصعب الجزم فيه برأي قاطع .

وعلي كل حال فإن قوة الفرعون الصغير المطلقة قد أتاحت لمدينته الجديدة نمواً وتقدماً سريعاً طوال مدة حياته أو طوال مدة تحكمه في مصائر أمته .

---

(١) اخناتون (امنحتب الرابع) (١٣٧٠ - ١٣٤٩ ق.م) من بين ملوك الأسرة ١٨ حيث عاش طفولته بين أبيه امنحتب الثالث وأمه الملكة تى فى بلاط ازدحم بالنساء الجميلات جلبهن أبوه ليكن محظيات له وأتين يحملن معهن الكثير من مظاهر حضارات بلادهن فى وسط تهيمن عليه مظاهر الترف وعدم التقيد بالتقاليد الدينية ، وقد أحب الحقيقة فى كل معانيها وينشد الصدق فى كل شيء .

وكان مرهف الحس شديد الذكاء فيلسوفاً ذا عقل راجح ونفس صافية - عرف منذ طفولته قوة كهنة آمون وجبروتهم - وقد حاول أبيه ومن قبله جده التخفيف من وطأة نفوذهم فلم ينجحوا ، وخرج اخناتون على الناس بفكرة جديدة تقول بأن الإله ليس هو قرص الشمس بل القوة الكامنة فيه وسماه « آتون » وطالب الناس بعبادته بمفرده دون شريك له - لأنه هو الذى خلق الناس فى كل زمان وعليهم أن يخصوه وحده بالعبادة والتقديس - وقد حاربه كهنة آمون وتآمروا على حياته واضطر أن يهجر طيبه وبنى لنفسه ولإلهه الجديد عاصمة فى مصر الوسطى فى المكان المعروف بتل العمارنة - قرب ملوى وسماها « أخت آتون » وأقسم أن لا يبرحها مدى الحياة وأعلنها حرباً لا هوادة ضد آمون وكهنته ، ويبدو أنه استهان بقوة آمون .

وأثبتت الأحداث أنه لم يستطع المحافظة على النصر الذى فاز به فى أول أيام حكمه وأن الغلبة فى النهاية للعقيدة القديمة . واقترنت ثورته الدينية بثورة أخرى اجتماعية وفنية للتخلص من القديم والطموح إلى الحقيقة الكاملة فى كل شيء ، ورسموه فنانوه مع زوجته الجديدة نفرتيتى وبناته الست حيث يهيمن على كل رسم رمز الإله آتون وهو عبارة عن قرص الشمس تتدلى منه أشعتها وينتهى كل شعاع بيد بشرية تمنح الحياة والسعادة لكل المخلوقات وطلب من فنانيه عدم مجاملته فصوروه على حقيقته التي أبرزت جسمه المشوه الذى لا يكاد يقوى علي حمل رأسه . وتعتبر أنشودته التى وصف فيها آتون أول وثيقة بشرية تنادى بالتوحيد الإلهى ، ومات اخناتون بعد أن حكم ما يقرب من عشرين عاماً ، وبموته انتهى أمر عقيدته التى نادى بها وإنقلب الناس ضده مدفوعين بكهنة آمون محاولين محو كل أثر له (المراجع) .

ولقد نمت اخيتاتون أو أفق آتون بسرعة أكثر من أي مدينة أخري ، فلقد كان بها ثلاثة قصور علي الأقل أحدها قصر للتصييف ذو تخطيط غريب .

وكان بها عدة معابد من بينها معبد آتون ذو الضخامة والفخامة المهيبة .

وقد حذا رجال الحاشية حذو مليكهم فبنوا لأنفسهم قصوراً في المدينة الجديدة ، وليس معروفاً إن كان الدافع لهم في ذلك اقتناعهم بما فعلوا أو إنه لمجرد رغبتهم في اتباع الأسلوب الجديد (الموضـــة) وليكونوا مقربين من مليكهم .

أما الفنون والصناعات التي تمشت طبقاً لذوق وبذخ القصر فقد توطدت بسرعة، وأصبحت اخيتاتون مركزاً نشطاً لصناعات متعددة وبخاصة تلك الصناعات المطلية بالزجاج الملون أو المصنوعة من الزجاج نفسه .

أما الفن فقد توطدت معالمه في المدينة بشكل يكشف عن روح الحرية التي ظهرت لبعض الوقت في مصر ومع هذه الروح وضحت تلك الرغبة التي كادت تظهر كا لكاريكاتور .

وهي التي تشكل العيب الرئيسي لفن العمارنة ، ومع ذلك فإن بعض القطع البديعة التي اكتشفتها البعثة الألمانية في خرائب اخيتاتون تعتبر من أعظم القطع التي أنتجتها مدرسة النحت المصرية.

كل ذلك انتهي بغتة عندما سقطت ديانة آتون بموت الفرعون الذي أظهرها للوجود ، والواقع أن هذه الديانة لم يكن لها تأثير ألبتة علي الفكر القومي ، ومن البداية حتي النهاية كانت مجرد ديانة للبلاط الملكي معتمدة في بقائها علي بطولة الملك .

وعندما اختفت بموته وعندما خلف إخناتون شابان يافعان هما سمنخ كارع وتوت عنخ آمون ، فإن العقيدة القديمة لآمون التي كان من المحتمل أنها استعادت بعض قوتها حتي قبل وفاة الفرعون الضال لم تجد صعوبة في تثبيت أقدامها من جديد .

وبانسحاب البلاط اختتم تاريخ المدينة المقدسة – ولو أن تدهورها قد أخذ وقتاً



(شكل رقم ٧٧)

الجزء العلوي لتمثال ضخم من الحجر الرملي الملون للملك اخناتون بطل تل العمارنة



(شكل رقم ٧٨)
رأس تمثال كبير الحجم لاخناتون قبل أن
يعلن ثورته الدينية وعبادة آتون الجديدة
بتل العمارنة



(شكل رقم ٧٩)
تمثال كبير الحجم من الحجر الرملي
لاخناتون عثر عليه بحفائر الكرنك
معروض حالياً بالمتحف المصري

أطول بعض الشيء مما كان يظن ، إلا أن قصة ازدهارها وتألقها تقع كلها في حيز جيل واحد لا غير .

ولقد قامت بعثات متتابعة للكشف عن ماهية هذه العاصمة قصيرة الأجل ، ففي عام ١٨٩١ - ١٨٩٢ عمل بها بتري .

وقد كشفت أبحاثه عن الإمكانيات العظيمة لهذا المكان إذ أسفرت عن إظهار عظمة قصر إخناتون وبخاصة نفائس الرسوم الملونة والزخارف الفنية بالطليات الزجاجية والتذهيب الجميل .

كما اكتشفت أرضيتان من الجص الملون بالألوان الجميلة وقد غطيتا ووضعتا تحت الحراسة .

ولكنهما أتلفتا عام ١٩١٢ نتيجة لحقد أحد الحراس المفصولين ، ونري الأجزاء التي أفلتت من التخريب في متحف القاهرة (رقم ٦٢٧ - الطبقة السفلي - ٢٨ في الوسط .

وإلي الشرق من القصر تقع الحجرة التي عثر فيها علي السجلات الخاصة بالقسم المصري للعلاقات الخارجية أيام حكم إخناتون ، فهنا في عام ١٨٨٧ بينما كانت إحدي النساء تعمل في نقل السباخ إذ وجدت الألواح المشهورة التي عرفت منذ ذلك الوقت باسم ألواح العمارنة .

وما أمكن إنقاذه من هذه الألواح بعد العلاج الرديء وعدم التقدير الرسمي لها مبعثر الآن بين المتحف البريطاني ومتحف برلين ومتحف القاهرة .

ولقد قيل إن المكتشفة الأصلية قد تنازلت عن حقها في الكشف مقابل شلنين . . على أنه قد اتضح بعد ذلك أن للألواح قيمة عظيمة ، إذ تعطينا صورة مباشرة لرغبات ووجهات نظر الملوك الذين كتبوا بعض هذه الألواح لملك مصر .

في حين أن الألواح التي كتبها الأمراء الموالون والحكام في سوريا وبالأخص تلك التي كتبها ، ريبادي ، من بيبلوس ، وابي - ملكي ، من صور ، وعبد خيبا ، من القدس تعتبر أكثر أهمية وقيمة ، إذ منها نستطيع أن نتتبع سقوط الإمبراطورية في آسيا .

وقد تبين أن القصر الكبير لإخناتون يقع جنباً إلي جنب مع المعبد في جنوب قرية التل (تل العمارنة) .

وإلي الجهة البحرية من القرية وجد القصر الثاني الذي كشفت عنه بعثة جمعية البحث في مصر (١) في الأعوام ١٩٢٣ – ١٩٢٥ .

ورغم أن خرائب المدينة ليست مثيرة غير أنها تعطينا بعض المعلومات ، فهي تتيح لنا معرفة تخطيط مدينة اخيتاتون بشيء من الوضوح .

لقد كان يخترق المدينة من الشمال إلي الجنوب ثلاثة شوارع رئيسية وهي التي كان يقطعها في زوايا عمودية شوارع أخري تمتد من الشرق إلي الغرب ، علي أنه لم يكن يراعي مع ذلك النظام في بناء مجموعات البيوت التي كانت تختلف كثيراً في مساحتها .

ومن الواضح أنه لم تعمل أي محاولة أيضاً لإبعاد الأحياء السكنية عن الأحياء الصناعية ، فكانت تقام المنازل دون محاولة لمراعاة تجمع المنازل وفقاً لتخطيط معين أو انسجامها في ترتيبها .

وكان الكاهن الأعظم يجاور صانع الجلود والوزير يلاصق المشتغل بصناعة الزجاج ، (مدينة إخناتون تأليف بيت وولي – الفصل الأول) (٢) .

وكانت منازل العظماء متسعة بها صالات استقبال كبيرة مزينة بذوق سليم ، وكان هناك الكثير من حجرات النوم والجلوس وعدد كبير من المغاسل والحمامات .

وكان متوسط مساحة الطراز الأفضل من هذه المنازل حوالي ٦٥ إلي ٧٠ قدماً مربعاً .

وتبلغ مساحة منزل الوزير نخت وهو من أجمل الأمثلة للعمارة السكنية في مدينة اخيتاتون حوالي ٦٥ × ٨٥ قدماً ، ومنازل العمال علي العموم ليست صغيرة نسبياً .

---

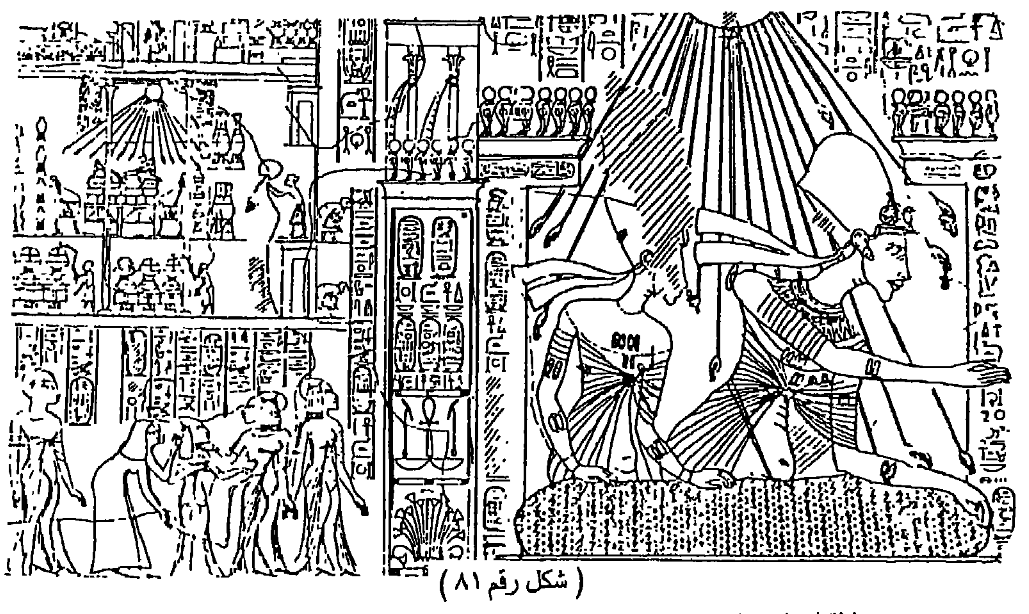
(١) جمعية بريطانية .

(٢) (See the City of Akhenaton, by Peet and Woolley, Chapter I)



(شكل رقم ٨٠)

الملك اخناتون والملكة نفرتيتي وخلفهما بناتهما الثلاث يقدمون القرابين للإله آتون بتل العمارنة



(شكل رقم ٨١)

عائلة اخناتون الملكية فى احدي المناسبات الرسمية للدولة والمنظر من تل العمارنة

وأكثر الأشخاص فقراً كان منزله يتكون من صالة أمامية وحجرة جلوس وحجرة نوم ومن الجائز أنه كان لديه مطبخ أيضاً .

وجميع المنازل ابتداء من منزل الوزير إلي أصغر كوخ للعامل كانت بالطبع مبنية باللبن الذي كان يغطي بطبقة من الجص أو الطلاء الأبيض .

وبجوار المعبد الكبير كانت توجد الهياكل المتعددة التي كانت مكرسة للأسلاف المشهورين لإخناتون مثل أمنوفيس الثاني وتحتمس الرابع .

وكانت هناك أيضاً بضعة معابد صغيرة مثل « المنزل الخاص لراحة آتون » وهو الذي كانت تشرف عليه الملكة نفرتيتي بنفسها « والمنزل الخاص بتهلل آتون » .

وهو الذي كان قائماً في الجزيرة المعروفة باسم « آتون المميز بأعياده اليوبيلية » وإلي جانب ذلك معبد الملكة الوالدة « تي » وبعض المباني المقدسة الأخري .

وعلي بعد كبير إلي الجنوب وبجوار قرية الحوطة كان يوجد قصر ملكي أو علي الأصح نوع من أماكن السعادة والمتعة الملكية وكان يسمي « مارو – آتون » وكان به بحيرة صغيرة للتمتع بنزهة القوارب وصالات استقبال ونوع من الحدائق المائية « جوستان » .

وكلمة جوستان معناها أن لهما مسحة القداسة ومعبد علي شكل شرفة ومعبد آخر فوق جزيرة .

أما المخازن السفلية فكانت معبأة بالنبيذ كما تدل علي ذلك السدادات ، وبهذا لم يكن تحفظ إخناتون الديني ليحول بينه وبين تناول الشراب .

وقد تكون أعظم الاكتشافات الفردية كشف مصنع المثال تحتمس وهو كشف وفقت إليه البعثة الألمانية التي كانت تعمل في العمارنة قبل الحرب مباشرة .

ونتيجة هذه الحفائر معروفة جيداً للعالم ، وتشمل بعض القطع الفنية أمثال الجزء الأعلى الملون لتمثال الملكة نفرتيتي ، والرأس المصنوع من الحجر الرملي البني لنفس الملكة .

وكثير من رؤوس وأقنعة الملك أخناتون نفسه وعدد آخر من الدراسات الهامة للوجوه .

ومن النحــاتين الآخرين المشهورين ، فممن عاشــوا في هذا العصر النحـــات ، بك ، والنحات ، أوتا ، اللذان كانا يعملان للعائلة المالكة ، ولهذا فنحن علي معرفة طيبة بهؤلاء الرجال الذين يظن أنهم خلقوا مدرسة العمارنة للفن .

وتتمثل هذه المدرسة في تزيين المجموعتين الكبيرتين للمقابر الصخرية في الهضاب الواقعة خلف المدينة .

وتقع المجموعة الشمالية علي جانبي فجوة عمودية في سلسلة التلال التي يمر خلالها طريق جبلي عبر التلال القائمة في منطقة الشيخ سعيد والتي تمر حتي الوادي في العمارنة .

وتشمل هذه المجموعة بعض المقابر التي تعتبر من أحسن وأهم المقابر ، مثل مقابر حوا ومريرع (الأول والثاني) وأحمس وبانجسي وبنتو .

وتقع المجـموعـة الجنوبيـة أيضـاً عند مدخل وادي مماثل ، ومنه يمر الطريق ثانية إلي الجبل .

والمجموعة الشمالية منحوتة في واجهة الجبل الذي يصل هنا إلي ارتفاع ٢٨٠ قدمـاً فوق سهول العمارنة والنصف العلوي من هذا المرتفع ذو واجـهة رأسيـة ، أمـا النصف السفلي فهو أقرب في طبيعته إلي منحدر أقل حدة ، وتقع المقابر عند ملتقى القسمين أي على ارتفاع ١٥٠ قدماً تقريباً فوق مستوي السهل .

وفي حالة المجموعة الجنوبية يبدو غريباً أن التلال ذات الواجهة الرأسية لم تنتخب لعمل المقابر إذ انتخب الرصيف المنخفض الذي يبدأ فيه الارتفاع من السهل إلي الهضاب خلفه .

وفي كلتا الحالتين لم يكن نوع الصخر جيداً أو بالأحري صالحاً لهذا العمل الدقيق المطلوب .

والصخر في الجزء الشمالي تتخلله كتل ضخمة من حجر أصلب .

أما الصخر في الجزء الجنوبي فهو من نوع أكثر رداءة ، وهذا يوضح إلى حد كبير السبب في تهدم عمل فناني العمارنة ولو أن التخريب والسرقة قد قاما بقسط أكبر في هذا الشأن .



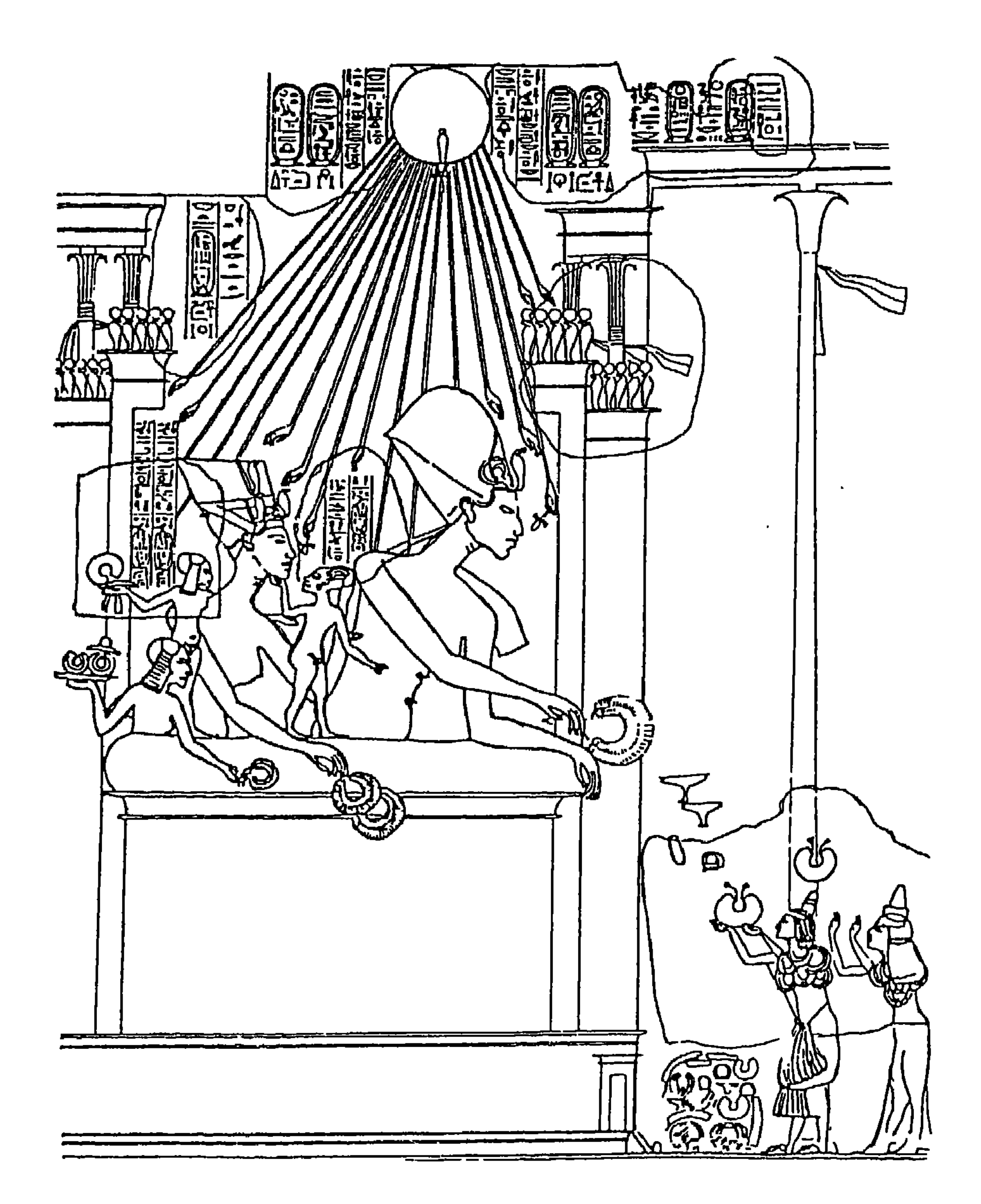
(شكل رقم ٨٢) (متحف برلين)

رأس تمثال جميل للملكة نفرتيتي من الحجر الجيري الملون بطلة ، تل العمارنة ، في ثلاثة أوضاع مختلفة وهى زوجة اخناتون



(شكل رقم ٨٣)

شكلان يمثلان لوحة واحدة من الحجر الجيري للملك اخناتون وزوجته نفرتيتي وبناته الثلاث يجلسون داخل جوسق عثر عليها في تل العمارنة وهي الآن في متحف برلـين وترجع إلي عام ١٣٥٠ ق.م



(شكل رقم ٨٤)

منظر من مقبرة النبيل ، آي ، وزوجته ، تي ، نري فيه نفرتيتي وهي تمنح القلادات الذهبية للنبيـل ، آي ، وزوجته كما نشاهد الأميرات الصغيرات وهن يحاولن مساعدة أمهن وهذه المناظر من تل العمارنة

وسنزور أولا المجموعة الشمالية ، ويمكننا أن نقول بصفة عامة أن نظام المقابر هو نفسه الموجود في طيبة ، ولو أنه يوجد بالطبع اختلافات فردية .

فهناك مدخل فصالة بها أعمدة في المقابر الهامة فحجرة ثانية بها كوة أو هيكل للتمثال في بعض الأحيـان مع وجود بئـر أو درجات تصل إلي حجرة الدفـن .

ويقول ديفـز [١] في كتابه (مقـابر العمارنة الصخرية - جزء ا ص ١٨) [٢] :

« إن الطريقة التي اتبعت في زخرفة المقابر طريقة غريبة فالصخر الذي نحتت فيه المقابر أبعد من أن يكون من النوع الجيد الذي يصلح لعمل الرسوم البارزة ذات الطابع العادي .

ويبدو أن إخناتون لم يكن مستعداً أيضاً لاستعمال طريقة الرسم باللون علي الجدران المغطاة بطبقة من الجص التي كان استعمالها منتشراً والتي استخدمها فنانو اخيتاتون بعض الوقت وأتت بنتائج حسنة .

والواقع أن فكرة نحت الجص قد استعملت ، ولكن نظراً لأن الرسوم البارزة علي الجص يحتمل أن تتلف بسهولة فقد حفرت الخطوط الرئيسية عميقـة تحت السطح حتي جعلت الأجزاء البارزة في مستوي هذا السطح تماماً .

ولم تكن هذه هي الطريقة الوحيدة لتأكيد متانتها ، فلقد حفرت أولا الرسوم كلها إجمالا في الحجر نفسه ثم نشرت طبقة رقيقة من الجص فوقها مغطية كل الاختلافات في السطح ، وكانت هذه الطبقة مع ذلك مستندة إلي الحجر الصلب .

---

(١) ديفز هو عالم بريطانى خصص حياته الطويلة فى نشر نقوش المقابر ولد عام ١٨٦٥ وتوفى ١٩١٤ وتحول إلى دراسة الآثار المصرية وكان من بين مساعدى « بترى » .

ثم بدأ بعد ذلك تخصصه فى نقل نقوش المقابر وكانت باكورة أعماله فى عام ١٩٠١ هى نقل نقوش مقابر الشيخ سعيد بأسيوط ثم تلاها بمقابر « دير الجبراوى » ثم « تل العمارنة » وتقع كل هذه الأعمال القيمة فى عشرة مجلدات وكلها تشهد بدقته فى الرسوم ومعرفة اللغة .

واستقر منذ عام ١٩٠٧ فى جبانة طيبة حتى عام ١٩٣٨ يقوم بدراسة مقابرها ونقل نقوشها وأصدر عدداً كبيراً من المجلدات الهامة فى غاية الدقة والأهمية ولم تساعده فيها غير زوجته بالرسوم الملونة لأهم مناظر تلك الجبانة وهى موجودة الآن في متحف المتروبوليتان بنيويورك كما كتب عدداً من المقالات تناول فيها بعض جوانب الفن المصرى (المراجع) .

(٢) (Davies, Rock Tombs of Amarna, I, 18)

وبينما يكون الجص لينا يقوم الفنان بتشكيله بواسطة آلة غير حادة بالشكل المطلوب ، وأخيراً تلون الرسوم كلها مع تلوين الخطوط الرئيسية باللون الأحمر .

وفي أكثر الأحيان تكون هذه الخطوط غير دقيقة بحيث تترك الناسخ في حيرة بين الخطوط الملونة والخطوط المشكلة بالحفر .

وموضوع المناظر المرسومة هو تجديد لا يقل عن التجديد في الطريقة التي اتبعت في حفرها ، فالمواضع التي تعودنا رؤيتها في مصاطب الدولة القديمة وقبور الدولة الوسطي لم تعد تري .

كما أنه ليس لدينا شيء من تلك الصور المتغايرة للحياة التي أظهرتها مقابر طيبة التي ترجع إلي الدولة الحديثة والتي سوف تظهرها ثانية فيما بعد .

مقابر تل العمارنة الصخرية

وفي هذا يقول ديفز (المؤلف السالف الذكر في مجلداته ص ١٩ الجزء الأول) — « إن مناظر المقابر في العمارنة – رغم تعددها وما فيها من تفاصيل – تمدنا بمعلومات محدودة عن الناس والأشياء في مدينة اخيتاتون».

« فهي في مجموعها تظهر لنا شخصية واحدة وعائلة واحدة وبيت واحد وسيرة واحدة للحياة وطريقة واحدة للعبادة ».

« وهذه هي شخصية وعائلة وقصر ومهام الملك وعبادة الشمس ، وكانت أيضاً خاصة به وحده وزوجته وبناته وشعبه».

« وإذا أردنا التحديد فإنها لم تكن تخص أي شخص آخر غير إخناتون».

« وفي كل مقبرة ندخلها نتصور أنفسنا – بمجرد أن نجتاز عتبة الباب – كأننا في ضريح ملكي ، فرسوم الملك وعائلته وحاشيته تسود كل شيء».

« فهنا نجد رسوماً تمثل زوجته وأولاده ومظاهر عطفه نحو عائلته وبيته ونفائسه ، وبصعوبة نكتشف أحياناً بين رهط حاشيته الشخص الذي أقيمت المقبرة من أجله مميزاً بالقليل من الكتابة الهيروغليفية التي تحدد شخصيته » .

وعلي الزائر أن يهيئ نفسه لمثل هذا التغيير في المظهر ، فمما لا يمكن إنكاره أنها تحرم مقابر العمارنة إلي حد كبير من تلك الأهمية التي نشعر بها بمقارنتها بنقوش المقابر الأخري وأنها تحمل معني التكرار .

علي أنه من جهة أخري تعتبر هذه الرسوم قيمة للغاية إذ توضح لنا حياة القصر في هذا العصر الذي نسميه عصر العمارنة والذي حدث فيه التحطيم العجيب للعادات والعقائد القديمة التى انهارت بموت إخناتون .

ولنا أن نلاحظ علي وجه أخص بعض الأحداث ومناظر الحياة في البيت الملكي مما يساعدنا علي أن نصور لأنفسنا العلاقات التي كانت تربط بين إخناتون ونفرتيتي .

وبين تي والأميرات الصغيرات بوضوح كان من المستحيل علينا تصوره بغير ذلك .

وقد رقمت المقابر بالأرقام من ١ إلي ٢٥ مبتدئة من الشمال ، ورقم ١ في هذه المجموعة هي مقبرة « حوا » وكان – كما تدل الكتابات الموجودة بها – المشرف علي الحريم الملكي .

والمشرف علي الخزائن ، والمشرف علي البيت ، وكلها وظائف منزلية لا تخص الملك وإنما تخص الملكة الأم « تي » .

وواجهة المقبرة تالفة جداً ولكن المقبرة نفسها تتميز بأنها المقبرة الوحيدة في الجبانة كلها التي تم العمل فيها كاملاً .

وكان بالصالة في الأصل عمودان من الأعمدة المستديرة المقفولة وهما اللذان كانا يسندان سقفاً هرمياً ذا ميل قليل وقد تهدم أحد العمودين تقريباً .

أما الثاني وهو الواقع إلي يسار الداخل فإنه مازال قائماً ولكن قاعدته فقدت ، وكان السقف ملوناً بألوان زاهية مازال بعضها باقياً .

أما الصالة الثانية فليس فيها أعمدة ، وفي نهايتها الشرقية تنفتح فوهة بئر الدفن .

والباب الموصل إلي الهيكل مرسوم كله ومزين بكتابة هيروغليفية زرقاء علي أرضية مدهونة باللون الأبيض ، ويحتوي هذا الهيكل علي تمثال جالس لحوا ولكنه شوه كثيراً ، وقد استؤصل الوجه كله .

والمسافات الواقعة في عرض الحائط بين الحجرات قد غطيت برسوم « حوا » وقد حضر ليتعبد في أربع مرات كما يمثله منظران وهو يدخل حجرته الخاصة .

وعلي الحائط الجنوبي من الصالة (الجانب الشرقي) منظر في غاية الأهمية فهو يمثل إخناتون ومليكته نفرتيتي جالسين إلي مائدة ، بينما الملكة الوالدة تي ممثلة أمامهما وأصناف الغذاء لا حتياجاتهم الجسدية متوافرة .

وقد قام الزوجان الملكيان بحق بالواجب نحوها ، فهذا إخناتون يمسك ويقضم قطعة من اللحم المشوي بطول ذراعه ، ونفرتيتي تتصرف بثبات في بطة تأكلها .

أما تي فهي ضابطة النفس في شهيتها ، وفوقهم الشعار الملكي لآتون رمز الشمس بأشعتها الممتدة والمنتهية بشكل أيادي تحمل علامة الحياة وقد وصفت تي : « بأنها أم الملك (إخناتون) والزوجة الكبيرة للملك (أمنوفيس الثالث) ، تي ، التي تعيش إلي أبد الآبدين » .

وإلي جانب تي تجلس ابنتها الصغري باكت آتون بينما تجلس ابنتان من بنات الملكة نفرتيتي وهما مريت آتون ونفر – نفرو – اتن بجوار أمهما .

أما « حوا » نفسه فبصفته رئيس الخاصة للملكة تي يقوم بالخدمة باعتبارها فرصته الكبيرة الهامة ، وفي الصفوف السفلية نجد صور فرق من الموسيقيين والأتباع والموظفين .

وعلي الجانب الغربي من الجدار الجنوبي رسوم مماثلة وإن كان الشراب فيها يحل محل الأكل ، ونري أن نفرتيتي قد وصفت بأنها « صاحبة الإرث ، العظيمة الحظوة ، سيدة الحسن ، الفاتنة في رقتها المحببة .

سيدة الشمال والجنوب ، الزوجة الكبيرة للملك الذي يحبها ، سيدة الأرضين

التي تعيش إلي أبد الآبدين ، ، وهناك قواعد لمصابيح للإضاءة مما يدل علي أن الحفل ليلي .

الحائط الشرقي : ويمثل المنظر عليه إخناتون وهو يقود أمه في زيارة لمعبد آتون ، وتصفها الكتابة كالآتي : ، توصيل الملكة العظيمة والملكة الأم تي لتري ظل الشمس ، وإخناتون يمسك بيد أمه يقودها إلي باب المعبد المرسوم في الخلف وفقاً للقواعد المصرية بخصوص المنظور .

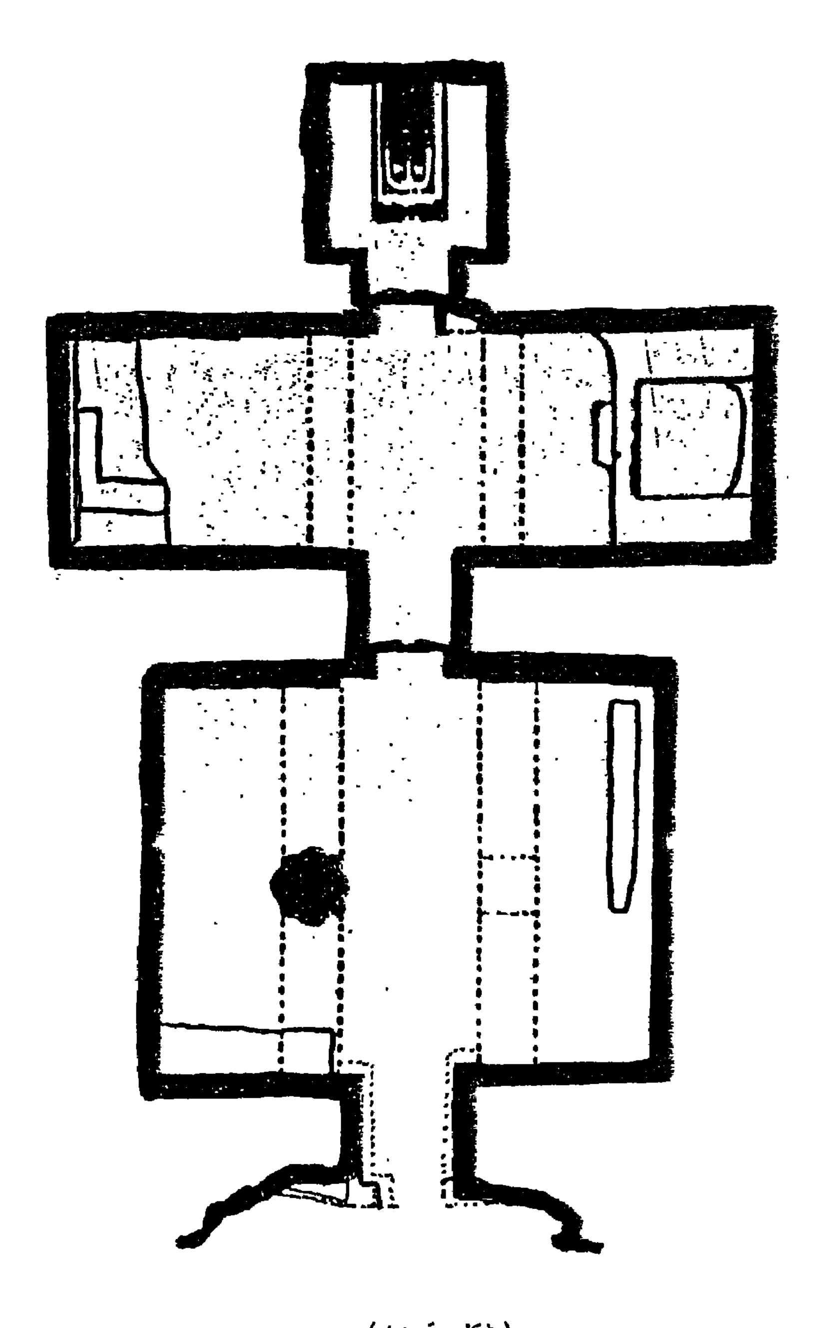
أما المناظر الثانوية للصورة الأصلية فقد استعملها فنان ، حوا ، كفرصة لتمجيد سيده والإشادة بوظائفه ، فالواقع أنه لم يكن في الإمكان تصوير حوا في المنظر الرئيسي .

ومع ذلك فإنه لا يترك نوعاً من الشك في أنه هو الذي يتولي إدارة المنظر الأستعراضى . وصورة المعبد لها قيمة وأهمية عظمي ولكنها صعبة الفهم علينا حالياً والحائط الغربي – هنا منظر مؤرخ وموصوف بالعبارة الآتية : ، السنة ١٢ ، الشهر الثاني من فصل الشتاء ، اليوم الثامن – فليعش الأب ، الحاكم المزدوج ، رع آتون ، الذي يعطي الحياة إلي أبد الآبدين .

ملك الجنوب والشمال نفر – خبرو – رع والملكة نفرتيتي الباقية إلي أبد الآبدين قد ظهر أمام الشعب علي المحفة الكبيرة المصنوعة من الذهب ليتسلما جزية سوريا (خارو) وإثيوبيا ، كوش ، والشرق والغرب .

وجميع البلاد مجتمعة في وقت واحد ، والجزر النابتة في قلب البحر قد أحضرت الهدايا للملك الجالس علي العرش العظيم لمدينة اخيتاتون الذي يتسلم الجزية من كل شعوب الأرض ويعطي نسمة الحياة ، .

ومن الأصوب أن نستنتج أن البلاد التي كان يمتلكها إخناتون فعلا كانت أقل ما نسب إليه هنا ، ففي السنة الثانية عشرة من حكمه لابد أن الأحوال في سوريا كانت في حالة سيئة إلي حد ما .



(شكل رقم ٨٥)

مقبرة « حوا » وهي رقم ١ من مجموعة ٢٥ مقبرة صخرية - بتل العمارنة وكان حوا المشرف علي حريم الملك والخزائن الملكية وهي المقبرة الوحيدة الكاملة النقوش في هذه الجبانة بمدينة اخيتاتون

وهنا نرى الملك والملكة محمولين علي محفتهما الملكية الفاخرة ويجلسان جنباً إلي جنب بينما تلف نفرتيتي ذراعها حول وسط زوجها .

أما الموظفون وفرق الجيش والأتباع فيصطفون حولهما وأحد الكهنة يطلق البخور أمام المحفة ، بينما يدور الرقص الرسمي .

هذا وتحمل جزية الشمال في موكب يضم عربتين ومجموعة منوعة من الأواني دقيقة الصنع ، أما جزية الجنوب فتشمل العبيد المكبلين بالسلاسل وسن الفيل وصرراً من التبر[١] والقرود والفهود والتياتل .

وهنا أيضاً يحاول « حوا » أن يستخلص لنفسه بعض الفضل من هذا الحدث ويتقبل التهنئة من أهل بيته علي عودته مشرفاً من الاحتفال .

ويغطي الحائط الشمالي مناظر تمثل تعيين « حوا » في وظيفته وواجباته والمكافآت الممنوحة له ، وهنا نجد صورة لمعمل (استديو) « أوتا » نحات الملكة تي ، بينما يري صاحب المعرض مشغولا في صنع تمثال « للأميرة باكت آتون » ابنة الملكة الوالدة .

وعلي عتب الباب المؤدي إلي الحجرة الداخلية رسم اثنان من الأزواج الملكيين يمثل أحدهما أمنوفيس الثالث والملكة تي ، ويمثل الآخر إخناتون ونفرتيتي .

وفي الهيكل تري الطقوس الجنائزية والموكب الجنائزي والأثاث الخاص بالدفن للمشرف المبجل للحريم .

ومقبرة رقم ٢ تخص مريرع الثاني الذي يجب أن يميز عن سميه مريرع الأول الذي كان ذا مركز أكبر ، إذ كان « الكاهن الأعظم لآتون في مدينة اخيتاتون وحامل المروحة علي يمين الملك » .

وكانت مقبرته التي تحمل رقم ٤ علي الجانب الآخر من الوادي في المجموعة الشمالية ، أما مريرع الثاني فكان مجرد كاتب ملكي ومشرفاً على الحريم الملكي ومقبرته هي الوحيدة من مقابر المجموعة الشمالية التي احتفظت بسلامة أعمدتها المغلقة وعددها اثنان .

---

(١) التبر : معناها الذهب الأصفر الخام (المراجع) .

ويلاحظ أن الصالة لم ينته العمل فيها أبداً ، فالحائط الغربي خال تماماً من أي نقش أو تصوير والحائط الشمالي أيضاً خال فيما عدا أجزاء من رسم يمثل الملك والملكة يكافآن مريرع ، ولم يتم إلا نحت جزء من المقصورة أما التمثال فلا يكاد يكون قد وضع .

وعلي الجانب الأيسر من الحائط الجنوبي للصالة منظر لإخناتون جالساً تحت كشك بسيط ، في حين ، تصب نفرتيتي النبيذ له ، بينما تقوم علي تأدية طلباته اثنتان من بناته هما مريت آتون وأخري قد تكون باكت آتون .

وعلي الجانب الشرقي منظر يكاد يكون مكرراً في كل مقبرة وهو منظر مكافأة الملك لصاحب المقبرة بعطايا تتكون من القلائد الذهبية والهدايا الأخري النفيسة .

فالملك والملكة يطلان علي الخارج من شرفة القصر ويسلمان الهدايا لمريرع الثاني الذي يقف إلي أسفل وقد تزين بالكثير من القلائد .

ووراء الزوجين الملكيين نري الأميرات يسلمن لأمهن ذخيرة جديدة من القلائد لتسليمها لأبيهن .

وحول هؤلاء فرق الجيش والعربات وحاملو المراوح ورهط من الأجانب بينهم الكثير من الساميين وواحد أو اثنان من الليبيين وتحت هذا المنظر نري حريم المنزل يحيون مريرع .

وعلي الحائط الشرقي منظر الجزية الخاصة بالشعوب وفيه يحتل الملك وعائلته كشكاً مسقوفاً وممثلو الدول ينحنون أمامه ، وفي هذا المنظر ست من الأميرات .

وهو أكبر عدد يظهر منهن في المقابر والمنظر الوحيد الذي قلنا سابقاً بأنه يوجد علي الحائط البحري وله أهمية خاصة .

إذ أن خراطيش إخناتون ونفرتيتي قد استعيضت عنها بأسماء سمنخ كارع ومريت آتون ، ولهذا فإن هذه المقبرة لابد وأنها كانت في طريق التنفيذ عندما حدث التغيير في الحكم .

نعبر الآن مدخل الوادي الذي يفصل المجموعة البحرية إلي قسمين ونتقدم إلي الجهة القبلية الشرقية بمحاذاة الهضاب حتي نصل إلي المقبرة رقم ٣ التي تخص أحمس .

وقد كان الكاتب الحقيقي للملك ، وحامل المروحة علي يمين الملك ، والمشرف علي البلاط ورئيس الخدم بقصر إخناتون .

فهو بحق خادم مهم وموثوق به من فرعون وشديد الصلة به شخصياً .

ورغم مركزه فقد بقيت مقبرته ناقصة دون أن يتم العمل فيها طوال نصف مدة حكم إخناتون .

وللصالة شكل الدهليز الطويل ، وسقفها مقبى في نهايته الجنوبية ولكنه يكاد يكون مستوياً في النهاية الأخري .

وللحجرة الثانية شكل الدهليز أيضاً وهي متعامدة مع الصالة ، وتضم المقصورة تمثالا لأحمس يمثله جالساً ، وقد شوه كثيراً .

والمقبرة قد خططت بدقة ممتازة غير أن المناظر لم تستكمل فيها إلا البعض البسيط فقط .

وعلي النصف الأعلي من الحائط الغربي رسم لزيارة ملكية للمعبد ، مع صورة لإخناتون ونفرتيتي – ومعهما ابنتهما مريت آتون – يقودان عربتهما ويتحدثان وجهاً لوجه دون أي اكتراث بسلامتهما في أثناء القيادة .

أما الجنود الحاضرون فقد رسموا بدقة ، ويلاحظ وجود جنود مرتزقة من الليبيين والزنوج .

وقد رسمت العربة الملكية بالأحمر فقط ، أما المنظر الأسفل علي الحائط فيمثل العائلة المالكة جالسة للغذاء في صالة القصر ، وعلي سمك الحائط الغربي توجد تلك الصلاة الجميلة – المعروفة الآن جيداً التي يطلب فيها أحمس من آتون أن يستجيب من أجل إخناتون – « أن يعطي له أعياداً يوبيلية كثيرة جداً وأعواما كلها سلام » .

فلتعطه ما يرغبه قلبك إلي مدي ما علي الشاطئ من رمال ، وما لدى سمك البحر من قشر ، وما لدى قطعان الماشية من شعر .

دعه يبقي هنا حتي يسود البجع ويبيض الغراب وتتحرك الجبال ويصب النهر في الجنوب ، لكي أستمر في خدمة هذا الإله الطيب (فرعون) حتي يعين لي المدفن الذي يمنحني إياه ، (إرمان – أدب قدماء المصريين ، ترجمة بلا كمان ص ٢٩٢) [١] .

وعلي مقربة من مقبرة أحمس تقع مقبرة مريرع الأول [٢] وهي من أكبر المقابر – وقد تكون أهم – المقابر في المجموعة كلها .

وقد كان مريرع الأول أحد الشخصيات العظيمة في حياة المدينة المقدسة باعتباره الكاهن الأعظم لآتون في منزل آتون بمدينة اخيتاتون ، وحامل المروحة علي يمين الملك ، وحامل الأختام الملكي ، والرفيق الوحيد ، والأمير الوراثي ، وصديق الملك .

وقد كان الكاهن الأعظم الوحيد لآتون المعروف لنا ، وكان لا يزال يقوم بمهام وظيفته في السنة السادسة عشرة من حكم الملك واستمر في مركزه العظيم حتي وفاة إخناتون .

علي أن مجرد ترك حجرة دفنه دون أن تتم ودون استعمالها بتاتاً قد يدل علي أنه لا بد وقد ساهم في إسقاط العقيدة التي خدمها ، ولو أنه لاتوجد لدينا دلائل قائمة عن الدور الذي لعبه في سقوط ديانة آتون .

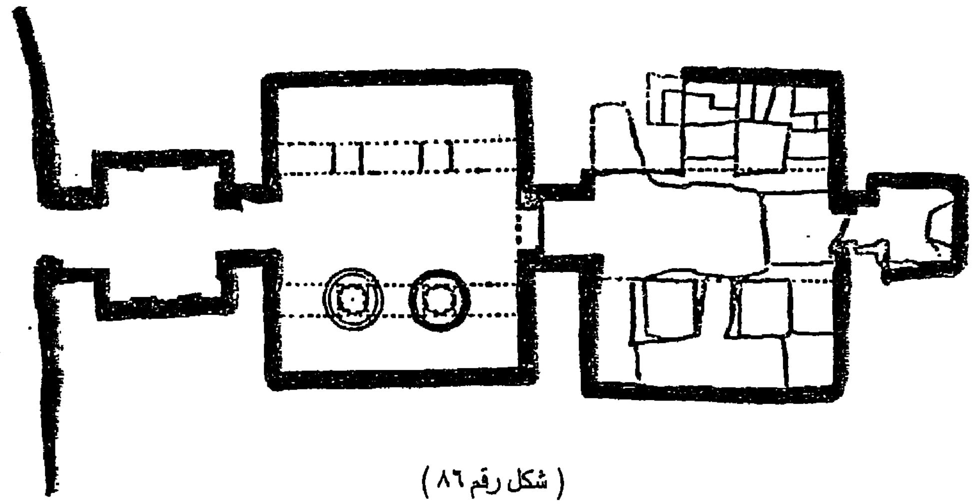
وواجهة ، مقبرة الكاهن الأعظم تكاد تبلغ ١٠٠ قدم في طولها ، وكان من الضروري قطع منحدر الصخر الذي نحتت فيه المقبرة لمسافة تقرب من ٢٠ قدماً حتي يمكن الوصول إلي المستوي المطلوب للمقبرة .

ويتوج بابها كورنيش مقعر ، وقد تسبب عن قطع الحجر للخلف وجود فناء مستو

---

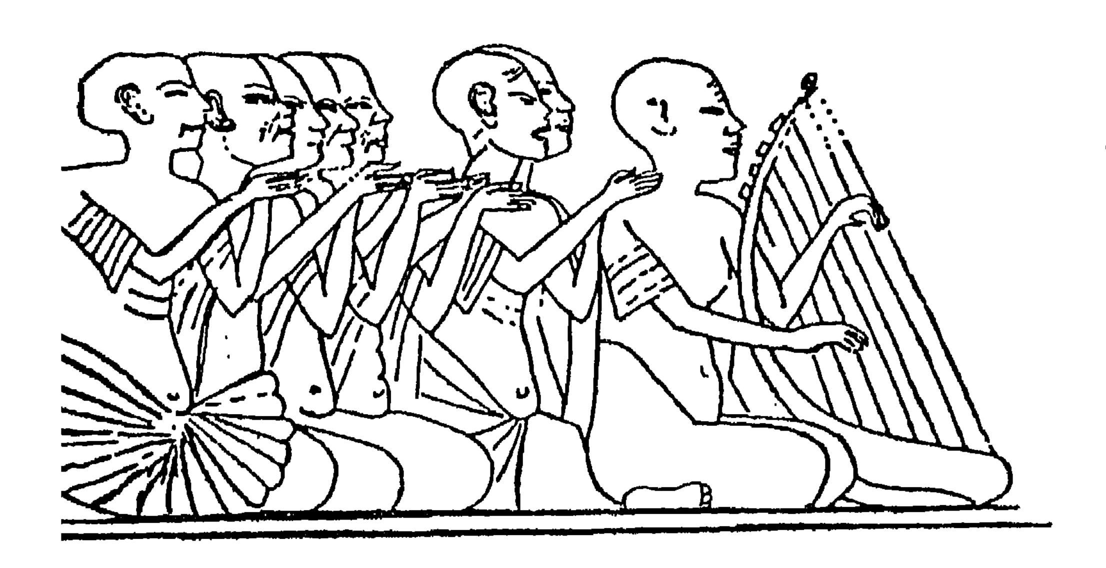
(١) (Erman, Literature of the Ancient Egyptians, Trans. Blackman, P. 292).

(٢) رقم ٤ .



(شكل رقم ٨٦)

مقبرة ، مريرع الأول ، - تل العمارنة - وهي من أكبر المقابر وأهمها في هذه المجموعة وكان مريرع الأول من أهم الشخصيات العظيمة في تل العمارنة باعتباره الكاهن الأعظم لآتون وحامل الأختام الملكية والأمير الوراثي وصديق الملك اخناتون



(شكل رقم ٨٧)

منظر فرقة من العازفين والمغنين العميان ومعهم عازف عود أعمي بينما زملاؤه يصفقون لضبط النغم وهن يغنون وقد رسمت بمهارة فائقة داخل مقبرة ، مريرع الأول ، بتل العمارنة

عرضه ٢٠ قدماً أمام الباب وقد اعتبر هذا كجزء من المقبرة، ومما يؤكد ذلك أن المهندس قد ترك سوراً واطئاً من الصخر يحيط بالحافة الخارجية للفناء.

وتختلف هذه المقبرة عن كل مقابر تل العمارنة بسبب وجود حجرة تتقدم صالتها ، وعلي سمك باب الدخول نجد رسمين لمريرع بارزين بروزاً كبيراً ومصحوبين ببعض الصلوات .

أما الحجرة التي تتقدم الصالة فهي صغيرة مربعة بها سقف مقبي قليلا وكورنيش مقعر يمتد علي طول الجدران تحت السقف ، وعلي الجدارين الأيمن والأيسر خطوط علي شكل أبواب محفورة حفراً غير غائر مع باقات كبيرةمن الزهــور.

وعلي جانبي الحائط القبلي رسوم تمثل مريرع وهو يصلي وبجواره صلوات مكتوبة بالإشارات الهيروغليفية الكبيرة الملونة باللون الأزرق ، ويوجد حائط كبير من الصخر يفصل الحجرة عن الصالة .

وعلي سمك المدخل رسوم تمثل مريرع وزوجته « المحبوبة الكبيرة لسيد الأرضين » (أي الملكة) واسمها « تنرا » .

أما الصالة فهي حجرة رحبة فخمة ولو أن فقدان عمودين من أعمدتها الأربعة الأصلية قد أفقدها تجانسها إلي حد ما ، ومع ذلك فإنها مازالت تحتفظ بفخامتها التي تؤثر في النفس .

والأعمدة التي بها تمثل براعم البردي كسائر الأعمدة السائدة في تل العمارنة ، وهي مفرطحة بعض الشئ ، والسقف مستو في الجوانب ويمتد الكورنيش هنا أيضاً علي طول الحجرة أسفل السقف فيما عدا الأجزاء المشغولة بالأبواب ، وكان في الأصل ملوناً بالألوان الحمراء والزرقاء والخضراء .

والجدار الفاصل بين الصالة والحجرة الثالثة أكثر سمكاً من تلك التي مررنا بهــا ، وكان القصد من الحجرة الثالثة أن تكون حجرة أخري ذات أعمدة مثل الثانية ولكنها لم تكمل بل لا تكاد تكون قد تحددت .

والجزء الوحيد الذي حفر فيها هو الجزء الأوسط ، أما عن المقصورة التي تلي الحجرة الثالثة فالعمل قد تم فيها بدرجة تقل عما تم في الحجرة السابقة .

ويبدو من الوجهة المعمارية أن إضافة الحجرة التي تتقدم الصالة قد زاد من فخامة المقبرة ولكنه من غير شك قد زاد من صعوبة إتمام الرسوم .

ولكن هذا المكان لم يكن القصد منه بالطبع تثقيف السواح ولكن قصد منه أن يكون مقبرة وكان الهدف من رسم الرسوم منفعة للمتوفي لإعطاء المعلومات للأحياء .

ويوجد علي الحائط الجنوبي في غرب الصالة منظر لمريرع وهو يقلد منصب الكاهن الأعظم لآتون ، ويري فيه الزوجان الملكيان وهما يطلان من شرفة غنية بزخارفها وفي صحبتهما الأميرة الصغيرة مريت آتون .

وفي أسفل يري مريرع محمولا علي أعناق أصدقائه وأتباعه ، وهو يمثل أيضاً راكعاً تحت الشرفة الملكية .

وهكذا لم يعتن الفنان باعتبارات الزمان والمكان قدر عنايته بتصوير كل التفاصيل الدقيقة .

ويري الكاهن الأعظم الجديد وقد تزين بالقلائد الذهبية ، كما نري أربعة من الكتاب منهمكين في كتابة التقرير عن الأعمال الجارية .

فى حين يقوم الخدم والحجاب وحاملوا المراوح بالخدمة ، بينما تنتظر عربة مريرع فى أسفل .

أما الخطاب القصير الذى يوجهه إخناتون لخادمه فيجرى على النحو الآتى :

(الملك الذى يعيش فى الحق) .

(سيد الأرضين) ، نفر - خبرو - رع - وع - أن - رع ، (إخناتون) يقول للكاهن الأعظم : (حرفياً ، عظيم الرؤيا ، وهو اللقب القديم للكاهن الأعظم لرع فى مدينة هليوبوليس) .

أنظر لقد جعلتك كاهنا أعظم لى فى معبد آتون فى مدينة أخيتاتون وذلك بسبب محبتى لك فأقول « يا خادمى الذى استمع إلى تعاليمى » .

« إن قلبى راض عن كل عمل تقبل عليه » « وإنى أمنحك الوظيفة وأقول ، إنك ستأكل طعام فرعون ، سيدعو لك بالحياة والرفاهية والصحة فى معبد آتون وعلى هذا الخطاب يجيب مريرع قائلا : « كثيرة ومتعددة هى العطايا والهدايا التى يعرف آتون أن يمنحها وهو راضى النفس » [١] .

ويوجد على الحائط الغربى كما يوجد على الجانب الغربى من الحائط الشمالى منظر يمثل زيارة ملكية للمعبد حيث يشاهد كل من الملك والملكة يقود عربة منفصلة وهما يبدآن هذه الزيارة من القصر المرسوم بالطريقة المصرية للمنظور ، وهى الطريقة العادية والمحيرة نوعاً ما .

وفى الناحية الأخرى من المنظر شكل للمعبد المعد لاستقبالهما وقد رسم أيضا بإبداع ، وهناك مجموعة متعاقبة من العجلات الحربية تتبع الزوجين الملكيين وأفواج من الشعب والأتباع والجنود وحاملى المراوح والكهنة ثم عدد من الثيران والحيوانات للتضحية .

وعلى الجانب الشرقى من الحائط الجنوبى منظر العائلة الملكية وهى تقدم العطايا إلى آتون ، فالملك والملكة ينثران البخور على القربان المحترق ، بينما تحرك كل من إبنتيهما مريت آتون وباكت آتون الشخاليل ورائهما .

وعلى الحائط الشرقى والجزء المجاور لهما من الحائط الشمالى منظر العائلة المالكة تصلى فى المعبد .

وهو المبنى الكبير الذى رسم بتخطيط بديع - أما الصف الأسفل من هذا المنظر فيمثل مكافأة الملك لمريرع على خدماته المتعلقة بعبادة آتون .

---

(١) ديفز - مقابر العمارنة الصخرية - الجزء الأول ص ٢١ - ٢٢) .
(Davies, Rock Tombs El Amarna, I, PP. 21-22).

وحديث الملك بهذه المناسبة يجرى على النحو الآتى : (فليأخذ المشرف على خزائن الحلقات الذهبية مريرع الكاهن الأعظم للإله آتون فى مدينة اخيتاتون وليضع الذهب على رقبته حتى أعلاها .

والذهب على قدميه بسبب انصياعه لمذهب فرعون (له الحياة والرفاهية والصحة) ، عاملاً كل ما يطلب منه بخصوص هذه الأماكن العظيمة المقدسة التى أقامها فرعون (له الحياة والرفاهية والصحة) .

فى بيت المسلة فى معبد آتون من أجل آتون فى مدينة اخيتاتون وليملأ مائدة قربان آتون بكل شيء جميل وبالشعير والقمح بوفوة من أجل الإله آتون) - (ديفز - مقابر العمارنة الصخرية - الجزء الأول ص ٣٦) .

ومن أمتع المناظر الموجودة بالمقبرة كلها ذلك المنظر الذى يمثل فرقة المغنيين العميان ومعهم عازف العود الأعمى ، وهو الذى يظهر فى منظر تقديم القربان لآتون .

فهناك سبعة مغنين وعازف العود الذي يضرب عليه وبه سبعة أوتار، بينما يصفق له زملاؤه لضبط النغم وهم يغنون .

ويلاحظ أن وجوه الرجال وتعابيرهم قد صورت بمهارة فائقة ، وليس بين ما نفذ في الجبانة كلها رسم فني أبدع من هذا .

أما المقبرة رقم ٥ فهي لشخص يدعي بنتو كان يحمل ألقاب « الكاتب الملكي ، والصديق الحميم للملك ، ورئيس خدم آتون في معبده بمدينة اخيتاتون » .

« ورئيس الأطباء ، والمستشار الخاص » .

ويبلغ طول واجهة المقبرة ٧٠ قدماً وارتفاعها ١٥ قدماً وبها الباب العادي المزخرف .

أما داخل المقبرة فهو في الواقع صورة طبق الأصل من مقبرة « أحمس » إذ يتكون من ممر طويل وآخر مستعرض مما يجعله علي شكل حرف (T) .

وعلي سمك الجدران رسوم تمثل « بنتو » ، وهي كالعادة مشوهة ولقد سقط

أغلب الجص الذي كان يغطي الخطوط الرئيسية للرسوم التي حفرت في الصخر وبذلك تركت المناظر فارغة عبارة عن خطوطاً في جوف الصخر .

وتشمل المناظر المحفورة زيارة ملكية للمقصورة ومكافأة بنتو وتكريمه في القصر ثم صورة الملك والملكة علي مائدة الطعام .

وآخر المقابر الهامة في المجموعة الشمالية مقبرة « بانجسي » [١] وتكاد تكون مظاهرها المعمارية صورة طبق الأصل من مظاهر مقبرة « مريرع الأول » فهي مكونة من صالة كبيرة وصالة ثانية وكلاهما به عمد ثم مقصورة .

علي أن الصالة الأولي – قد أصابها التخريب الشديد بسبب استخدام الأقباط لها ككنيسة ، حيث أزالوا عمودين من أعمدتها الأربعة .

وأحالوا الباب الوهمي في الحائط الشمالي إلي قبوة نصف دائرية ذات درجات .

وتبدو الأعمدة التي تمثل براعم اللوتس أقل ارتفاعاً وأكثر ضخامة من الأعمدة القائمة في صالة « مريرع » ولذا تبدو أقل جمالا . والعمودان الباقيان قد أصابهما الكثير من التخريب والتشويه .

والصالة الداخلية لها نفس الشكل وتكاد تبلغ في حجمها حجم الصالة الأولي ويسند سقفها أربعة أعمدة علي شكل براعم البردي التي لم يتم نحت تفاصيلها .

ويوجد سلم ينحدر علي طول الحائط الشرقي ثم يستدير إلي الشمال حتي يصل إلي رصيف مسطح ثم يدور علي نفسه في أنحناءة حادة ليصل بعد ٤٣ درجة إلي حجرة الدفن التي تعتبر امتداداً أفقياً للممر .

والمقصورة التي توصل إليها الصالة الداخلية منقوشة وكانت تحوي في وقت من الأوقات تمثالا جالساً « لبانجسي » وقد تهشم تماماً ، أما الصالة الداخلية فخالية من أي كتابة .

---

(١) إلى الجنوب الشرقى من مقبرة « بنتو » وقد استخدمها المسيحيون فيما بعد كمسكن ودمروا الكثير من رسومها ونقوشها الجميلة (المراجع) .

وباب المقبرة يحمل مناظر تمثل العائلة المالكة وهي تتعبد بدلا من السطور الرأسية التي تحوي بعض الصلوات .

وعلي سمك الحائط في الباب مناظر الملك والملكة يتعبدان بدلا من مناظر بانجسي وهو يصلي .

وكان علي صاحب المقبرة البائس أن يكتفي بمنظره راكعاً في الجزء الأسفل من الحائط .

ويمثل المنظر المرسوم علي الجانب الغربي من الحائط الجنوبي للصالة بانجسي والملك يكافئه ، وهو منظر لايكاد يختلف عن المناظر العادية المماثلة اللهم إلا في بعض التفاصيل الطفيفة .

وعلي الجانب الشرقي من الحائط الجنوبي تري العائلة المالكة وهي تقدم القرابين لآتون وقد أعطيت الأفضلية للزهور والفواكه بدلا من اللحوم المألوفة .

أما الحائط الشرقي فعليه منظر الملك والملكة يقودان عربتين مستقلتين في زيارة من غير شك إلي معبد آتون ، ولو أن هذا غير مؤكد نظراً لعدم إتمام رسم المنظر .

ونري الأتباع والعربات تصاحب الزوجين الملكيين كما هي العادة ، أما مناظر الملك والملكة وهما يتعبدان لآتون علي الحائط الشمالي والجانب الغربي فقد شوهت نتيجة لحفر بعض الرموز القبطية فوقها ، عندما استعملت المقبرة ككنيسة .وعلي الحائط الغربي منظر زيارة ملكية لمعبد آتون وفيه يبدو المعبد أظهر شئ يشاهد في الشكل بينما يقف الملك والملكة جنباً إلي جنب أمام مذبح وهما ينثران البخور فوق القرابين المحترقة .

ويلاحظ أن تفاصيل رسم المعبد قد نفذت بدقة زائدة ، ويعتبر هذا المنظر ذا فائدة كبيرة إذ إنه يمدنا بالمعلومات التي تتيح لنا إعادة تصميمات المنازل في ذلك الوقت وكذا مظاهر عبادة آتون .

وإذا كان لدى الزائر متسع من الوقت فعليه أن يزور من هذا المكان أقرب لوحة

من لوحات الحدود وهي التي حدد بها إخناتون – كما ذكرنا سابقاً – النطاق الديني لمدينته المقدسة .

وتقع هذه اللوحة في واجهة الجبل الذي يبعد حوالي ميل ونصف إلى شرق مقبرة « بانجسي » .

نتجه الآن إلي الجنوب نحو المجموعة الجنوبية من المقابر [١] ونلاحظ في طريقنا إليها – قرب منتصف القوس الذي تكونه الصحراء المرتفعة خلف المدينة – نتوءاً طويلا ضيقاً يبرز من الأرض العالية ويحيط بفجوة صغيرة في الناحية الغربية المتسعة .

وعلي منحدر هذا النتوء وفي أسفل واديه لاحظت « جمعية الحفر المصرية » [٢] وجود مبان من اللبن .

وسرعان ما أظهرت الحفائر بعد ذلك في ذلك الموقع أن آثار المباني الموجودة علي المنحدر ليست سوي بقايا سلسلة من مزارات المقابر الخاصة بالطبقة الوسطي من سكان مدينة « اخيتاتون » وأنها من عصر متأخر بعض الشئ عن العصر الزاهر لإخناتون » .

ومن الجائز أنها تتفق مع المراحل المتأخرة تحت حكم « سمنخ كارع » و « توت عنخ آمون » ، عندما أخذت عقيدة آمون في استرجاع هيبتها وقوتها اللتين فقدتهما تحت حكم إخناتون .

ويلاحظ أن آبار الدفن التي تخص هذه المزارات لا تقع داخل أسوارها ولكن علي المنحدرات الواقعة فوقها ، أما مباني اللبن الموجودة في الفجوة فقد اتضح أنها بقايا قرية للعمال .

ومن الجائز اعتبارها مأوي خاص للعمال الذين أقاموا فوقها المقابر الصخرية المنحوتة في الجبل ، وهي محاطة ببقايا سور به منافذ قليلة للخروج .

---

(١) تقع على بعد ثلاثة أميال إلى الجنوب من المجموعة السابقة .

(٢) (Egypt Exploration Society).

وكان يحيط بها من جهات ثلاث طرق للحراسة - وكانت هناك منازل للمراقبة مقامة علي الطريق الرئيسي الموصل منها إلي اخيتاتون .

ولا يمكن أن يكون هذا السور للدفاع فلم يقصد منه إبعاد الأعداء عنها بل كان الغرض منه تحديد إقامة العمال بداخلها .

وربما نجد التفسير لهذا في السلوك السيئ الذي اشتهر به عمال المقابر المتميزين بالشغب والعنف ، والذي وصلتنا عنه شواهد كثيرة مكتوبة علي الأقل من جبانة طيبة .

وكما يقول (بيت ووولي في كتابهما مدينة إخناتون - ص ٥٢) [١] : « من الجائز بسبب أن حرفتهم تحمل بعض الشوائب التي كانت متصلة بالمحنطين وأن عمال المقابر كانوا يشاركون زملاءهم في تلك الشهرة الرديئة التي اكتسبها زملاؤهم الصاخبون في طيبة .

فلقد « أبعدوا بقدر الإمكان عن المدينة » ، ويمكننا أن نضيف علي ما قالاه بأنه قد قصد منه التحفظ عليهم بقدر الإمكان داخل أماكنهم إلا في حالة قيامهم بعملهم .

وكما ذكرنا آنفاً تقع المجموعة الجنوبية من المقابر من (٧ - ٢٥) على المستوى المنخفض قرب النقطة التي يخرج فيها الطريق الجبلي من سهل تل العمارنة .

وفي هذا يقول ديفز : إن الشكل المعماري مؤثر للغاية وبخاصة في المجموعة الجنوبية حيث تكاد تبلغ المقابر الكبيرة عظمة المعابد المنحوتة في الصخر .

ولا توجد بمصر كلها جبانة أخرى فخمة وعظيمة مثلها ، فيجب أن نضع بجانب العمارة المتينة في صقارة والبساطة البديعة في بني حسن ، والتلوين الفاخر في طيبة ، ذلك المعمار الرشيق لمقابر الحاج قنديل [٢] .

وتخص المقبرة رقم ٨ المدعو « توتو » [٣] وقد يكون نفس الشخص المعروف

---

(١) (Peet and Woolley, The City of Akhenaton, P. 52).

(٢) (المقابر الصخرية - الجزء الرابع - ص ٨) .

(Davis. Rock Tombs, Vol. IV, P. 8).

(٣) المقبرة رقم ٧ لصاحبها « باون نفر » مقبرة صغيرة تقع في أقصى شمال المجموعة .

بدودو الذي يبدو وقد أحاطه ثوب من الريبة ، ففي خطابات (عزيرو) الموجودة ضمن رسائل تل العمارنة يقف في مواقف مريبة بحيث يبدو أبعد ما يكون إخلاصاً ، في تصرفاته مع سيده الملكي .

ويلاحظ أن صالة المقبرة كان يسندها اثنا عشر عموداً لم يبق منها إلا ثمانية (١) .

وأهم منظر فيها هو مايمثله وهو يتلقي المكافآت المعتادة من الذهب من الملك والملكة وقد مثلا كالعادة متكئين علي شرفة قصرهما لينعما بالعطايا علي خادمهما ، المشكوك في إخلاصه .

والعمل في المقبرة لم يتم ، وهي علي العموم أقل أهمية من المقابر الأخري التي لابد من ذكرها ، ولكنها جديرة بالاعتبار ، علي أنها ذكرى لرجل يظن أنه كان الخائن في معسكر إخناتون .

أما المقبرة رقم ٩ فتخص « ماحو » أو « مح » الذي كان رئيساً لشرطة إخناتون ويظن « ديفز » أنه نظراً لأن رئيس (اسكتلنديارد) في مدينة اخيتاتون كان يعلم أكثر من أي شخص آخر « مبلغ الخطر أو علي وجه أخص متأكد من أن مقبرته سوف تنهب بعد مماته » فقد اختار مكانها في ذلك الموضع الخفي .

ومهما كان الأمر فلقد كان أكثر توفيقاً من معظم الرجال في أن يضمن السلامة لمكان راحته الأبدية ، فلقد بقيت المقبرة الصغيرة سليمة ليس فقط إبان رد الفعل الديني الذي سرعان ما حدث .

« بل إنها أيضاً نجت من انتهاكات اللصوص الحاليين » - وقد تكون الآن أكثر المقابر فى المجموعة الجنوبية جاذبية ، ويرجع هذا إلي حد كبير إلي حالتها الطيبة التي وصلت بها إلينا والتي تفوق حالة المقابر الأخرى .

---

(١) ويرتبط الصف الجنوبى من الأعمدة بجدار حجرى يتوسط موضع باب ، ويؤدى سلم صخرى إلى حجرة الدفن ، كذلك نلاحظ بالجدارين الشرقى والغربى للصالة فتحات صغيرة لتماثيل لم تتم .

ونظام المقبرة هو نظام الدهاليز المتعارضة فصالتها الأولي تمتد في اتجاه مستعرض مع محور المقبرة العام ، والحجرة الداخلية تكون الساق في حرف (T) .

وهي منحرفة قليلاً ولم يتم العمل فيها بل بقيت غير منحوتة تماماً - ولم يتم العمل في الهيكل الواقع في الخلف .

ومن هذه الغرفة ينزل سلم دائري به ٤٧ درجة حتى يصل إلى حجرة الدفن - ويشغل سمك الجدران في المدخل رسوم تمثل الملك والملكة والأميرة مريت آتون في حضرة الشمس .

والملكة والأميرة يهزان الشخاليل في اتجاهها ، بينما يركع ماحو في أسفل ، وعلي الجانب الآخر الواقع إلي يمين الزائر يركع ماحو أيضاً مصلياً وعلى الحائط الأمامي في النصف الشمالي وعلي الحائط الخلفي في النصف الشمالي من الصالة يتقبل ماحو المكافآت من الملك لإخلاصه في خدمته وفي إحدي الحالات تتم هذه العملية أمام القصر كالعادة .

وفي حالة أخري تحدث أمام المعبد ، وكان المقصود بهذا إظهار رئيس الشرطة كالمسئول عن سلامة التاج والهيكل .

ومنظر القصر قد رسم فقط بالحبر ، ومع أن المعبد قد رسم بالحبر أيضاً ، غير أنه أكثر حفظاً وتظهر بجلاء القدرة الفنية الرائعة للرسام المصري .

ولا يفوق هذا الرسم الذي تم بالحبر إلا صورة ماحو نفسه وهو يركع وقد شكل بالجص حتي الرأس ، ويري رئيس الشرطة متبوعاً بخمسة عشر شرطياً وهم « شرطة مدينة اخيتاتون » يقودهم حامل العلم .

وكما هو متوقع فإنهم يرفعون أذرعتهم جميعاً في مديح « الحاكم الطيب الذي يقيم المباني لأبيه إنه يعمل ذلك المـرة بعد المرة وبصفة دائمة السيد الطيب ! » وفي النصف الأعلي يري ماحو مرة أخري علي رأس فرقة أكبر من الشرطة مصفوفة في ستة صفوف كل صف منها يتكون من خمسة أفراد .

ويقول النقش المصاحب : إن شرطة مدينة أخيتاتون ينشدون ويهتفون بتلك العبارات « إنه يرقي بالجملة ، ومادام آتون يشرق فسيبقي هو إلي الأبد » .

والمنظر المسجل في النهاية الجنوبية للحائط الخلفي للصالة علي جانب كبير من الأهمية ، إذ لا يوجد له مثيل في مقابر العمارنة الأخرى ، وقد رسم خصيصاً كما هو واضح لرئيس الشرطة .

فالملك والملكة يشاهدان أولا في نفس العربة مع ابنتهما الأميرة «مريت آتون» ثم يغادران المعبد ويلاحظ كيف تتدخل نفرتيتي في قيادة إخناتون والسيطرة عليه ، فهي حريصة علي التحدث إليه (أو ربما تقبيله) .

ورأسه يتجه إلى كل مكان ماعدا المكان الذي يجب أن يلتفت إليه ، بينما تستغل مريت آتون الفرصة لتوخز الجياد المتقدة نشاطاً بالعصا [١] وقد كان الركب الملكي في زيارة تفتيشية لمراكز الدفاع الممثلة بشكل حصن صغير .

ويري « ماحو » والخمسة عشر شرطياً الخاصين به يجرون أمام العربة – ولكن هناك ما هو أدهي ، فقد كان علي الوزير ومن يليه في المرتبة – ولم يعودا رشيقين كما كانا من قبل – أن يسايراالجياد الملكية ، وهو ما يفعلانه بصعوبة ظاهرة .

وتظهر بعدئذ المركبة الملكية مرة أخري ونفرتيتي [٢] تتدخل بصورة أظهر مما سبق في قيادة إخناتون للعربة – ولنا أن نلاحظ كيف يعبر « ماحو » عن نشاطه الذي

---

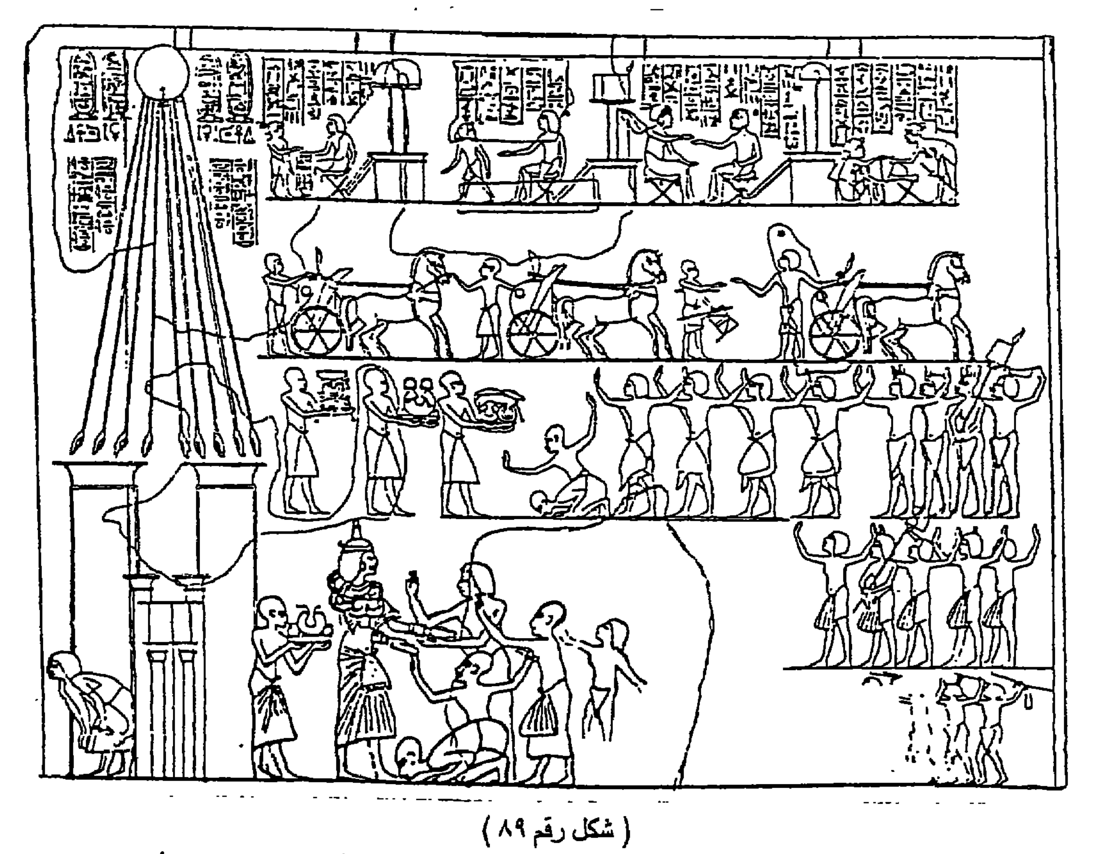
(١) من أروع المناظر وهو يدل على مدى تحرر الفنـــان وكذا دقة ملاحظتــه وصدقه فى التسجيل (المراجع) .

(٢) نفرتيتى – تعتبر نفرتيتى من أهم شخصيات تل العمارنة باستثناء زوجها اخناتون فلقد اقترن اسمها بإسمه فى معظم النقوش ، كما مثلت معه فى أغلب المناظر وسائر المناسبات الرسمية والأسرية هى وبناتها كتقديم القرابين والتعبد لقرص الشمس وفى بعض الأحيان تقوم ببعض الأعمال التى يقوم بها زوجها مثل تمثيلها وهى تضرب الأعداء وتوزع الهبات على كبار الموظفين وأحياناً صورت وهى ترتدى التاج الأحمر للمملكة كما عثر على نص على لوحة من لوحات الحدود يستنتج منه أن اخناتون كان واقعاً تحت سلطان وتأثير زوجته وخاصة فيما يتعلق بالدين الجديد . ولم نصل بعد إلى معرفة ما حدث لنفرتيتى فى أواخر أيامها فى تل العمارنة أو تاريخ وظروف وفاتها أو مكان دفنها وأهم المناظر التى مثلت فيها نفرتيتى قد نقشت فى المقابر الصخرية بتل العمارنة وعلى أكثر من ٣٠ ألف حجر من أحجار معبد آتون وهى محفوظة فى مخازن الكرنك ومتحف الأقصر وفى متحف برلين يعرض تمثال الرأس الملون المشهور الذى يعد من أروع الأمثلة فى النحت حيث وصل الفنان إلى القمة فى دقة التصوير وروعة التعبير وجودة التلوين (المراجع) .



(شكل رقم ٨٨)

مناظر مختلفة من مقبرة ، ماحو ، رئيس الشرطة في عهد اخناتون بتل العمارنة يتفقد جنوده ويعطيهم التعليمات والتدريبات المختلفة



(شكل رقم ٨٩)

منظر للنبيل « آي » بعد خروجه من القصر الملكي وعليه كل القلادات والأوسمة الذهبية التي أهديت إليه من الملكة – وهذا المنظر من مقبرته بتل العمارنة

لا يكل والذي يوجد في كل مكان ببعض الأساليب الغريبة فهو يبقى خلف العربة الملكية ليهتف بكلمة الوداع التي تعبر عن إخلاصه .

وهو مع ذلك يركع أمام الفصيلة التي كان عليها أن تجري أمام العربة ومن العجيب أنه يعمل بعد ذلك على أن يكون الأول في الترحيب بالزوجين الملكيين عندما يصلا إلي غايتهما – ياله من رئيس شرطة نموذجي ! ومن الملاحظ أن رجال الشرطة غير مسلحين بأى سلاح .

أما النهاية الجنوبية للحائط الأمامي فتحوي سلسلة عجيبة من المناظر التي يبدو أنها تمثل مظاهر نشاط الشرطة في عملهم اليومي من تموين وتفتيش لمراكز البوليس المحلية التي يشرف عليها رئيس الشرطة – الفائق القيمة الذي يزيد من إعزازنا له لإصطحابه لكلبه الأليف .

وإلقاء القبض علي المجرمين بواسطة الشرطة الذين أصبحوا يحملون السلاح الآن ، ثم تقديم هؤلاء المساجين أمام الوزير مع النطق بهذه الكلمات « فلتفضلوا أيها الأمراء بفحص هؤلاء الرجال الذين حرضهم الأجانب » (١) .

ولماحو عربته التي تمكنه من الانتقال في دائرته بسرعة – وإذا كان رجال الشرطة لدينا يشكون من إرهاقهم بالعمل فعليهم أن يتذكروا أن شرطة اخيتاتون كانت تقوم بأعمالهم مضاعفة .

وعلي العموم فإن المناظر في مقبرة ماحو جديرة بالملاحظة وهي أشبه بواحة في الصحراء بالنسبة لرسوم العائلة المالكة في جميع أعمالها الخاصة بالتعبد والواجبات الرسمية .

ومقبرة رقم ١٠ تخص « إيبي » الذي كان كاتباً ملكياً وناظراً للخاصة وهي تخلو من النقوش فيما عدا الباب والمدخل ، وكان من المقرر أن يتسع الدهليز المستعرض بحيث يظهر بمظهر صالة بها أربعة أعمدة وعمودان متصلان بالجدران في منتصفها .

---

(١) يعتقد البعض أنه قد كانت هناك محاولة لاغتيال إخناتون ، وأن ماحو قد قضى على المعتدين وقدمهم للمحاكمة ، ولكن ليس هناك من الأدلة التاريخية ما يؤيد هذا الرأى (المراجع) .

ولكن هذه العناصر المعمارية قد حددت فقط .. ويلاحظ أن المنظر الذي يمثل الملك والملكة والأميرات الثلاث وهم يتعبدون لآتون ، قد نفذ ولون بمهارة فائقة ولا يزال اللون الأزرق با قياً .

وهنا كما في كل مكان آخر نجد أن اسم الملكة قد زود بتلك العبارات الرقيقة فهي « الأميرة الوراثية ، العظيمة الحظوة ، سيدة الرشاقة ، صاحبة البهجة التي يشرق آتون ليضفي الحظوة عليها » .

« ويغرب ليضاعف من محبتها ، زوجة الملك ومحبوبته ، سيدة الجنوب والشمال ، سيدة الأرضين ، نفرتيتي التي تعيش علي الدوام وإلي الأبد » .

أما المقبرة رقم ١١ فتخص « راموزا » الذي كان من الجائز وليس من المرجح أن يكون نفس الوزير الشهير « راموزا » الذي تبين مقبرته العظيمة في القرنة [١] كيف تغير اسم أمنوفيس الرابع إلى اسم إخناتون .

ويبدو أنه غير محتمل أن رجلا عظيماً كراموزا المعروف في طيبة يكتفي بمقبرة كهذه ، وبالإضافة إلي ذلك فإن الألقاب التي يتحلي بها راموزا بتل العمارنة « الكاتب الملكي ، وقائد الشرطة لسيد الأرضين » لا تتفق مع تلك الألقاب التي يحملها اسمه في طيبة .

وقد كان أقوي موظف مدني في عصر إخناتون – والمناظر فى مقبرته غير هامة وباستثناء صورة راموزا فهي جميعاً مشوهة جداً .

والمقبرتان رقما ١٢ ، ١٣ تخصان « نخت – با – آتون » و« نفر – خبرو – حر – سخبر » – والمقبرة رقم ١٢ لم يتم بها غير المدخل والواجهة وجزء صغير من الأرضية .

وتوجد أجزاء من ثلاثة أعمدة مستديرة قد نحتت ، غير أنها بقيت بشكل أعمدة مربعة منحوتة في الصخر ، ومع ذلك فقد كان نخت – با – آتون يحتل أعلي المراتب فكان الأمير الوراثي ، وحامل الأختام ، والوزير .

---

(١) نفذ جانب من رسوم مقبرة راموزا بغرب طيبة وفقاً لقواعد الفن المصرى التقليدى ، والجانب الآخر وفقاً لفن تل العمارنة (المراجع) .

أما المقبرة رقم ١٣ فقد سار العمل بها شوطاً أكبر ، ورغم أنه لم يتم غير نصفها إلا أنها من أمتع الأمثلة للأبنية المنحوتة في الصخر في تل العمارنة » .

ويلاحظ أن الصالة مقسمة في منتصفها بصف من الأعمدة المنحوتة في شكل برعم البردي ، عددها ستة بالإضافة إلي عمودين ملتصقين بالحائط عند طرفي الصف .

وهذه الأعمدة – كما هو الحـــال في جميع الأعمدة في المجموعة الجنوبية – أرشق بكثير من أعمدة المجموعة الشمالية .

ولما كانت الصالة لم تكتمل نهائياً فقد ظهرت بمظهر غريب فالجزء العلوي كامل في جميع تفاصيله فيما عدا الكتابات والتلوين ولكن الجزء الأسفل لم يمس بحيث تبدو الأعمدة الرفيعة وكأنها تبرز ببطء ودون أن تتحطم من كتلة منخفضة من الصخر .

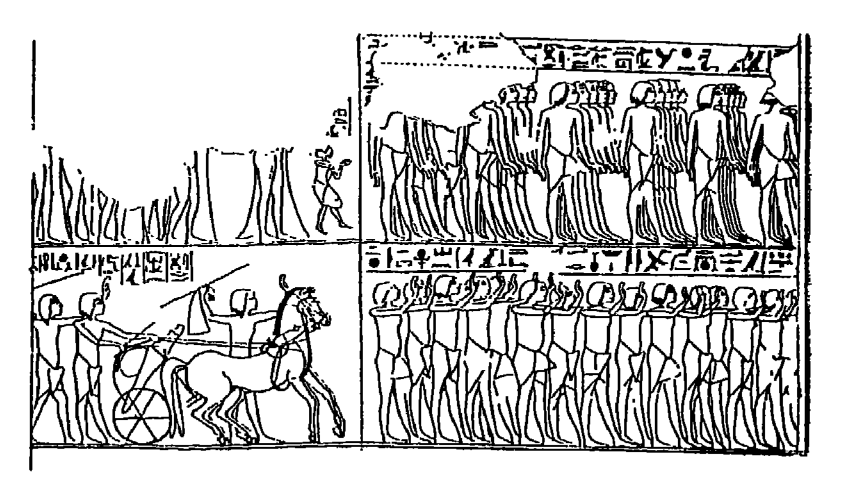
والمقبرة رقم ١٤ لشخص يدعي « ماي » كان يحمل ألقاب الأمير الوارثي ، وحامل الأختام الملكي ، والصديق الفريد ، والكاتب الملكي ، ورئيس الجنود .

ويحدثنا ماي في نصوص مقبرته فيقول : « كنت رجلا من أصل متواضع من جهة أمي ومن جهة أبي لكن الأمير أيدني » – ولكن يبدو أن هذا التأييد لم يستمر إذ محي اسم الرجل أينما وجد بعناية ولو أن آثارا كافية بقيت فيه تؤكد صحة اسمه كما قرئ .

ومن الواضح أن ماي قد فقد حظوته أو علي الأقل كان له عدو لدود حاول أن يمحو اسمه من الخلود .

ولقد صممت الصالة علي مقاس واسع ليكون لها اثناعشر عموداً في صفين بكل منهما ستة أعمدة ، ولكن أغلبها ترك دون أن يكمل ، ويبدو أنها تأثرت بفعل الحريق .

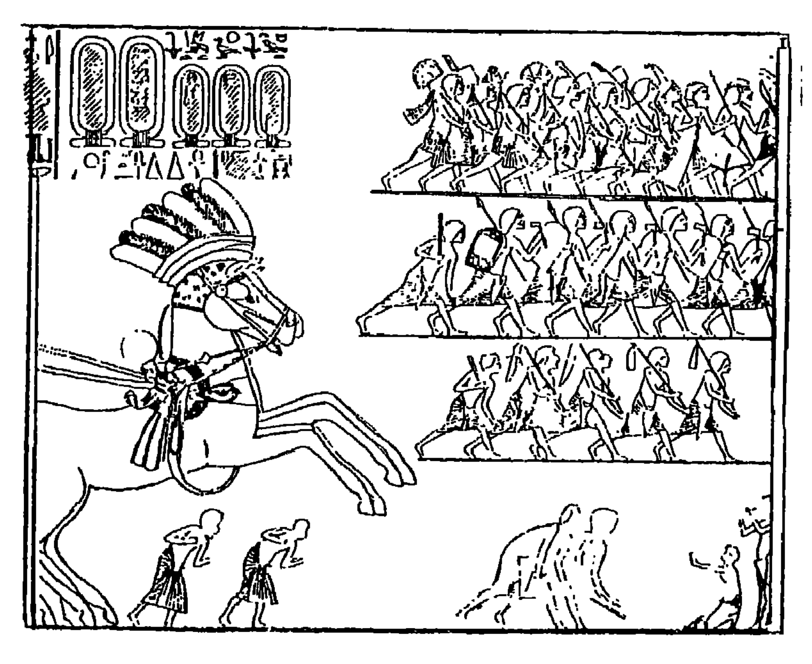
ويوجد في المقبرة مع ذلك شيء من التفاخر البسيط الذي يعلن به ماي ترقيته وحظوته لدي الملك وهو ما يجلب عطفنا علي هذا الرجل الذي بعد أن ارتفع ناله عكس هذا الحظ كما هو واضح فهو يقول : « لقد أعطاني (فرعون) الطعام والمؤن كل يوم – أنا الذي كنت أتسول الخبز » .



(شكل رقم ٩٠)

منظر آخر عبارة عن صفوف من رجال الشرطة

فى استعراض من مقبرة « ماحو » رئيس الشرطة بتل العمارنة



(شكل رقم ٩١)

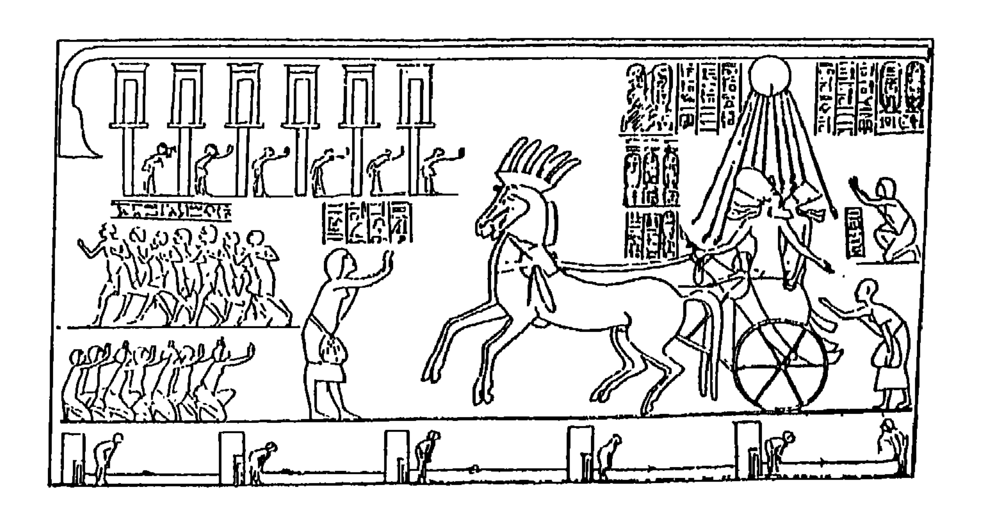
منظر من مقبرة « ماحو » بتل العمارنة يمثل شرطة الحرس الملكي الخاصة باخناتون

يجرون في ثلاث صفوف أمام عربته



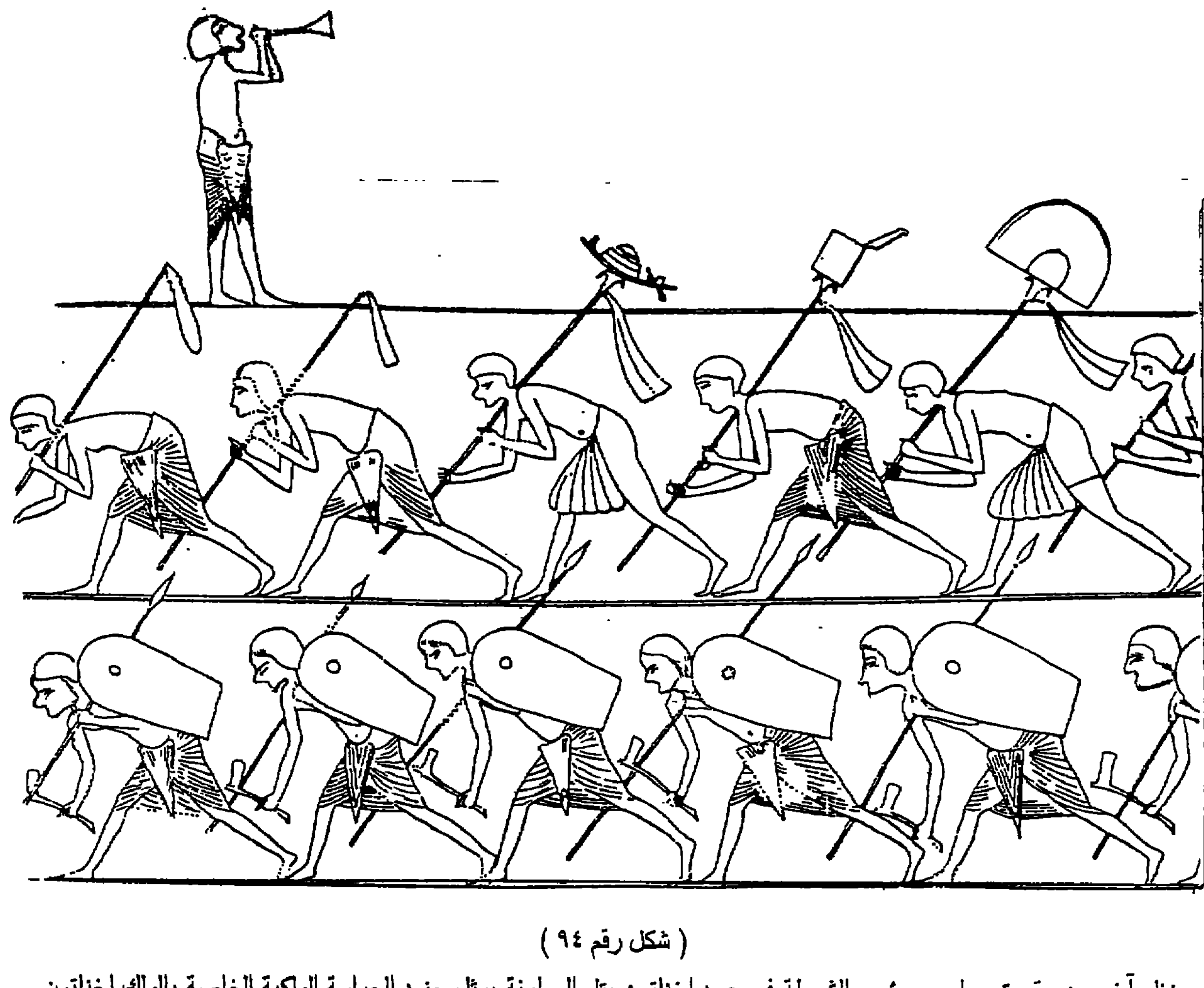
(شكل رقم ٩٢)

منظر من مقبرة الأمير ، ماحو ، قائد الشرطة في عصر اخناتون أثناء قيامه بمهامه من مقبرته بتل العمارنة



(شكل رقم ٩٣)

منظر آخر من مقبرة الأمير ، ماحو ، قائد الشرطة بتل العمارنة ونشاهد فيه اخناتون راكباً عجلته والكهنة والشعب يقدمون له التحية



(شكل رقم ٩٤)

منظر آخر من مقبرة ، ماحو ، رئيس الشرطة في عهد إخناتون بتل العمارنة يمثل جنود الحراسة الملكية الخاصة بالملك اخناتون



(شكل رقم ٩٥)

، ماحو ، رئيس الشرطة في تل العمارنة يشرف بنفسه علي إحضار مواد الطعام والركائب والماء لجنوده في عهد أخناتون وهى منقوشة على جدران مقبرته

أما الرسوم بالحبر الأسود لمناظر اخيتاتون من النهر والموانيء والمراكب النيلية فهي من المناظر الممتعة في تلك المقبرة .

والمقبرة رقم ١٥ تخص « سوتي » الأول ويجب التفرقة بينه وبين « سوتي » أو « سوتاو » الذي كان رئيس الخزائن وتحمل مقبرته رقم ١٩ .

وكان سوتي الأول مجرد « حامل العلم لفرقة الملك » نفر – خبرو – رع (١) وهي وظيفة لا تبدو أنها هامة ولو أن « حوا » الذي كان ناظراً لخاصة الملكة « تي » كان قانعاً بأن يشغل وظيفة مشابهة .

وقد صممت المقبرة علي الطراز المعروف بحرف (T) مع وجود رأس هذا الحرف أولا ، وتكون الصالة ذات الأعمدة ساق الحرف بعد ذلك .

وكان من المقرر أن تكون الصالة مربعة ولها صفان من الأعمدة بكل صف أربعة أعمدة ، ولكن العمل فيها لم يتعد البدء في التنفيذ .

ولو كانت المقبرة رقم ١٦ قد أكملت لكانت واحدة من أفخم المقابر الصخرية في مصر ، والجزء الوحيد الذي يكاد يكون كاملا هو جزء من الرحبة الوسطي والجزء الجنوبي من إحدي الرحبات المستقطعة للصالة الكبري ، وهذه الصالة ذات أبعاد كبيرة فهي تبلغ ٥٣ قدماً في طولها ، ٢٩ قدماً في عرضها ، ١٥ قدماً في ارتفاعها .

وكان مقدراً لسقفها أن يسنده اثنا عشر عموداً مستديراً وقد تم تنفيذ القليل منها ، ولكن غير معروف اسم الشخص الذي أقيمت من أجله هذه المقبرة الفخمة .

والمقبرة رقم ١٧ مقبرة صغيرة ليس فيها ما يلفت النظر .

والمقبرة رقم ١٨ غير معروف صاحبها أيضاً وهي من الطراز ذي الدهاليز وبها صالة ومقصورة في خط مستقيم ، وبها كتابة ولكن اسم صاحبها قد فقد .

والمقبرة رقم ١٩ هي مقبرة سوتي الثاني الذي كان رئيساً للخزائن وبها رسم أو رسمان بالحبر قد محيا تقريباً .

والمقابر أرقام ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ كلها غير كاملة ، وبالمقبرتين ٢٠ ، ٢٢ أجزاء

---

(١) إخناتون .

غير تامة من الرسوم ، أما المقبرة رقم ٢١ التي تخلو من النقوش فهي ذات نظام معماري غير مألوف .

والمقبرة رقم ٢٣ هى مقبرة « آني » الذي كان كاتباً ملكياً ومديراً للأعمال ورئيساً لخاصة أمنحتب الثاني ، ولهذا فلا بد أنه كان رجلا مسناً عندما جاء إلي مدينة « اخيتاتون » ، ونظام المقبرة غير مألوف ومبتكر ولو أنه لم يتم تنفيذه أبداً .

فهناك درجات متعددة من السلم تؤدي إلي المدخل الذي كان مقرراً أن يكون له بواكي خارجية ، أما الدهليز الذي يمكن الدخول إليه من الشرفة فهو متناسق وكامل والألوان التي تغطي الكورنيش ، من أزرق وأخضر وأحمر ، زاهية وناضرة .

والتمثال الموجود بالمقبرة في حالة من الحفظ أفضل من أي تمثال آخر في الجبانة ، أما المناظر الملونة فلقد تم عملها بسرعة وببساطة بألوان غير دقيقة بعض الشيء (١) .

وتخص المقبرة رقم ٢٤ « با – أتن – أم – حب » الذي كان كاتباً ملكياً ورئيساً للجنود ورئيساً لخاصة سيد القطرين .

ومن الغريب أنه كان يحمل أيضاً لقب « رئيس الحمالين في مدينة اخيتاتون » وقد يكون المقصود من هذا اللقب الأخير لقب « مدير الأعمال » ولم يتم في المقبرة أكثر من المدخل .

أما المقبرة رقم ٢٥ فهي مقبرة هامة ولا يرجع ذلك إلي حالتها فهي لم تكمل بل يرجع إلي أن صاحبها هو « آي » الذي – بعد أن خدم إخناتون وبعد أن ساند السياسة الدينية في جميع مراحلها – انتهي به الأمر إلي اعتلاء العرش بعد وفاة توت عنخ آمون .

وأصبح مدفنه الفعلي في وادي الملوك في طيبة حيث تقوم مقبرته التي أعطيت رقم ٢٣ ، والتي عرفت بمقبرة القرود .

وكان مقرراً للصالة التي نحتها في مقبرته بتل العمارنة أن يكون بها ما لا يقل

---

(١) تمثل هذه المناظر العائلة المالكة تتعبد للإله آتون ، وكذا آني يتعبد أو يتقبل هو وزوجته القرابين (المراجع) .

عن ٢٤ عموداً من الأعمدة التي تمثل براعم البردي ولكن ١٥ فقط منها شرع في نحتها .

وما تم نحته فعلا هو ٤ فقط ، أما المناظر فهي المناظر المألوفة لصاحب المقبرة وهو يتسلم المنح من الملك والملكة .

وإذا ما تتبعنا الوادي الذي يسير إلي الجهة الشرقية من منتصف سهل العمارنة بين المجموعتين الشمالية والجنوبية للمقابر [١] ، فإننا نصل بعد مسافة قدرها ستة أميال ونصف ميل من المدينة إلي المقبرة رقم ٢٦ وهي مقبرة العائلة المالكة .

وربما دفن إخناتون فقط بصفة مؤقتة هناك ثم نقل بعد ذلك إلي وادي الملوك في طيبة [٢] .

ويبدو أن هذه المقبرة كانت المدفن الدائم الوحيد لابنة الملك الأميرة « باكت آتون » التي توفيت صغيرة – والمقبرة لها نظام أكثر إتقاناً من بقية مقابر العمارنة كما كان منتظراً ، وهي تشبه كثيراً المقابر الملكية لطيبة ، ولو أن هناك بعض الفروق .

وهناك سلم من عشرين درجة يتوسطه منحدر منبسط لينزل عليه التابوت ، وهذا السلم يؤدي إلي الباب وممر منحدر .

وفي منتصف هذا الممر وإلي يمين النازل يتفرع ممر منحدر آخر وهو الذي ينثني لينتهي إلي حجرة لم يتم العمل فيها ، ولكن الممر الرئيسي يستمر حتي سلم آخر ذي درجات توجد إلي جهة اليمين منه ثلاث غرف اثنتان منها مزينتان بالرسوم والكتابات .

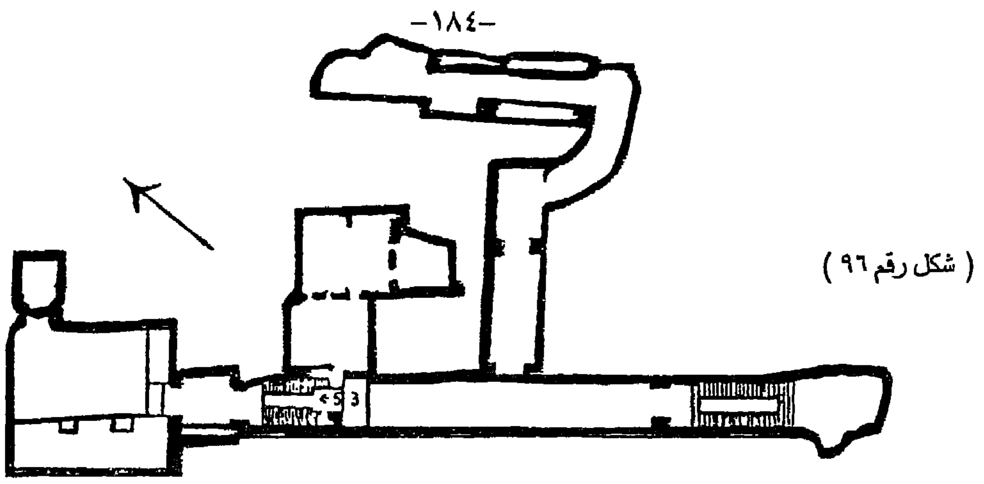
ومن المحتمل أن تكون هذه الغرف قد استعملت كمقبرة للأميرة « باكت آتون » ، وبعد السلالم يستمر الممر حتي حجرة أمامية تؤدي بدورها إلي حجرة الدفن .

وكان بهذه الحجرة الأخيرة أعمدة ولكن هذه الأعمدة ما عدا عمود واحد قد اختفت ، أما المناظر التي كانت محفورة ومشكلة في الجص والمخططة فوق الصخر كما أسلفنا فقد نالها الكثير من التخريب .

---

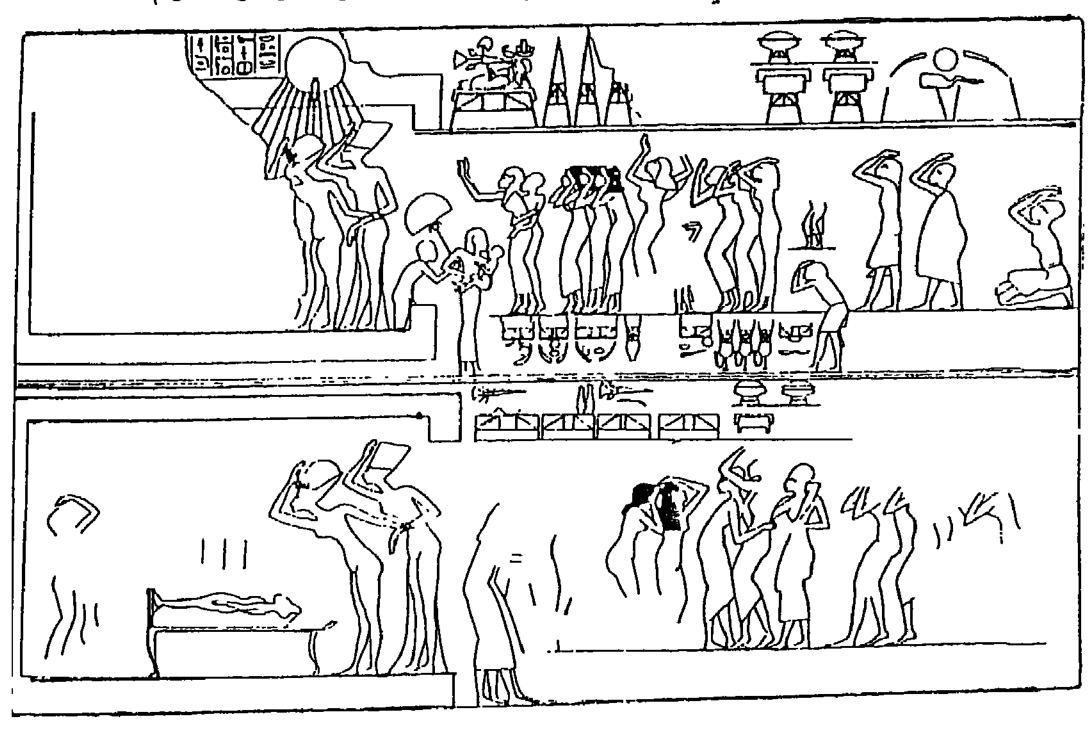
(١) يعرف بدرب الحمزاوي أو درب الملك .

(٢) لحق هذا القبر الكثير من التشويه .



(شكل رقم ٩٦)

مقبرة العائلة المالكة – تل العمارنة – وهي التي دفن فيها اخناتون بصفة مؤقتة ثم نقل بعد ذلك إلي وادي الملوك في طيبة – ويبدو أن هذه المقبرة كانت المدفن الدائم الوحيد لإبنة الملك الأميرة « باكت آتون » التي توفيت صغيرة وهذه المقبرة تشبه المقابر الملكية في طيبة نظراً لدقتها وإتقانها عن بقية مقابر العمارنة وتحمل رقم ٢٦



(شكل رقم ٩٧)

منظر جداري داخل مقبرة الأميرة « باكت آتون » بمقبرة العائلة المالكة ويشاهد منظر الحزن واللوعة والنواح على موت الأميرة والملاحظ أن فناني العمارنة قد صوروا النائحات والنائحين بطريقة أكثر حرارة ودقة في التعبير – كما يبدو أنهم من موظفي وخدم ووصيفات العائلة القريبين من الأميرة

وهذه المناظر من النوع المألوف بتل العمارنة وهي تمثل الملك والملكة وهما يتعبدان لآتون وغير ذلك من المناظر الموجودة في الحجرة الأولي التي تمثل حاشية باكت آتون الممتعة ، وهي تمثل الموكب الجنائزي للأميرة ، وهذا الموضوع نفسه يستمر عرضه في الحجرة الثالثة .

(محاجر المرمر بحاتنوب)

وعلي بعد عشرة أميال من النهر وفي التلال الصحراوية الواقعة إلي شرق مدينة اخيتاتون تقع محاجر المرمر بحاتنوب وقد اكتشفها لأول مرة في العصور الحديثة الأستاذ « نيوبري » الذي ذهب إليها بصحبة بعض الأهالي عام ١٨٩١ .

والكتابات الموجودة في هذه المحاجر الشهيرة تبدأ من الأسرة الرابعة وتستمر حتي حكم الملك « بيبي الأول » من الأسرة السادسة .

ويحدثنا « أوني » بأنه أرسل إلي حاتنوب إبان حكم الملك مريرع (نفس الأسرة) ، ومن هنا حصل « تحوت حتب » من البرشا علي تمثاله الضخم ، وفي عهد الأسرة الثامنة عشرة عمل هناك « انيني » مهندس « أمنوفيس الأول » ،وحصلت الملكة « حتشبسوت » من هذه المحاجر علي المواد الضرورية لأعمال البناء التي قامت بها .

ويحدثنا « تحوتي » المهندس المعماري بأن درجات الناووس المصنوع من الأبنوس في الدير البحري كانت من « المرمر النقي من حاتنوب » كما استعمل تحتمس الثالث أيضاً هذه المحاجر الكبيرة فى أعماله .

وتبدأ الكتابات الموجودة في هذه المحاجر من الأسرة الرابعة وتستمر في الأسرات السادسة والسابعة والثامنة والثانية عشرة والتاسعة عشرة والعشرين [١] .

وعلي هذا فلابد أنها استعملت طوال العصور التاريخية العظيمة ، وحتي في حالة عدم وجود كتابات في المحاجر فإن مستندات أخري تدل علي استمرار العمل فيها كما هو الحال في الأسرة الثانية عشرة كما أسلفنا .

---

(١) آخر النصوص بهذه المنطقة مؤرخ في أيام الأسرة الثانية والعشرين (المراجع) .

الفصل الثالث عشر

من العمارنة حتى البلينا (١)

« مير - الجبراوى - أسيوط - البدارى - أخميم »

علي مسافة مائتي وثلاثة أميال جنوب القاهرة ، وثلاثين ميلا شمال أسيوط تقع محطة « نزالي جنوب » وإلي الغرب من المحطة وعلي الجانب الآخر من ترعة الإبراهيمية تقع القوصية التي تحدد حالياً موقع المدينة المصرية القديمة التي تدعي « كيس » Kes عاصمة المقاطعة الرابعة عشرة التي أسماها اليونان كوساي Cusae .

ولا يوجد في الوقت الحاضر أي بقايا من المدينة القديمة ، كما لم يوجد شيء منها في العصر الحديث حتي إن أعضاء بعثة نابليون لم يلاحظوا أي شئ ذي أهمية ، وكما قال « إيليان » كانت المدينة مكرسة لعبادة إلهة أسماها « افروديت أورانيا والبقرة » .

وهذا يعني بالتأكيد حاتحور إلهة الحب المصرية التي كان يرمز لها باستمرار بالبقرة ، ويدعم رواية « إيليان » الألقاب التي كان يحملها اثنان من الموظفين المحليين المدعوين « ثيتو » و « خو - ان - أوخ » حيث يدعو ثيتو نفسه « حارس قطيع البقرة المقدسة » .

وخو - ان - أوخ « رئيس بقرات ثنت » ، وهي البقرات المقدسة لحاتحور .

ومن الواضح أن خرائب المدينة القديمة تقع جميعها تحت المدينة الحالية فيما عدا بعض التلال المنخفضة التي يشغلها فناء لجبانة إسلامية .

---

(١) نحن الآن نتجه إلي محافظة أسيوط حيث تنتشر مقابر حكام الأقاليم وكبار الموظفين الذين نحتوها في التلال التي تحف بوادي النيل شرقاً وغرباً والتي تزين جدرانها بنقوش وصور رائعة ، كما تضم نصوصاً تاريخية هامة (المراجع) .

(مير)

وعلي مسيرة ساعتين بالدابة غربي القوصية تقع قرية مير ، [١] وإلي الغرب منها وعلي حافة الصحراء والمنحدر الصخري الذي تنتهي به الهضبة الواقع عليها أرض الصحراء العالية تقع جبانة عاصمة الإقليم القديم .

ومزارات حكام المقاطعة الرابعة عشرة ، نحتت في منتصف هذا المنحدر الصخري - بينما توجد حفر الدفن لأتباعهم مزدحمة في الجزء الأسفل من المنحدر في حين تقع مدافن الأهالي العاديين في رمال الصحراء .

وقد اكتشف سبعة عشر مزاراً لحكام القوصية وموظفيها ، منها خمسة عشر في مير واثنان في قصر العمارنة علي الشاطئ الشرقي للنيل تجاه « نزالي جنوب » .

ويرجع تاريخ هاتين المقبرتين الأخيرتين وتسعة من مقابر مير إلي عصر الأسرة السادسة ، أما الستة الباقية فترجع إلي عصر الدولة الوسطي .

وقد قسمها « الدكتور بلا كمان » الذي قام بتنظيف هذه المقابر ووصفها في نطاق المسح الأثري لجمعية التنقيب المصرية إلي خمس مجموعات أ - ب - ج - د- هـ .

ومقابر الأسرة السادسة هي مقبرة « ني - عنخ - بيبي » (مير ، أ - رقم ١) وهي عبارة عن حجرة كبيرة ذات أعمدة مربعة وحجرة أصغر غير منقوشة ، والرسوم علي الحائط في الحجرة ذات الأعمدة قد تلفت تماماً بفعل الخفافيش .

ومقبرة مير ، أ - رقم ٢ وتخص « بيبي - عنخ » وبها خمس غرف ، ثلاث منها منقوشة وفي حجرتين تماثيل جالسة في كوات .

---

(١) مير : تقع مير علي البر الغربي للنيل قرب بلدة القوصية وعلي بعد خمسة عشر كم شمال أسيوط وقد اختارها حكام الإقليم الرابع عشر من أقاليم الوجه القبلي أيام الدولتين القديمة والوسطي لينحتوا مقابرهم في صخر الهضبة القريبة منها ، ورسموا علي جدرانها الكثير من مناظر الحياة العامة من زراعة وصيد وصناعة ورياضة ومن المناظر الطريفة رسومات كأنها كاريكاتير تمثل الحياة الزراعية والرعي ، وقد كشفت الحفائر في المقابر والجبانة القريبة منها عن عدد ضخم من التوابيت والتماثيل واللوحات الجميلة التي تسرب معظمها إلي مختلف متاحف العالم (المراجع) .

ومقبرة مير أ - رقم ٤ تخص « ني - عنخ - بيبي الأسود » وبها حجرة أمامية يتلوها صالة كبيرة بها أربعة أعمدة مربعة .

وتوصل هذه الصالة إلي حجرة داخلية بحائطها الغربي باب وهمي خال من الكتابة خشن الصنع ، وقد أفسدت الخفافيش المقبرة بأكملها .

ومقبرة مير د - رقم ١ هي مقبرة « بيبي » وتتكون من حجرة واحدة صغيرة علي ثلاثة جدران منها نقوش غير متقنة .

ومقبرة مير د - رقم ٢ تخص « بيبي عنخ الأوسط » ، وبها فناء أمامي ذو أعمدة مربعة وصالة تؤدي إلي حجرة صغيرة غير مزينة .

وعلى الحائط الغربي من الفناء يوجد نص طويل يقص سيرة صاحب المقبرة ، أما جدران الصالة الخارجية فعليها نقوش علي الجص ، والألوان محفوظة غير أنها من طراز غير جيد .

ومقبرة مير - هـ رقم ١ هي مقبرة « منيا » ، وتتكون من حجرة واحدة منحوتة في أعلي الحائط الغربي لبئر .

ومقبرة مير - هـ رقم ٢ هي مقبرة « ننكي » ، وهي تتكون من غرفة واحدة تكاد تكون قد قطعت جميعها لاستعمالها كمحجر .

ومقبرة مير - هـ رقم ٣ لشخص يدعي « بيبي عنخ » ، وهي أيضاً تتكون من حجرة واحدة قد قطعت معظم أحجارها .

ومقبرة مير - هـ رقم ٤ هي مقبرة « ثيتو » ، وهي عبارة عن حجرة واحدة خشنة النحت وصاحبها هو ثيتو حارس قطيع البقرات المقدسة لحاتحور .

أما المقبرة رقم ١ من مقابر « قصر العمارنة » فهي لشخص يدعي « بيبي عنخ الأكبر » وهي غير كاملة ، وبها حجرة كبيرة تضم أعمدة مربعة تؤدي إلي حجرة أصغر .

وعلي الحائط الغربي من هذه الحجرة الأخيرة باب وهمي مكتوب ، وعليه رسوم لحاكم المقاطعة وابنه .

أما المقبرة رقم ٢ من مقابر « قصر العمـارنة » فتخص « خو - ان - أوخ » وبها حجرة تزينها رسوم علي الجص وتمثالان جالسان وتمثال واقف وباب وهمي .

ومزارات مقابر حكام المقاطعة في الدولة الوسطي كانت مشهورة منذ زمن ، ويرجع هذا علي الأخص إلي ما لوحظ من محاولات لما يمكن تسميته بالكاريكاتير في أشكال معينة مرسومة في إحداها مما لفت انتباه الزائرين القدماء .

ويقول ماسبيرو (الفن في مصر . ص ٦١) [١] : « يوجد في احدى مقـابر « مير » أشخاص يعانون من المجاعة .

فهم في حالة عجز جثماني أكيد إذ تبدو عظامهم ظاهرة من جلودهم ، وهذا هو موكب الجفاف والعجاف » .

وهناك فنان آخر قد ادخر لنفسه حائطاً قريباً لرسم مناظر البدناء ومليحي المنظر من الناس والحيوان ، فهي تمثل نوعاً من الكرنفال للبدانة .

والواقع أن الحالة لم تصل إلي حد التطرف في كلتا الحالتين ، فمن الواضح أن الرعاة النحفاء من قبيلة البيجـا الذين يظهرون في المزارات الخاصـة « بسنبي بن - « أوخ - حتب » ، و« أوخ - حتب » « بن سنبى » .

وأن الرجل العجوز البدين الذي يضع يده علي مقدمة السفينة التي يبنيها الصناع في المقبرة الأخيرة قد أثاروا روح المرح في الفنان المصري مما أدي به إلي أن يرسمهم في كلتا الحالتين كما كان يراهم مع شئ من المبالغة في النحافة في حالة رعاة قبيلة البيجا .

ولكن إذا استعملنا تعبيرات مثل موكب العجاف وكرنفال البدانة فإننا نكون مبالغين حقاً .

وتعتبر المقبرتان المذكورتان آنفاً أهم المقابر التي بقيت لنا من الدولة الوسطي وفيما يلي بيان بهذه المقابر :

ميرأ - رقم ٣ تخص « أوخ - حتب » بن « إيام » ، وهي عبارة عن حجرة واحدة صغيرة بها تجويف عليه نصوص لتمثال منحوت في الحائط الشمالي .

---

(١) (Maspero, Atr in Egypt, Art. Una Series, P. 61).

ميرب – رقم ١ هي مقبرة « سنبي « بن « أوخ حتب « ، وهي مكونة من حجرة واحدة غير مسقوفة ومزينة بلوحات جميلة .

ميرب – رقم ٢ تخص « أوخ حتب « بن «سنبي « ، وبها حجرة غير مسقوفة تضم أعمدة مربعة، وبها أيضاً نقوش ملونة جميلة وفجوة لتمثال في الحائط الغربي .

مير ب – رقم ٣ هي مقبرة « سنبي « بن « أوخ حتب « بن « سنبي « التي لم تكمل ، وبها حجرة ذات أعمدة مربعة مهدمة تهديماً كبيراً تؤدي إلي حجرة داخلية بحائطها الغربي فجوة بها تمثال ، وهناك نصوص علي عتب وكتفى الباب الموجود بين الحجرتين .

مير ب – رقم ٤ تخص « أوخ حتب « بن « أوخ حتب « و « مرس « وبها حجرتان في حالة سيئة من التخريب .

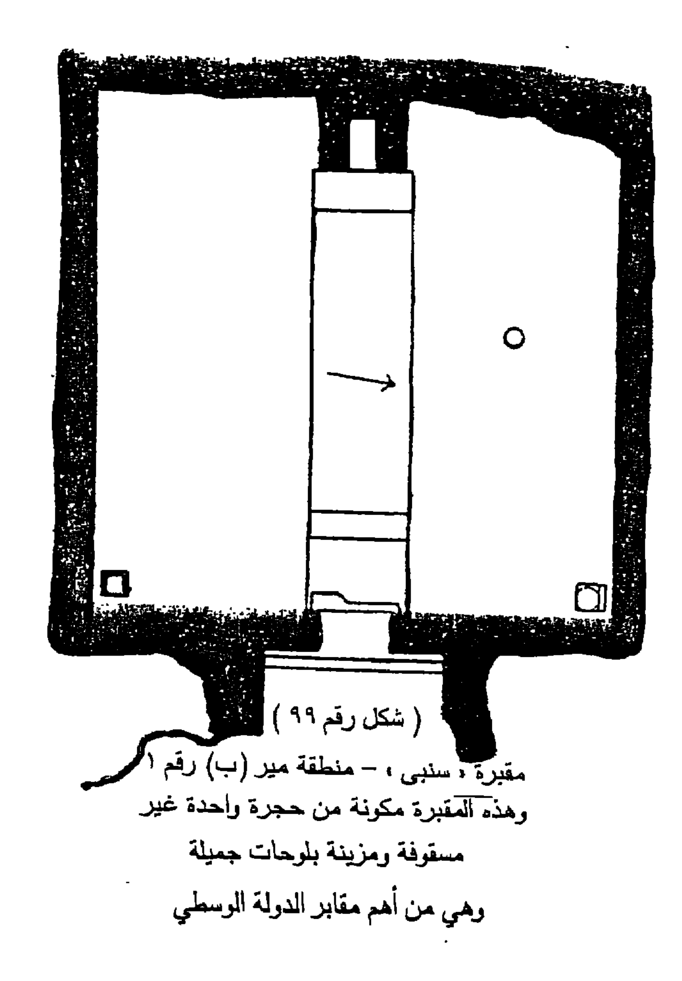
« والنقوش المحفورة علي الجص ملونة تلويناً زاهياً ، وهناك فجوة متقنة بها تمثال في الحائط الغربي" للحجرة الخارجية ، وبها خراطيش « أمنمحات الثاني « .

مير ج – رقم ١ « لأوخ حتب « بن «أوخ حتب « و« هني الوسطي « ، وتحوي حجرة واحدة غير مسقوفة بها رسوم زاهية علي الجص غير متقنة .

ومما يدعو إلى الحيرة بعض الشئ تفضيل العائلة في الدولة الوسطي لاسم « أوخ حتب « ولكن هذا يصبح قليل الأهمية عندما نذكر أن هذا الاسم يتعلق فقط بسنبى وأنه « أوخ حتب الثاني « .

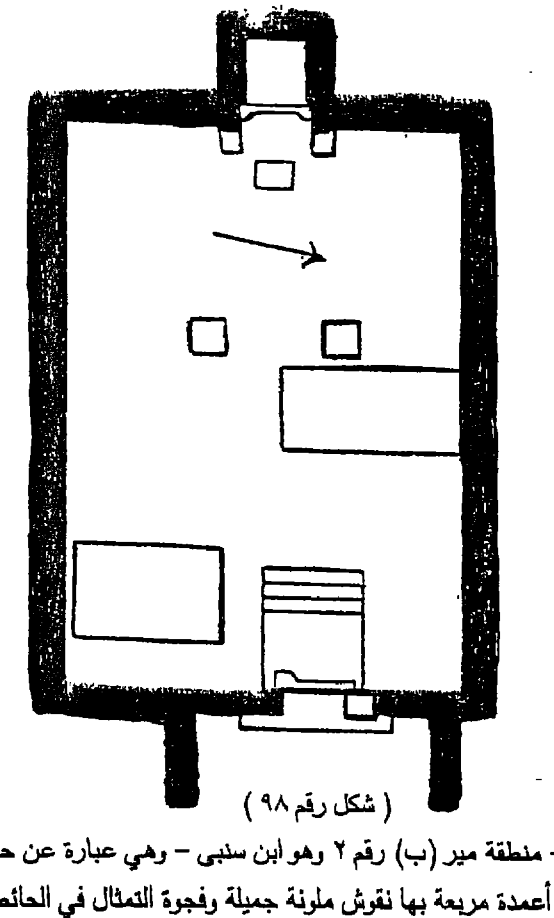
ومنذ عام ١٩١٠ كانت الحفائر تجري في فترات متقطعة بواسطة سيد خشبة « باشا « وقد أسفرت عن كشف عدد من الآثار القيمة يري بعضها الآن في متحف المتروبوليتان بنيويورك ، والبعض الآخر في المتحف الذي يخص المكتشف نفسه في أسيوط .

وأجمل مثالين لفن القوصية في الدولة الوسطي ، هما المقبرتان اللتان تتميز نقوشهما بمحاكاة مدهشة للطبيعة في معالجة الحياة سواء كانت خاصة بالجنس البشري أو الحيوانات أو النباتات .



(شكل رقم ٩٩)

مقبرة « سنبى » – منطقة مير (ب) رقم ١
وهذه المقبرة مكونة من حجرة واحدة غير
مسقوفة ومزينة بلوحات جميلة
وهي من أهم مقابر الدولة الوسطي



(شكل رقم ٩٨)

مقبرة أوخ – حتب – منطقة مير (ب) رقم ٢ وهو ابن سنبى – وهي عبارة عن حجرة واحدة
غير مسقوفة تضم أعمدة مربعة بها نقوش ملونة جميلة وفجوة التمثال في الحائط الغربي

وفي المقبرة المتأخرة من الدولة الوسطي وهي « مير حـ » رقم ١ نرى أن الرسوم غير منقوشة ، بل مرسومة علي الجص فقط وهي زاهية بدرجة ممتازة غير أنها متصنعة .

و « سنبي » الذي يوضع مزاره في المجموعة ب رقم ١ من مجموعات مير كان بارونا ، وحاكم إقليم ، ورئيس كهنة ، وأميناً للخزائن ، وصديقاً مقرباً ، ورئيساً للكهنة المرتلين ، وكان « أبوه أوخ حتب الأول » وزوجته « بر – حموت – مرس » وكان ابنه « أوخ حتب الثاني » .

وتقع مقبرته في أقصي الشمال من المزارات المنقوشة لحكام الأسرة الثانية عشرة ، وتتكون من حجرة واحدة تكاد تكون مربعة طولها ٢٥ قدماً ، ويقل عرضها قليلا عن ذلك ، أما ارتفاعها فلابد أنه كان حوالي ٧ أقدام ومدخلها بسيط جداً .

وعلي الحائط الشمالي منها أربعة صفوف ، الاثنان العلويان مخصصان لمناظر الأعياد والمناظر الدينية والأثاث الجنائزي ، بينما كان الصفان الثالث والرابع يختصان برياضة « سنبي » وأعمال الزراعة .

والكتابة القليلة التي تصاحب هذه المناظر بها شئ من التنويع يزيد علي ما يوجد عادة في مثل هذه الكتابات .

والحائط الشرقي في شمال المدخل قد أتلف كثيراً ، ولكن كان به في الأصل مناظر الصناع وهم يقومون بأعمالهم ، وإلي جنوب المدخل توجد مناظر الصيد حيث تبدو بوضوح مقدرة الفنان على محاكاة الطبيعة .

ومما يجدر ملاحظته بصفة خاصة المنظر الذي يمثل « سنبي » وهو يصطاد وقد وجه كل اهتمامه إلي إصابة الهدف ، فنراه واقفاً علي أطراف أصابعه في حماسة ظاهرة ، وعلينا أن نلاحظ أن الحيوانات قد رسمت أيضاً بمهارة .

وعلى الحائط الجنوبي مناظر قطعان حاكم الولاية ورعاته ، ومن بينهم بعض

النحاف من رعاة بيجا الذين عرفوا باسم نحاف مير ، ومن المناظر الجميلة منظر الثور وهو مقيد وملقي علي الأرض .

وحركة الحيوان مليئة بالحياة ، ويلاحظ أن الفجوة التي بها التمثال قد لونت بلون الجرانيت الوردي وكتبت برموز هيروغليفية غائرة باللون الأزرق .

وقد كان « أوخ حتب الثاني » ابناً « لسنبي » ووضعت مقبرته في المجموعة ب برقم ٢ ، وكان يشغل نفس المناصب التي كان يشغلها أبوه ، فكان البارون ، وحاكم الولاية ، وأمين الخزائن ، والصديق المقرب ، ورئيس الكهنة ، ورئيس المرتلين .

وكان اسم زوجته « تحوت حتب » وابنه « سنبي » – فالعائلة كان ينقصها فقط التجديد في الأسماء .

وكان مزار مقبرته أكبر من ذلك الذي أقامه أبوه إذ كان طوله ٣٥ قدماً وعرضه ٢٥ قدماً تقريباً ، والمدخل كما في المقبرة رقم ١ بسيط للغاية .

وعلي الطرف الغربي من الحائط الشمالي رسوم تمثل « أوخ حتب » وزوجته ومعها المصارعون والخدم وهم يحملون القرابين .

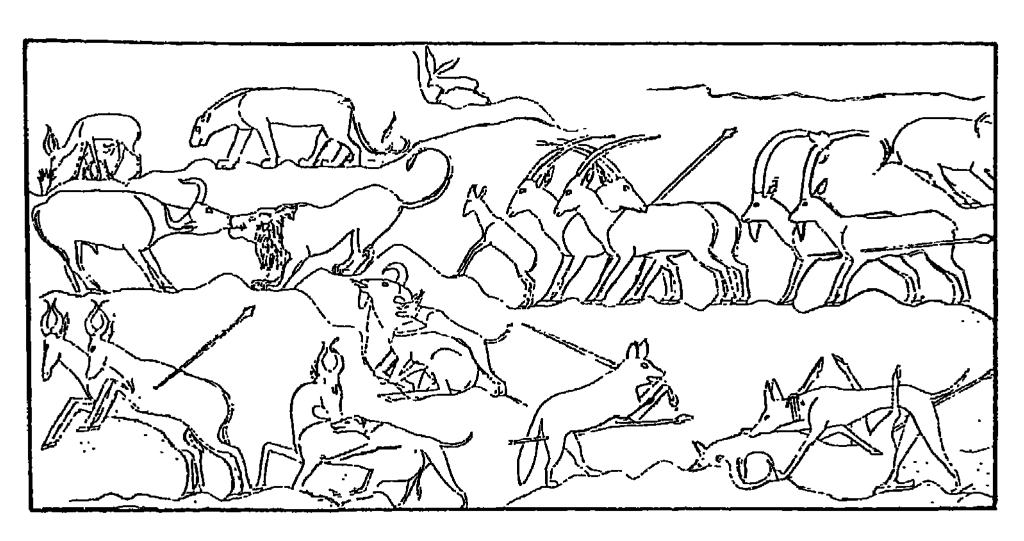
وفي الوسط والنهاية الشرقية من الحائط مناظر « أوخ حتب » وهو يعاين القطعان وأعمال فلاحيه في المستنقعات والمزارع ، ويظهر رعاة البيجا مرة أخري ، والرجل العجوز القوي في منظر بناء المراكب هو نفس نموذج « الرجل البدين في مير » .

كما كان الرعاة نموذجاً للنحاف . « فالرجل البطين ذو اللحية ، الثرثار ، الهرم هو الفلاح المسن بعينه ، فكلامه مبتذل كرئيس القرية الذي يوافقه علي كل اقتراحاته التي لا تنتهي دون أن يتأثر أحد بها » (بلا كمان – مقابر مير الصخرية جزء ٢ – ص ١٤) [١] .

وإلي الجهة الشمالية من المدخل علي الحائط الشرقي ، وهو الذي قد تهدم جزء

---

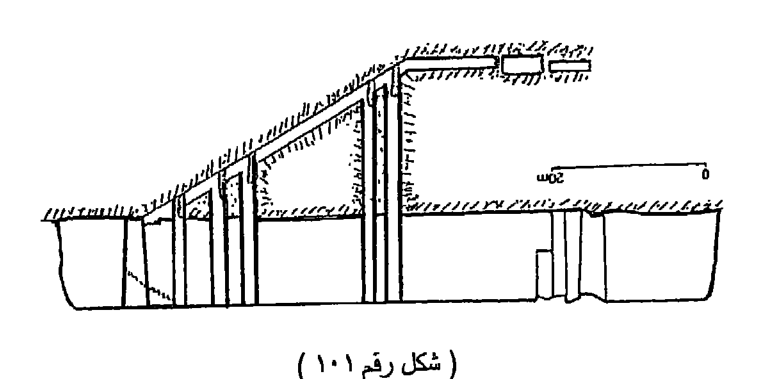
(١) Blackman, the Rock Tombs of Meir, II, P. 14.



(شكل رقم ١٠٠)

نقش من داخل مقبرة « سنبي » وهو يصطاد في الصحراء

من مقبرة في منطقة « مير » (١٩٠٠ قبل الميلاد)



(شكل رقم ١٠١)

قطاع من مقبرة « نترخت » بمنطقة « بيت خلاف » يظهر الأبواب الحجرية المنزلقـــة في المقبرة وتشتمل المقبرة علي سلم هابط – ممر هابط أيضاً تحت الأرض – آبار للتمويه علي اللصوص – كتل حجرية – حجرة كبيرة – دهليز مخزون به قمح في زكائب وغرف للقرابين – آبار للقرابين – وهذه المقبرة تعد نموذجاً جيداً لإنزال الكتل الحجرية خلال آبار في البناء العلوي ، وكانت تلك الكتل تدلي إلي أسفل بحبال مربوطة في ثقوب بالجزء العلوي ثم يملأ السلم المنحدر بالرمال والصخور كاحتياط آخر للحماية

منه ، يوجد رسم تالف جدا لأوخ حتب وزوجته مع بعض الأتباع ، وإلي جنوب المدخل مناظر كان قد بديء فقط في تخطيطها .

وعلي الحائط الجنوبي مناظر للصيد والرعي مع جماعات من الحيوانات المستأنسة ، ولو أن العمل هنا قد نفذ بمهارة كافية لكان مدهش ورائع إلا أن من الواضح أنه عمل في شيء من العجلة والسرعة .

والحائط الغربي شمال الفجوة الخاصة بالتمثال قد ترك دون أن يتم العمل فيه ، فالصفان العلويان يحويان فقط بعض الرسوم الجميلة بالحبر ، بينما قام النحات بحفر الصف الثالث في عجلة وبغير إتقان ، أما فجوة التمثال فقد نحتت ورسمت بالألوان .

المعابدة - عرب العطيات - دير الجبراوى

وقبالة مركز منفلوط (٥ ، ٢١٥ ميل من القاهرة بالقطار) تقع علي الشاطئ الشرقي للنيل القري الثلاث : المعابدة وعرب العطيات ودير الجبراوي [١] ، ويقع وراء القرية الأخيرة جبل مرج .

وفي منتصف الطريق بين الجبراوي والعطيات في نقطة ينخفض فيها ارتفاع الجبل توجد المجموعة الشمالية للمقابر المعروفة باسم مقابر دير الجبراوي .

دير الجبراوى

في هذه النقطة يتخلل الجبل مسطح ترتفع واجهته في خط يكاد يكون عمودياً ، وتبدو المقابر المنحوتة في واجهة من الحجر الأبيض واضحة من بعيد .

---

(١) دير الجبراوى : منطقة أثرية بمحافظة أسيوط على الضفة الشرقية للنيل أمام منفلوط - وفى هذه المنطقة التى تقع عند سفح جبل مرق نجد جبانة كبيرة كان يدفن فيها حكام الاقاليم وموظفيها الكبار للإقليم الثانى عشر من أقاليم الوجه القبلى وكان يسمي (جبل الحية) - ويزيد عدد المقابر المنحوتة فى الصخر إلى حوالى ١٢٠ مقبرة وهى فى مجموعتين أهمهما المجموعة القبلية التى تحتوى على ١٢ مقبرة احتفظت بنقوشها وأهمها مقبرة « زاو » ومقبرة « ايبى » وكان كل منهما حاكماً للإقليم فى أيام الأسرة السادسة ، وهو اقليم أبيدوس فى ذلك الوقت - وتمتاز جدران مقابر « دير الجبراوى » بالمناظر الجميلة المغطاة بالنقوش الكثيرة حيث نرى فيها رسوماً للصيد والزراعة والحرف والصناعات المختلفة والمآدب وغير ذلك من مناظر الحياة اليومية (المراجع) .

وتوجد ١٠٤ مقبرة في هـذه المجموعة (ويذكر بيدكر عدد ٨٠ مقبرة منها فقط) ومن هذه المقابر عدد قليل (٧ أو ٨ علي حد قول ديفز ، و ٤ طبقاً لبيدكر) تحوي آثاراً ضئيلة من الكتابة .

وتقع المجموعة الجنوبية علي بعد قليل إلي الشرق من قرية دير الجبراوي في نقطة بها أرض صغيرة مسطحة خلفها واجهة صخرية منخفضة تكاد تقع علي قمة التلال .

وتوجد هنا ٥٢ مقبرة (٤٠ علي حد قول بيدكر) منها ٩ مكتوبة (١٢ علي حد قول ديفز وبيدكر) .

وطبقاً لما يقوله ديفز فإن المجموعة الجنوبية متأخرة في تاريخها عن المجموعة الشمالية ، وهو عكس ما يقوله بيدكر .

وهذا الاختلاف لا يهم كثيراً ، فالمقابر الوحيدة التي تهم الزائر تقع في المجموعة الجنوبية حيث توجد مقبرتا إبي (إبا) وزاو (جاو) .

وهما مقبرتان متسعتان ومزينتان ، وفي دير الجبراوي - كما هو الحال في بعض الأماكن في مير - نري أن النقش يكاد يختفي لتحل مكانه الرسوم بالألوان علي الجص .

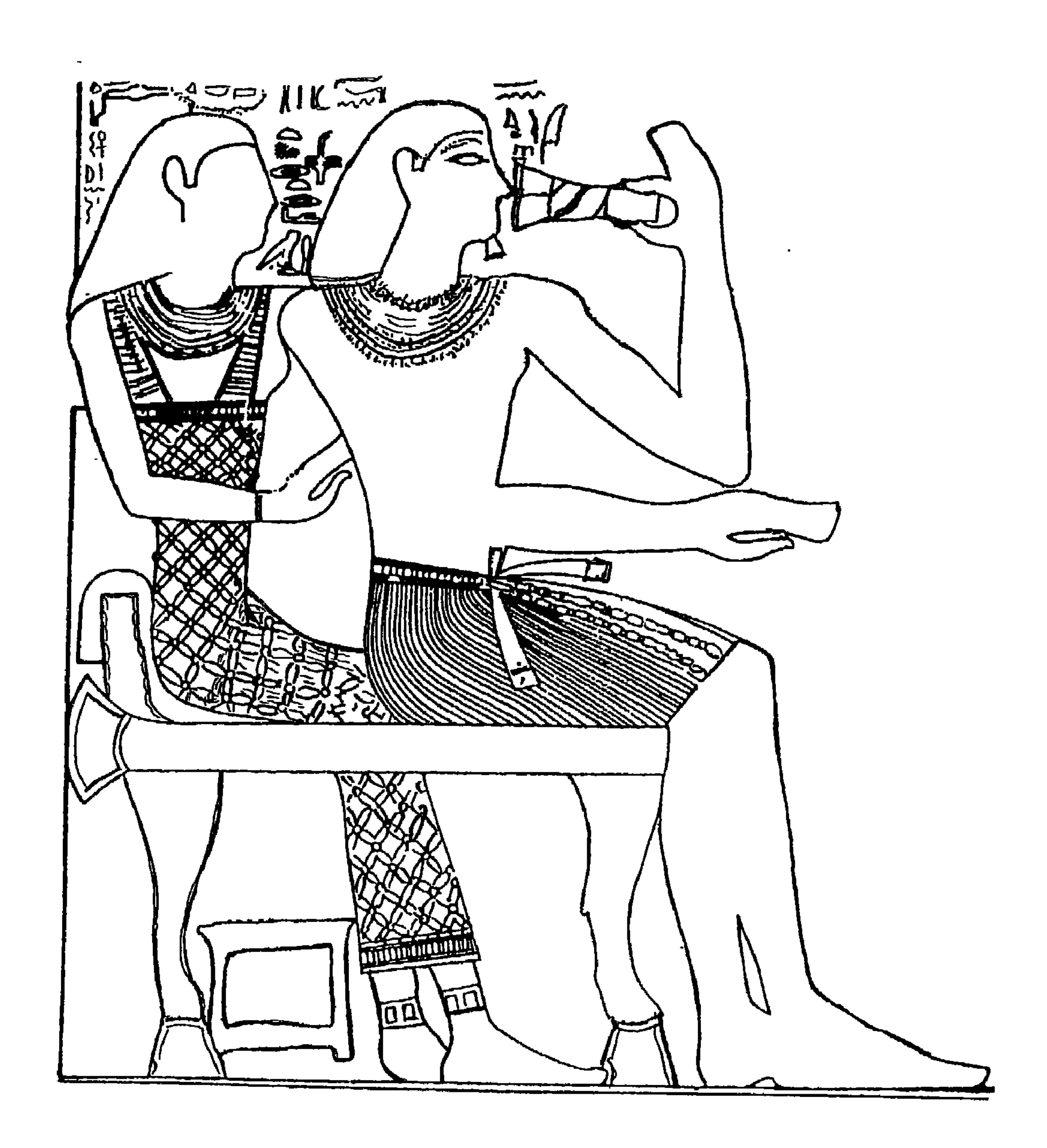
والمنظر من أعلي الجبل علي الأراضي الواقعة إلي الجنوب تجاه أسيوط رائع ، ولكن من ناحية أخري فإن المكان لم يكن صالحاً للغرض الذي استعمل من أجله نظراً لأن الحجر من نوع ردئ وتتخلله كتل صلبة .

وليس من المهم أن نعطي هنا بياناً بجميع المقابر الاثنتين والخمسين (أنظر ديفز - دير الجبراوي جزء ١ - صفحات ٤ - ٧) [١] فالمقابر التي لها أهمية حقيقية هنا مقبرتا إبي والمقبرة المزدوجة للأب والابن اللذين دعيا باسم زاو .

ومقبرة « إبي » التي تحمل رقم ٨ لها أهمية غريبة خاصة بها نظراً لأنها في العصر الصاوي حوالي القرن السابع قبل الميلاد .

---

(١) Davies, Deir-el-Gabrawi, Vol. I, PP. 4-7.



(شكل رقم ١٠٢)

أحد المناظر الجدارية من مقابر دير الجبراوي (مقبرة زاو – شيماي – وابنه زاو) وهو يمثل رجل وزوجته يرتديان ملابس مزينة بالخرز والرجل يستنشق أحد الزهور– الدولة القديمة – دير الجبراوي

كان هناك أمير من أمراء طيبة يسمي أيضاً ، إبي ، تذكر عندما كان يصدر الأوامر لعمل مقبرته الفخمة في طيبة بأنه يوجد بدير الجبراوي بمقاطعة جبل الثعبان أمير آخر يسمي ، إبي ، قد أقام لنفسه مزارا جميلاً مرسوماً بالألوان هناك .

ولهذا فقد أرسل أحد الفنانين إلى هناك لينقل له مناظر متعددة من مقبرة الأمير في المنطقة الشمالية لتنسخ علي جدران مزاره الأبدي .

وهذا المثل لتقليد القديم هو بلا شك مظهر من مظاهر الفن في العصر الصاوي ، ولكنه قل أن يتمثل ذلك بمثل الوضوح الذي ظهر به في مقبرة إبي بطيبة .

ومن المحتمل جداً أن إبي الذي دفن في دير الجبراوي هو ابن الأمير زاو بأبيدوس وهو الذي صاهر مرتين الملك بيبي الأول من الأسرة السادسة .

فلقد زوجت أختاه اللتان تحملان اسم ، مريرع – عنخنس ، لهذا الفرعون القوي إما في وقت واحد وإما في فترتين متتابعتين .

وقد أصبحت ، مريرع – عنخنس الأولي ، أما للفرعون مريرع ، و، مريرع – عنخنس الثانية ، أما للفرعون ، بيبي الثاني ، .

وفي عصره كان الأمير زاو من أبيدوس وزيراً ورئيساً للقضاة – ولهذا فقد كانت عائلة زاو – إبي عائلة هامة جداً خلال القسم الثاني من الأسرة السادسة .

وليس من المستغرب رغم أن الملك مريرع قد عين إبي حاكماً أعلي لمقاطعة جبل الثعبان نظراً لأنه تزوج السيدة ، راحنم ، التي كانت صاحبة الحق في هذه المقاطعة .

فإنه قد فضل بأن يدعو نفسه الحاكم الكبير لمقاطعة طينة باعتبار أنه اللقب الذي هو أكثر أهمية ، وأنه لم يذكر ولايته علي مقاطعة جبل الثعبان إلا في نهاية القائمة المدهشة لألقابه .

ولقد خلفه ابنه ، زاو – شيماي ، علي المقاطعتين اللتين أشار إليهما بنفس

الترتيب ، ولكن يبدو أنه مات مبكراً ، والظاهر أن ابنه زاو الثالث قد توسل إلي فرعون بأن يحتفظ له بهذه الوظائف .

علي أنه يبدو أنه بتولي زاو الثالث هذه الوظائف وصلت العائلة القوية إلي نهايتها .

ومقبرة إبي لا تزيد علي أنها حجرة شبه مستطيلة واسعة بها فجوة عميقة في الحائط الخلفي استعملت كهيكل ، ويمكن الوصول للقبر الخاص بالدفن بواسطة ممر طويل يمتد إلي الجهة الشمالية من خلف الهيكل .

وكان بالمزار عمودان مربعان ولكن هذين العمودين اختفيا مع العارضة التي كانا يحملانها ومع حائط قصير يبدو أنه كان يربط بينهما من أسفل .

وترتيب المناظر يسير علي الوجه الآتي :

الحائط الجنوبي – النصف الشرقي : صيد السمك بالحربة والشبكة . النصف الغربي : صيد الطيور في المستنقعات وجلب المحصولات من أراضي المستنقعات .

الحائط الغربي : يجلس « إبى » ليشرف علي تنظيم إقطاعياته وليتسلم التقارير ، فهو يحمل في محفة يسبقه أمامه الراقصون ، وموكبه الجنائزي ممثل في البر والبحر ومنظر جمع الضرائب ومعاقبة المتخلفين ممتع .

الحائط الشمالي – الجانب الغربي : مناظر الحقول الخاصة بالقنص وتسجيل قطعان الإقطاعية ، الكبير منها والصغير ، ومناظر الزراعة بينما يرى « إبى » وزوجته يراقبان منظر التسجيل والزراعة .

الحائط الشمالي – الجانب الشرقي : مناظر الصناع الذين يعملون في الأحجار والمعادن الثمينة ، والنجارين ، والنحاتين ، وبنائي المراكب والكتبة .

وعلينا أن نلاحظ علي وجه أخص طريقة ثقب الأواني الحجرية من الداخل التي نبغ فيها الصانع المصري .

وفي الصف الأخير علي هذا الحائط رسم لزوجة إبي وسبعة من أبنائه قد ثبت

أسماء أربعة منهم فقط وهي حالة ليست مستغربة في مصر القديمة حيث لا يبدو أنها تسبب الارتباك الشديد الذي تسببه لنا مثل هذه الحالة الآن .

الحائط الشرقي : المناظر هنا قليلة الأهمية ضعيفة الفن غير أنه يوجد شئ هام هو نص إبي عن تاريخ الأسرة ، وبالهيكل باب وهمي مرسوم بالألوان ومائدة قرابين .

وترجع الأهمية الجوهرية للمقبرة الأخري الهامة بدير الجبراوي إلي أنها تخص كل من « زاو – شيماي » و « ابنه زاو » وهي من نفس الطراز الذي شاهدناه في مقبرة إبي ، إذ تتكون من شكل مستطيل غير منتظم ثم هيكل بشكل فجوة في الخلف .

ولكن لم يكن بها أصلا أي عمود ، وكانت حجرة الدفن فيها في أسفل بئر عميقة بدلا من أن تكون في نهاية ممر منحدر – والمناظر من نوع قريب جداً من المناظر المرسومة علي مقبرة إبي .

ولكن لها تأثير أكثر إرضاء للنفس ، إذ استخدم الفنان لوناً برتقالياً فاتحاً للأرضية بدلا من اللون الأزرق الغامق الموجود في المقبرة الأخرى ، ولهذا فإن شكلها يبدو أحسن .

ولسنا في حاجة إلي أن نعين المناظر المختلفة التي أصبحت حتي الآن مألوفة ، والشئ الممتع حقاً هو كتابة زاو الموجودة علي الحائط الشرقي للمقصورة والتي تعتبر خليطاً عجيباً من المحبة الأصيلة والتعاظم والثقة بالنفس .

ومن الواضح أن زاو كان يحب والده زاو – شيماي بشغف لدرجة أنه رغب في أن يدفن بجواره حتي يستطيع الوالد والابن أن ينعما بصحبة بعضهما البعض في المقبرة مثل « نا – نفر – كا – بتاح » وزوجته « احورا » وابنهما « مرايب » الذين صاحبوا بعضهم بعضا في المقبرة كما هو واضح في قصة « ستني – خع أم واست » والبردية السحرية .

ولكنه لا يدع الجيران يعتقدون أنه قد شارك أباه فى مقبرته بداعى الاقتصاد ، فمثل هذا الاحتمال يجعل الرجل الطيب يتقلب في مقبرته ، ولهذا فقد حرص أن يسجل علي مقبرته هذا التعاظم الساذج بهذه العبارة التي ذكرها في نصه !
وبالإضافة إلي ذلك فقد حرصت علي أن أدفن في نفس المقبرة مع هذا الزاو (شيماي) حتي أكون معه فى مكان واحد .

وليس هذا بحال من الأحوال بسبب أني لا أستطيع أن أقيم مقبرة أخري، ولكني فعلت ذلك حتي أري هذا « الزاو » كل يوم راغباً في أن أكون معه في مكان واحـــد » (برستيد – النصوص القديمة – الجزء الأول الفقرة ٣٨٣) (١) .

فإن كل ما كان مايعزي هذا الابن الطيب أن يعلم أن تفسيره هذا قد وصل إلي أقاصي الأرض بدلا من أن يصل فقط إلي جيرانه ، فهو بلا شك قد حصل علي هذه المتعة ، وليس هناك مكان آخر اختلط فيه بالتأكيد ولاء البنوة مع رجاحة العقل مثل هذا المكان وإن كان ولاء البنوة هو الغالب .

(أسيوط)

والآن نصل أسيوط (٢٣٣ ميلا من القاهرة بالقطار و ٢٥٠ بالنهر) وهي أكبر مدينة في الوجه القبلي ، وعاصمة إحدي محافظات الصعيد الهامة (٢) .

علي أن ما يهمنا لايتصل بتقدمها الحالي ، ولكن بآثار مجدها القديم عندما كانت تعرف باسم « سيوط » .

وكانت عاصمة المقاطعة الثالثة عشرة ، وكانت المركز الرئيسي لعبادة « أوب واوات » أو (أبوات) الذي كان المرشد للموتي أو إله الموتى .

وهو بذلك كان شديد الصلة بالإله أنوبيس وكان (أوب واوات) يمثل بشكل الذئب ومن ثم نشأ الاسم الذي أعطاه الإغريق لأسيوط عندما أسموها « ليكوبوليس » أو مدينة الذئب .

وفي مدينة أسيوط نفسها يوجد متحف سيد خشبة (باشا) (٣) الذي سبق ذكره

---

(١) Breasted, Ancient Records, I, S. 383.

(٢) اكتسبت أسيوط أهميتها فى مصر القديمة لما لها من موقع متوسط من إقليم الصعيد ولكونها مركزاً للقوافل المتجهة إلى واحات الصحراء الغربية ثم إلى السودان .

وهي تعد الآن عاصمة الصعيد وقلبه النابض ، التى تعتز بقناطرها الجميلة وجامعتها الفتية وآثارها التليدة (المراجع) .

(٣) اشترت مصلحة الآثار أخيراً أهم القطع الأثرية الموجودة بهذا المتحف ، ومعظمها توابيت حجرية وخشبية يرجع تاريخها إلى الدولة الوسطي والعصر المتأخر ، وهي الآن معروضة بالمتحف الإقليمي بملوى .

عند الحديث عن مقابر مير ، وهو متحف جديد بالزيارة إذ يحوي مجموعة كبيرة من الآثار المستخرجة من مير وأسيوط .

ولكن الأهمية الرئيسية لأسيوط ترجع إلي سلسلة مقابرها الصخرية التي يرجع البعض منها إلي عصـر الانتقال الأول والحكم الضعيف لفراعنـة هراكليوبوليس (إهناسية المدينة) .

ومن بين هذه المقابر مقبرة هامة جداً ترجع إلي عصر الأسرة الثانية عشرة - وإذا تركنا المدينة في الطريق القبلي الغربي نعبر ترعة السوهاجية .

ونسير علي الدرب الذي يصل بنا إلي سفح التل حيث يوجد درب منحدر يؤدي بنا إلي المقبرة الكبيرة « لحب جفا » والي أسيوط وحاكم النوبة إبان حكم سنوسرت الأول من ملوك الأسرة الثانية عشرة .

وسوف نعود لهذه المقبرة [١] ، ولكنا الآن نصعد إلي أعلي حتي نصل إلي ثلاث مقابر لشخص يدعي « تف ايب » ولشخصين يدعيان باسم « خيتي » وكان هؤلاء حماة العرش المتزعزع للملك « مري كارع » من ملوك هراكليوبوليس في صراعه ضد القوى الصاعدة لحكام طيبة المعروفين باسم « انتف » ، والمقبرة التي تقع في أقصي الشمال من هذه المقابر والتي أصابها التلف من قطع الأحجار منها هي مقبرة « خيتي » الذي يعرف في العادة باسم « خيتي الثاني » ولو أنه من المحتمل أنه كان حقاً أسبق من خيتي الآخر « وتف ايب » .

ويحدثنا النص الموجود علي الباب الوهمي الواقع في الحائط الخلفي للمقبرة وعلي النصف الداخلي للحائط الجنوبي بأنه كان « الحاكم الوراثي ، والبارون ، وحامل الختم الملكي » .

« والصديق الوحيد ، والكاهن الأعلي ، لأوب واوات سيد أسيوط » وبخلاف هذا فليس للكتابة أي أهمية تاريخية فهي تنسب فقط لكاتبها الفضائل المألوفة التي يدعيها لنفسه أى والى من الولاة .

---

(١) تعرف هذه المقبرة الآن باسطبل عنتر .

ولكن هذا يختلف عما في المقبرتين الباقيتين ، فهما يمدانا بمعلومات علي أعظم جانب من الأهمية لتاريخ العصر المضطرب الواقع قبل الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة ولو أنهما للأسف لا يذكران أسماء أمراء طيبة الذين حاربوهم من أجل « مري كارع » مليكهم المحبوب السئ الحظ .

ويحدثنا « تف ايب » في مقبرته الواقعة في أقصي الجنوب بالنسبة لهذه المقابر الثلاث عن انتصارين ضد ثوار المقاطعات الجنوبية (ونعني بهم أمراء طيبة المعروفين باسم انتف) ولكنه لم يحدثنا عن انتصار ثوار المقاطعات الجنوبية في النهاية أو عن بقية الأحداث .

ومن الواضح أن الصراع كان يهدف إلي الاستيلاء علي طيبة وأبيدوس التي يسميهما تف ايب « مرفأ الجنوب » ويقول أمير [1] أسيوط إنه طرد العدو حتي هذه النقطة وإنه أرغمه علي التنازل عنها .

وهناك كتابة « لا نتف واح عنخ » حاكم طيبة تقول بأنه « استولي علي كل مقاطعة طينة وجعلها باب الشمال » ، وبهذا تكون لدينا الخطوط الرئيسية لصراع طويل بين أسيوط وطيبة انتهي بفوز طيبة .

(١) أسيوط : تعتبر أسيوط كبرى مدن الوجه القبلى وعاصمة محافظة أسيوط وكان أسمها قديماً « ساووت » ومعناها الحارسة وسماها اليونانيون ليكونبوليس أى مدينة الذئب لأنه كان الحيوان المفترس الذى يرمز به لإلهها الرئيسى - وقد نشأت أسيوط علي رأس درب القوافل الذى يربط النيل بالواحات الخارجة ثم دارفور غربى السودان - وازدهرت أسيوط فى الفترة (٢٢٨٠ - ٢٠٥٢ ق.م) ولعبت دوراً هاماً فى الحروب التى قامت بين ملوك اهناسيا وأمراء طيبة ، وتوجد مقابر أمراء أسيوط فى ذلك العهد منحوتة فى الصخر خلف المدينة أهمها (مقبرة خيتى) ، (تف - اب) وكذلك مقابر أخري من أيام الأسرة ١٢ أهمها مقبرة (زفا - حابى) وفى سفح الجبل وسطح الهضبة يوجد جبانات من العصور المختلفة عثر فيها على الكثير من الآثار وخصوصاً التوابيت الخشبية المزينة بالرسوم وكتابات عن « نص التوابيت » وكان معبودها الرئيسى الإله « ويواوت » ويرمز له بابن آوى وكانوا يقدسونه وبخاصة الذئب - كما كانت لعبادة أوزوريس مكانة كبرى - كما عثر فيها على بقايا معبد لإخناتون وأحجار باسم رمسيس الثانى ومنذ الأسرة ١٨ أخذ الكهنة يدفنون موميات حيواناتهم المقدسة فى مقابر الدولة الوسطى - وهى المعروفة الآن باسم السلخانة - وعند اكتشافها عثر بداخلها على كثير من الموميات ومعها قراطيس ورق بردى وآثار أخري غير اللوحات الجنائزية من الأسرة ١٨ حتى العصر الصاوى - كما ظلت لأسيوط أهميتها فى أيام البطالمة والرومان وكذلك فى القرون الوسطى (المراجع) .

أما مقبرة « خيتي الأول » التي تقع بين مقبرة « تف ايب » و« خيتي الثاني » فهي مألوفة لكل شخص اطلع علي أي كتاب موضح بالصور عن مصر منذ أيام « ولكنسون » إذ يري رسم الجنود المدججي السلاح وهم يحملون الدروع والحراب الثقيلة ولهذا فقد سميت « مقبرة الجنود » .

وهذا الرسم يعيننا علي أن نصور لأنفسنا نوع فرق الجنود التي استطاع بها خيتي أن يدافع عن مليكه ضد ثوار المقاطعات الجنوبية الذين كانوا ولا شك مسلحين بنفس الأسلحة .

ولقد حافظ خيتي علي صفة الإخلاص التي اشتهرت بها عائلته ، ومن الواضح أن « مري كارع » السيء الحظ كان إذ ذاك في حالة سيئة أكثر من أي وقت آخر ، فلقد كانت مصر الوسطي والمقاطعات الجنوبية سواء بسواء في ثورة عارمة .

ولقد أعد خيتي جيشاً وأسطولا نهرياً كبيراً وصاحب مليكه في حملة انتهت بإعادة النظام ، وكما يقول:« لقد ارتجفت الأرض وحل بمصر الوسطي الخوف وأصبح كل الناس في جزع والقري في رعب وغدت البلاد كتلة من نار » .

ومن الواضح أن خيتي كان فخوراً بحجم أسطوله النهري ، ومن سوء الحظ أن جزءاً من الكتابة ناقص عند هذه النقطة التي كانت ستقص علينا النهاية الأخري للصف الطويل الخاص به ولكنه يقول لنا في كثير من المباهاة (لم يحدث في وقت من الأوقات أن كانت مقدمة الأسطول الذي وصل إلي شاس حتب (المعروفة باسم هيسيلس باليونانية علي مسافة تقرب من أربعة أميال ونصف ميل جنوبي أسيوط) بينما تكون نهايته ما زالت في ......»

ومن كتابته يتضح لنا أن خيتي قد أنهي أيامه بسلام ، فلقد كان ابناً مخلصاً لأب مخلص ، وكان جديراً بفرعون آخرأقوى من مري كارع الفرعون المتردد بكل معاني هذه الكلمة .

وقبل أن نغادر هذه المقابر القديمة يحسن بنا أن نلفت النظر إلي المنظر الرائع الذي يحصل عليه المرء من هذا الموقع .

وسواء كان بالاختيار أو بمجرد الصدفة وجود الصخر المناسب لهذا الغرض فإن ولاة الدولة الوسطى هنا وفي الأماكن الأخرى .

مثل بني حسن ودير الجبراوي ، قد عملوا علي أن يضمنوا لأنفسهم أجمل الأماكن والمقابرالتي يمكن أن يتصورها المرء حتي تسعد أرواحهم كلما خرجوا للنزهة .

والآن نعود إلي مقبرة « حب جيفا » التي مررنا بها في طريقنا إلي المقابر العلوية وكان « حب جيفا » والياً لأسيوط أيام حكم سنوسرت الأول من ملوك الأسرة الثانية عشرة (٢١٠٠ ق م) ، وكان أيضاً حاكما للنوبة .

وفي هذه المقاطعة البعيدة مات ودفن في « كرما » بالقرب من الشلال الثالث حيث حدثت مذبحة كبيرة عند دفنه .

وقد قام الدكتور ج . أ . ريزنر بالحفر عن مقبرته هناك ولم يكتشف بها بقايا المذبحة الكبيرة فحسب ولكنه اكتشف أيضاً تماثيل « حب جيفا » - وزوجته « سنوي » ، وكتابة « حب جيفا » تجري علي النحو الآتي :-

« صاحب الحظوة عند أوب واوات ، سيد أسيوط ، والأمير الوراثي ، والوالي ، أعظم العظماء .... الحاكم الكبير للجنوب ، الصديق المفرد ، ورئيس إقطاعية الملك - الوالي « حب جيفا » المولود من « ايدي عو » .

وكان « حب جيفا » صاحب المقبرة المنحوتة في جبل أسيوط متزوجا من « سنوي » وابنا « لايدي عو » ، وهو يصف نفسه في النص الموجود في بلدته كالآتي : « حاكم الوجه القبلي كله » ولهذا فليس هناك أدني شك في أن « حب جيفا » بكرما هو بعينه « حب جيفا » من أسيوط .

ولهذا فإن مقبرة أسيوط لم تستعمل أبدا لدفن صاحبها ، وهي حقاً لم تكمل ، علي أنها - حتي في حالتها الحالية - مازالت تعتبر أكبر مقبرة صخرية معروفة من الدولة الوسطي ، إذ يبلغ طولها حوالي ١٤٥ قدماً ، وبها مالايقل عن سبع غرف .

وهي بذلك تختلف عن المقابر المعتادة في الدولة الوسطي التي تحوي فقط ثلاث غرف وهي الفناء والمزار والهيكل .

ومقبرة « حب جيفا » مخططة في تناسق تام (فيما عدا بئر الدفن التي لم تكمل والتي تتجه إلي الجنوب خارجاً عن الجناح الجنوبي للحجرة السادسة) .

وتتكون المقبرة من فناء أمامي ذي سقف مقبب ، وصالة كبيرة بها هيكلان في الحائط الغربي ، وممر داخلي مقبب يتصل من جانبه الجنوبي بالهيكلين الموجودين في الصالة الكبيرة ، ثم دهليز متسع له جناحان ، وهيكل داخلي بين هذين الجناحين .

والجزء الوحيد الذي نقش في المقبرة كلها هو الهيكل الداخلي ، وعلي حائطه الخلفي رسم « لحب جيفا » مع ثلاث نسوة يحملن أمامه زهور اللوتس .

وعلي الجدران الجانبية يري جالساً إلي المائدة بينما تقدم إليه القرابين .

أما الألوان – إن كانت حقاً قد وضعت علي هذه الرسوم – فقد اختفت تماماً ، أما الدهليز الموجود أمام الهيكل فلا يزال به آثار من الجبس واللون كما هو الحال في الممر الداخلي المقبب .

وسقف الصالة الكبيرة مرسوم بالألوان ، ففي وسطه خط من الكتابة ، أما جدرانها الأربعة فكانت في الأصل مغطاة بالجبس ومحلاة بالرسوم الملونة والكتابات .

أما كتفا الباب بالحائط الغربي فعليهما كتابات محفورة ملونة باللون الأخضر ، وقد أعيد تزيين الحائط الشرقي بمنظرين مرسومين بالألوان وبكتابات طويلة تحتوي علي ١٠٥ صفوف رأسية من الكتابة الهيروغليفية المحفورة والملونة باللون الأخضر .

وعلي جانبي الباب الذي يصل بين الممر الداخلي المقبب والصالة الكبيرة وعلي كتفيه كتابات محفورة ، بينما نشاهد سقف ممر المدخل محلي بالرسوم الملونة للخدم .

أما جدرانه فقد أعيد تزيينها بالرسم الملون « لحب جيفا » وبكتابة طويلة تكاد تكون غير مقروءة الآن .

ويبدو أن إعادة التزيين التي تضمنت أيضاً بعض التغييرات في النصوص الهيروغليفية في المقبرة قد حدثت بعد أن وصل الخبر إلي أسيوط بموت « حب جيفا » ودفنه في « كرما » .

ويعتقد الدكتور ريزنر أن هذا قد حدث بناء علي طلب الكاهن الذي كان مكلفاً بالقيام بالطقوس الجنائزية للمتوفي ، وقد دلل علي ذلك .

والسبب في هذا غريب ، وهو يزيد من طرافة المقبرة ، فقبل أن يسافر « حب جيفا » إلي السودان أجري كتابة عشرة عقود مع كهنة معابد « أوب واوات وأنوبيس » بأسيوط للقيام بالطقوس الجنائزية بمقبرته .

وقد رتب هذا علي نطاق واسع بحيث لا يمضي يوم واحد من أيام السنة دون القيام بالطقوس الدينية لصالح الوالي ، بينما كان للأعياد الخاصة تقاديم خاصة .

ومن البديهي أن هذه العقود كانت تكتب علي ورق البردي ثم تختم وتحفظ ، غير أن « حب جيفا » خشي عند سفره إلي السودان أن تؤدي غيبته واحتمال وفاته في الغربة إلي إهمال الكهنة لواجباتهم .

ولذا فقد كتب خطاباً لكاهن الروح الخاص به ينبهه إلي ضرورة التأكد من استمرار القيام بهذه الواجبات بالصورة المطلوبة .

وخطابه هذا يتسم كل سطر فيه بعدم الثقة في الكهنة – وقد كان « حب جيفا » عارفاً برجاله إذ كان والياً وكاهناً في الوقت نفسه .

وعندما وصلت الأخبار بموت « حب جيفا » يبدو أن كاهن الروح صمم علي أن يحفظ للمتوفي مصالحه بقدر ما تكفل الكتابة هذه المصالح .

ولهذا فقد عمل علي إعادة نقش جزء من المقبرة كما كتب علي الحائط الشرقي للصالة الكبيرة ملخصاً لكل من العقود العشرة مع خطاب سيده المتوفي كاحتياط لأي نوع من التدليس يمكن أن يلجأ إليه كهنة « أوب واوات وأنوبيس في المستقبل » .

أما أن هذا الاحتياط قد أدي غرضه أم لم يؤده فمسألة أخري ، ولقد يكون من المحتمل أنه لم يؤد هذا الغرض شأنه في ذلك شأن أي عقد آخر يفيد الأحياء بعد انتقال الشخص الذي قام بعمل العقود إلي العالم الآخر .

وإني أثبت هنا خطاب « حب جيفا » لكاهن الروح الخاص به ثم أول وأبسط العقود العشرة كتوضيح لهذه الواقعة القانونية والدينية : « الأمير الوراثي ، والوالي ، ورئيس الكهنة حب جيفا .

يقول لكاهن « الكا » الخاص به : فلتكن جميع هذه الأشياء التي تعاقدت فيها مع الكهنة المطهرين تحت إشرافك ، فكاهن « الكا » لأي رجل هو الذي يكون سبباً في ازدهار أملاكه وقرابينه .

لقد أحطتك علما بهذه الأشياء التي أعطيتها للكهنة المطهرين مقابل الأشياء التي أعطوها لي ، خذ حذرك حتي لا ينقص شيء منها .

سوف تتحدث أنت عما يخصني مما أعطيته لهم وسوف تجعل ابنك ووارثك يستمع إليها - هذا الذي سوف يعمل ككاهن خاص لروحي (بعد وفاة الكاهن الحالي) .

لقد أنعمت عليك بالأرض والناس وقطعان الماشية مع الحدائق وكل شيء كأي شخص يمجد في أسيوط حتي تقوم بخدمتي بقلب راض وحتي تباشر شئوني التي وكلتك أمرها .

أنظر إنها مكتوبة أمامك وكلها سوف تخص ابنك الذي تختاره من بين أبنائك ليعمل ككاهن لروحي دون أن تسمح له بأن يقسمها بين أولاده بناء علي هذه التعليمات التي أعطيتها لك » .

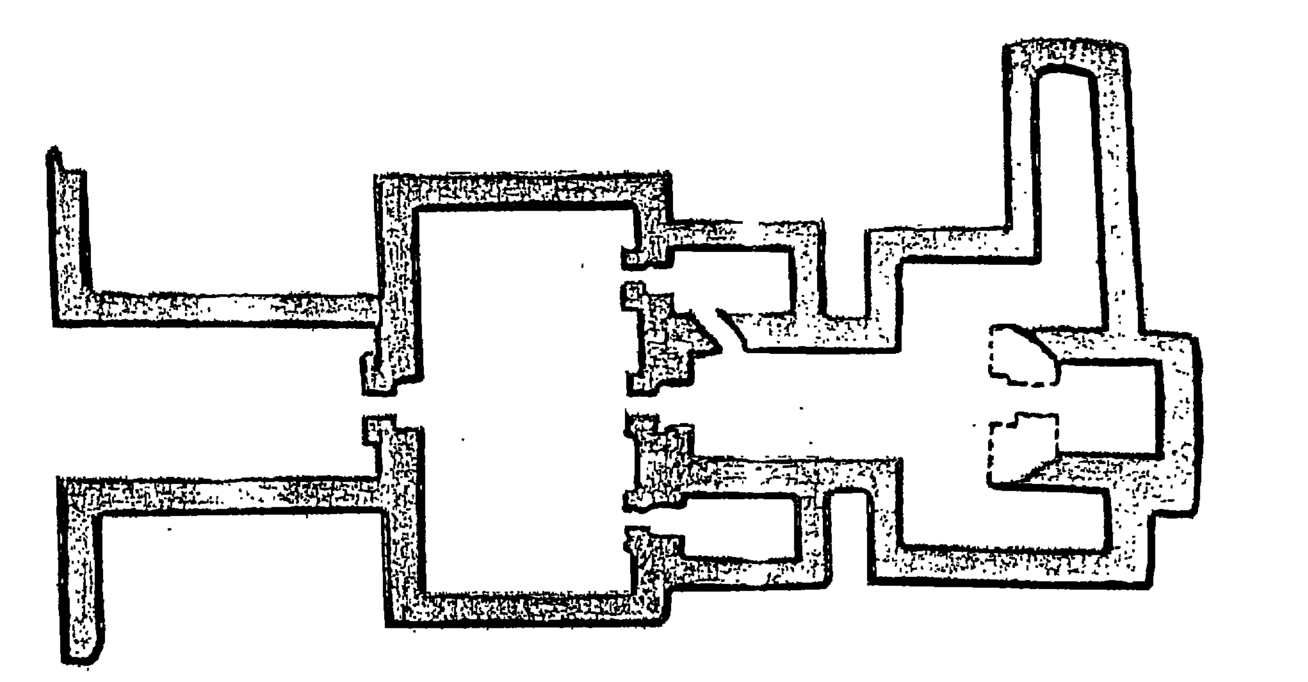
وفيما يلي أول العقود العشرة .

عقد بين المرحوم الحاكم ، الكاهن الأكبر ، « حب جفا » وبين الكهنة الحاليين بمعبد أوب واوات سيد أسيوط :

(١) أن يقدم كل كاهن من الكهنة المطهرين رغيفاً من العيش الأبيض لتمثاله الموجود في معبد أنوبيس سيد الكهنة في أول يوم من أيام النسيء عندما يتوجه « أوب واوات » سيد أسيوط إلي هذا المعبد .

(٢) وفي مقابل ذلك يعطيهم نصيبه من الثور المقدم إلي « أوب واوات سيد » أسيوط في هذا المعبد عندما يتوجه إليه ، وهذا النصيب هو قربان اللحم الخاص بحاكم المقاطعة .

(٣) ثم تحدث إليهم قائلا : انظروا لقد أعطيتكم هذا القربان من اللحم الذي يخصني في المعبد حتي تمنحوني العيش الأبيض .



(شكل رقم ١٠٣)

مقبرة « حب جيفا » بأسيوط – وهذه المقبرة لم تستعمل لدفن صاحبها ولم تكتمل نقوشها – وهي مازالت تعتبر أكبر المقابر الصخرية المعروفة من الدولة الوسطى ، ويبلغ طولها حوالى ١٤٥ قدماً وتحتوي على سبع غرف فى تناسق تام ما عدا بئر الدفن التى لم تستكمل والتي تتجه إلي الجنوب من الحجرة السادسة والجزء الوحيد الذى نقش في المقبرة كلها هو الهيكل الداخلي وسقف الصالة الكبيرة مرسوم بالألوان – وقد مات « حب – جيفا » في السودان ودفن في كرما – ويعتقد الدكتور ريزنر مكتشف المقبرة أن تزيين المقبرة قد تم بناء على طلب الكاهن الذى كان مكلفاً بالقيام بالطقوس الجنائزية للمتوفى

عندئذ قدموا لتمثاله المكلف به كاهن الروح جزءاً من لحم الثور ، وذلك من قربان اللحم الذي أعطاه لهم .

(٤) وكانوا راضين بذلك (ج . أ .ريزنر – مجلة الآثار المصرية – الجزء الخامس – ص ٧٩ وما يليها) [١] .

والعقود الستة الباقية متشابهة في مضمونها وإن كانت بنظام أشد تعقيداً ، والنتيجة المجردة كانت – كما سبق أن أسلفنا – أنه ، لم يكن يمر يوم واحد في السنة دون أن يتسلم الطعام والشراب الضروريين له ، علي أن هذا كان من الوجهة النظرية .

فالإنسان يتوقع بعد مضي فترة معينة أن يختلف الواقع كثيراً عن النظري – كما كان يحدث دائماً في المنح الجنائزية في مصر وغيرها من البلاد ، يحسن بالقاريء الذي يرغب في أن يدرك التأثير المباشر للتقديمات المنظمة التي قام بها ، حب جيفا ، لصالح روحه أن يرجع إلي الكتاب القيم لبرستد ،، تطور الفكر والدين في مصر القديمة – ص ٢٥٩ وما يليها [٢] ، حيث يجد صورة حية غير عادية للطقوس الجنائزية في مقبرة حب جيفا في أعياد رأس السنة والأعياد الأخري .

(دير ريفة)

وعلي مسافة تقرب من ستة أميال قبلي أسيوط تقع بلدة ، دير ريفة ، حيث توجد المقابر الصخرية لأشراف ، سش – حتب ، عاصمة المقاطعة الحادية عشرة التي تقع علي سطح بالمرتفعات الغربية .

وهناك سبع مقابر كبيرة وجميلة الصنع من عهد الدولة الوسطي والدولة الحديثة بالإضافة إلي عدد من المقابر الصغيرة .

---

(١) (G. A. Reisner, Jowrnal of Egyptian Archaeology, Vo. V, PP. 79 Seq.)

(٢) (Breasted, Development of Religion and Thought in Ancient Egypt, PP. 259 Seq.)

وقد قام « ف . ل . جريفث » بنشر نقوشها الهيروغليفية مع نقوش مقابر أسيوط – وفي السهل تحت التل تقع مقابر الموظفين الصغار والعامة كما هو حادث في بني حسن وغيرها .

وقد كشف المعهد البريطاني للآثار عن هذه المقابر عام ١٩٠٦ ، وقد عثر في هذه المقابر علي دفنات ترجع إلي عهد الأسرة السابعة وما بعدها .

وبصفة رئيسية إلي الأسرات الحادية عشرة والثانية عشرة والثامنة عشرة .

ومن نتائج هذه الاكتشافات [١] العثور علي حوالي ١٥٠ منزلا من « منازل الأرواح » المشكلة من الطين ، وقد وجدت فوق المقابر وليست فى داخلها .

ومن المفروض أن هذه قد وضعت هناك كبديل عن المساكن لأرواح أصحاب المقابر ، وأهميتها تنحصر في إمدادنا بصورة من عمارة المساكن المصرية في الفترة ما بين الأسرة السادسة والأسرة الثانية عشرة عندما بدأت هذه المجموعات في الاختفاء.

(قرية شطب)

وعلي مقربة من خط السكة الحديد ، وعلي بعد سبعة أميال إلي الشرق من ريفة ، تقع قرية شطب وهي التي تمثل في الوقت الحاضر مدينة « سش حتب » القديمة وهذه المدينة التي عرفها الإغريق بعدئذ باسم « هيسيلس » ستذكر دائماً باعتبار أنها المكان الذي وصلت إليه مقدمة أسطول خيتي العظيم .

بينما كانت مؤخرته في مكان آخر ضاع اسمه ، وكانت « سش حتب » مكرسة للإله « خنوم » ، وهو أحد الآلهة الخالقة عند قدماء المصريين ، وكان يمثل بشكل إنسان ذي رأس كبش .

---

(١) كشفت هذه الحفائر عن مقابر كثيرة وبعض المساكن الصغيرة ولكن لم يكتشف المكان الخاص بها ، وتدل حضارة البدارى بوجه عام على درجة كبيرة من الثقافة والتقدم فى جميع النواحى .

وهى ترجع فى نظر بعض العلماء إلى حوالى ٤٥٠٠ ق.م تقريباً حين بدأ استخدام المعادن استخداماً أضيق النطاق (المراجع) .

(مدينة أبو تيج - صدفا)

وعلي بعد ٢٤٨ ميلا من القاهرة (٥ر٢٦٤ ميل بالنهر) ، تقع مدينة أبوتيج - صدفا وهى عاصمة محلية وبها مرفأ صغير مزدحم .

وتقع صدفا علي بعد ستة أميال إلي الجهة الجنوبية منها ، وأمام صدفا علي الشاطيء الشرقي توجد البداري التي تعتبر أيضاً عاصمة محلية .

ولكنها برزت في العصر الحديث نظراً للحفائر التي اكتشفت فيها فيما بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٢٨ فى بعض مواطن الاستيطان التي تسبق في تاريخها بوقت طويل أى شيء اكتشف حتي الآن من عصر ما قبل التاريخ في مصر .

(البدارى)

وتكشف مقابر البداريين [١] عن « أقدام مزارعين يظهرون بالتأكيد لأعيننا عن طريق الحفر في وادي النيل وفي أى مكان آخر » (جوردون تشيلد - الشرق القديم - ص ٥١) [٢] فهذا الجنس القصير ، النحيف ، صغير الجمجمة ، كان يعيش في قرى منتظمة ، ويزرع الشعير والقمح ، ويرعي الحيوانات المستأنسة ، بالإضافة إلي القنص وصيد الأسماك .

وكانوا يلبسون الملابس المنسوجة من الكتان أو المصنوعة من جلد الماعز ، وكانوا حاذقين في تشكيل وصقل الأحجار الصلبة والغزل وعمل السلال والنحت ،

---

(١) البدارى : هى بلدة فى محافظة أسيوط على الضفة الشرقية للنيل أمام أبو تيج عثر فيها على حضارة من العصر النيوليتى وهى من أقدم حضارات العصر الحجرى الحديث فى الوجه القبلى - كان الموتى يدفنون فيها على هيئة القرفصاء على الجانب الأيسر - ويوضع معهم كثير من الأوانى الفخارية من النوع الأحمر ذو حافة سوداء - ويرجع تاريخ حضارة البدارى إلى حوالى ٤٠٠٠ سنة ق.م وقد ظهر استخدام النحاس لأول مرة كحبات عقود للزينة كما عرفوا نسيج الملابس واستخام أسرة من الخشب ولهم ميل خاص لرسم الحيوانات للزينة فوق بعض الأدوات المصنوعة من العاج وحول الأوانى الفخارية (المراجع) .

(٢) (Gordon Childe, The Most Anciert East, P. 51

وبالأخص في صنع الأواني الفخارية الجميلة ، بدرجة من الكمال لم يتفوق عليها غيرهم في وادي النيل .

وأجمل فخارهم ما كان رقيقاً جداً أحمر ذا حافة سوداء ، كذلك صنع فخار أسود جميل محفور برسوم هندسية متكررة ومطعمة بلون أبيض .

كل هذا في عصر سحيق من الصعب تحديده ، ولكن من الجائز أن يكون قبل عام ٥٠٠٠ ق . م بقليل .

ويبدو أن البداريين من أصل متشابه لأصل السكان الأوائل بمنطقة الفيوم الذين كشفت عن وجودهم مس ، كاتون طومسون ، .

(العتمانية)

والقرية الحالية المسماة العتمانية – وهي التي حلت محل القرية التي عرفت باسم ، قاو الكبير ، – تقع علي البر الشرقي للنيل أمام قاو الغرب ، أما قاو الكبيرة القديمة التي كانت قائمة حتي أيام بعثة نابليون وبعدها فقد جرفتها مياه النهر تماماً وذلك بسبب تغيير النيل لمجراه وبسبب الفيضان .

وقد جرفت معها المعبد البطلمي لأنتيوس وهو المصارع الخرافي الذي قيل بأن هرقل قد غلبه وقتله ، وهو الذي مثله الإغريق بالإله المحلي ، أنتي ، الذي لا يكاد يكون معروفاً بغير هذا ، والذي يعرف اسمه فقط من نقشين وجدتهما بعثة المدرسة الإنجليزية عام ١٩٢٣ .

وقد زارت بعثة ، سكيا بارللي ، المقابر الثلاث الصخرية الخاصة بموظفين من الأسرة الخامسة عام ١٩٠٦ وكذلك زارها ، شتيندورف ، عام ١٩١٤ .

وكما كشفت جبانات أنتيوبوليس عندما حفرتها بعثة المدرسة الإنجليزية عام ١٩٢٣ عن دفنات من كل العصور ابتداء من الأسرات الأولي حتي الأسرة الحادية عشرة .

(أخميم)[1]

وعلي مسافة ٣٢١ ميلا في النهر من القاهرة و ١٣٩ من الأقصر نصل إلي أخميم [2] التي تمثل المدينة المصرية القديمة المعروفة باسم « آبو » أو « خنتي مين » ، والتي دعاها الإغريق « خميس » أو « بانوبوليس » .

وكانت آبو عاصمة المقاطعة التاسعة ، وكانت مدينة مين إله الصحراء الشرقية وسيد البلاد الأجنبية والذي كان يعبد بصفة خاصة في قفط علي بعد مائة ميل بالنهر إلي الجنوب حيث يتفرع الطريق الموصل إلي محاجر الحمامات ، وطرق القوافل المخترقة الصحراء الشرقية حتي البحر الأحمر .

ومين هو إله التناسل ويرسم بريشتين طويلتين مثل ريشتي الإله آمون ورافعاً

---

(١) نحن دخلنا فى محافظة سوهاج التى تفتقر إلى تلك المناظر الرائعة التى تزخر بها مقابر أمراء المنيا وأسيوط ، ولكنها تعتز بمنطقة من أهم المناطق الأثرية فى مصر وهى أبيدوس - ومنطقة أخميم تعتبر من أغنى مناطق محافظة سوهاج الغنية بالآثار والتى لم تكتشف بعد ومنذ فترة قريبة تم اكتشاف جبانة ضخمة فى أخميم حيث عثر فيها على تمثال ضخم للأميرة مريت آمون ابنة رمسيس الثانى وهو آية فى الفن والجمال وتم استخراجه مع عدة آثار أخرى وجارى استكشاف بقية الجبانة التى من المنتظر أن تسفر عن اكتشافات جديدة حيث ترقد هذه المدينة تحت كميات هائلة من المقابر والجبانات الأثرية (المراجع) .

(٢) ومدينة أخميم من أكبر مدن محافظة سوهاج وتقع على الضفة الغربية للنيـــل أمام سوهاج - وكانت عاصمة للإقليم التاسع من أقاليم الوجه القبلى ، وكان اسمها فى العصور الفرعونية « ابو » والمعبود الرئيسى لها هو الإله « مين » كما كانت تسمى أيضاً « خنت - مين » وسماها اليونانيون « بانوبوليس » كما كان يعبد بها مع الإله مين معبودات أخرى أهمها حورس وايزيس - وكان بها حتى أوائل القرن الماضى أطلال ثلاثة معابد كبيرة كانت نقوش أكبرها مصدراً لكثير من القصص التى دونها الرحالة العـــرب - وعلى مقربة من أخميم الحديثة وهى مشيدة فوق المدينة القديمة ، عدة جبانات على حافة الهضبة وفيها مقابر منحوتة فى الصخر على جدرانها نقوش ورسوم ملونة فوق طبقة من الملاط مثل مقابر « الحواويش » وتسمى أحياناً مقابر أخميم وهى من الدولة القديمة والوسطى ، ومقابر السلاموني من العصر البطلمى والرومانى كما يوجد على سفح الهضبة جبانات من العصر الرومانى والقبطى كانت مصدراً لكميات هائلة من الأقمشة القبطية المطرزة ، كما يوجد معبد منحوت فى الصخر يرجع تاريخ إنشاءه إلى الملك تحوتمس الثالث كما يوجد بها كثير من الأديرة القديمة (المترجم) .

بيـــده سـوطا ، ويحكي هيرودوت عن « آبو » أو خـميس كما كان يسميها قصـــة غريبـــة .

يذكر فيها أن كهنة هذا المكان أكدوا له أن معبدهم كان مكرساً لبرسيوس بن داناوس ، وأنه كان هناك تمثال للبطل في المعبد ، وأنه كثيراً ما ظهر لهم تاركا خلفه أحياناً نعله الذي يبلغ طوله ذراعين (وهو حجم جدير بالأبطال) ،

وأنه عندما كان يترك نعله يحل الرخاء في مصر كلها – وقد ذكروا أيضاً أن برسيوس كان حقاً واحداً منهم كما كان داناوس – ولينسيوس من أهل خميس قبل أن يذهبا إلي اليونان .

وأخيراً فإنهم أكدوا أيضاً أن برسيوس قد أمرهم بتكريمه بإقامة الألعاب الرياضية كما كان يفعل الكهنة الإغريق .

وإذا تركنا أوجه الشبه في التماثل جانباً ، فلا يمكن أن يصبح مين هو الإله الخاص بعنصر التوالد في الطبيعة ، فمن المحتمل أن نجد سبباً للفكرة القائلة بأن ترك نعله وراءه يعني الرفاهية لمصر .

ولا يكاد يوجد حالياً شيء من بقايا معابد « آبو » المشهورة التي كانت لا تزال قائمة في القرون الوسطي ، أما جبانتها فتقع إلي الجهة الشمالية الشرقية من المدينة .

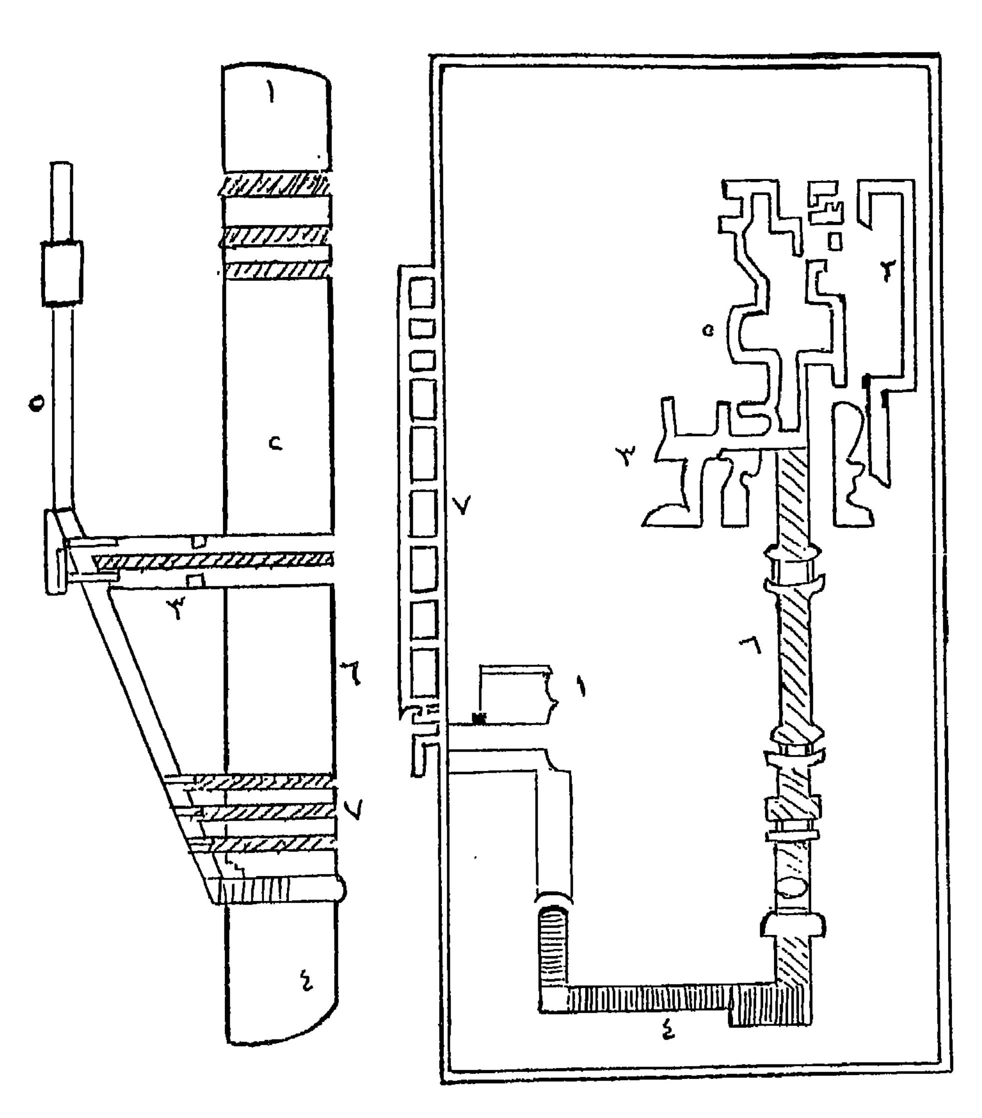
(جرجا)

وعلي بعد ٣١٢ ميلا من القاهرة بالقطار (٣٤٣ بالنهر) و ١١٧ ك.م من الأقصر ، تقع مدينة جرجا وهي عاصمة لأحد المراكز ، وإحدي ثلاث مدن تدعي بأنها تحدد الموقع الأصلي لمدينة ثيس أو طينة .

وهي المدينة القديمة التي خرجت منها الأسرة الأولي المصرية [١] والبلدة الثانية التي تدعي نفس الادعاء هي قرية البربا وتقع علي مسافة ثلاثة ونصف ميل إلي الجنوب الغربي من جرجا ، والثالثة هي أبيدوس التي قد يكون لديها من المبررات التي ترجح صحة ادعائها أكثر من المكانين الآخرين .

---

(١) لم يثبت حتى الآن أن ملوك العصر العتيق كانوا من طينة أو أن عاصمتهم كانت هناك ، وأنهم دفنوا بها ، بل إن معظم وثائق عصر الوحدة قد وجدت فى الكاب بمحافظة أسوان (المراجع).



(شكل رقم ١٠٤)

مقبرة ؛ نترخت ؛ ببيت خلاف موضح بها :

١ – سلم هابط ٢ – ممر هابط تحت الأرض ٣ – آبار وكتل حجرية ضخمة

٤ – حجرة كبيرة ٥ – دهليز مخزون به قمح في زكائب

٦ – غرف للقرابين ٧ – آبار للقرابين وتضليل اللصوص

ويقع بيت خلاف علي بعد ٥ر٣ ميل غرب جرجا ومن البديهي أن المقبرة قد سرقت والأختام التي وجدت في هذه المقبرة الكبيرة دلت علي أنها لنترخت .

(بيت خلاف)

ويقع بيت خلاف علي بعد ثلاثة ونصف ميل غرب جرجا ، وقد كشف بها جارستانج عام ١٩٠١ مصطبتين كبيرتين من الأسرة الثالثة ، وكان المدخل للأولي بواسطة سلم كان مليئاً بأوان من المرمر أسطوانية الشكل .

وكانت هذه الأواني بكميات هائلة بحيث بلغ عددها في السلم وحده حوالي ٨٠٠ إناء .

وإذا اتجهنا في زوايا قائمة تحت القبو (١ ، ٢ في شكل رقم ١٠٤) نجد ممراً منحدراً ينزل في انحدار شديد تحت الصحـــراء ، وكان مسدوداً بأحجار ضخمة تزن ما بين ٨ إلي ١٣ طناً .

والبئر التي بواسطتها أنزلت آخر هذه الكتل الحجرية وأكثرها عمقاً وثقلاً إلى مكانها رقم ٣ فى شكل ١٠٤وقد حفرت إلى عمق ٨٧ قدماً في حصباء الصحراء .

أما الكتلة الحجرية التي أغلق بها باب الحجرة التي أنزلت من هذه البئر فيبلغ ارتفاعها ١٧ قدماً ، وخلف هذه الكتلة ممر قصير ينزل إلي الحجرات (٦,٥,٤) ، ويقع علي بعد ٩١ قدماً تحت الأرض .

وكانت هناك ١٨ حجرة خارجة من الممر الأوسط . ويمكن معرفة ترتيبها من التخطيط ، وكانت حجرة الدفن هي الحجرة الكبيرة في الوسط المصنوعة جدرانها من الحجر .

ومن البديهي أن المقبرة قد سرقت ، ولقد كان اللصوص القدماء مهرة بشكل جعل العمال العرب الذين كانوا يعملون مع جارستانج يعلنون بأن الثقب الذي أحدثه اللصوص كان ثقباً يصلح لثعلب لا للص .

والأختام التي وجدت في هذه المقبرة الكبيرة دلت علي أنها لنترخت وهو نفسه زوسر الملك العظيم في الأسرة الثالثة الذي أقام الهرم المدرج بصقارة .

وفي وقت ما كان يشك في أن مصطبة بيت خلاف لم تكن مقبرته الحقيقية وأن الهرم مقبرة الكا ، ولكن حفائر « فيرث » جعلت من غير المحتمل أبداً أن تكون مقبرة فخمة كهذه مثل ا لهرم المدرج مجرد مقبرة ثانوية ، ويظهر أن الاحتمال هو أن مصطبة بيت خلاف هي المقبرة الثانوية .

وعلي بعد قليل من الجهة البحرية لمصطبة زوسر كشف عن بناء كبير آخر من

نفس الطراز ، ووجد أنه يخص سانخت شقيق وخليفة زوسر ، وقد عثر علي الهيكل العظمي لسانخت أو علي الأقل الجزء الأعظم منه داخل المقبرة .

واتضح أن الملك كان رجلا طويلا بشكل غير مألوف ، وبخاصة إذا تذكرنا أن المصري في العصور المبكرة كان في العادة قصيراً صغير العظام .

(المحاسنة)

وتقع المحاسنة جنوب بيت خلاف ، وبها وجدت جبانات من عصر ما قبل التاريخ ومن عصر الأسرات الأولي كشف عنها السادة جارستانج وايرتون ولوت في الأعوام ١٩٠٠ - ١٩٠١ ، ١٩٠٨ - ١٩٠٩ .

(نجع الدير)

وأمام جرجا علي الشاطيء الشرقي للنيل يقع نجع الدير ، وهنا قام الدكتور ج . أ . ريزنر [١] بسلسلة من الحفائر في جبانات من عصر الأسرات الأولي .

وهي التي أدت به إلي أن يجزم بأنه منذ حوالي ١٠٠٠ سنة قبل الأسرة الثانية وخلال عصر الأسرات الأولي التي شملتها حفائره .

لم يكن هناك أي تغير جوهري ظاهر ، في تصور الشعب المصري للحياة بعد الموت أو العقائد والعادات الخاصة بالموتى ، رغم أنه كان هناك تطور مستمر فى الاختراع الآلى وقوة الشعب المصرى ، ويختتم ريزنر بقوله : « إنني أعتقد أنه من

---

(١) فى عام ١٨٩٧ دعى ريزنر للإشتراك مع فريق من العلماء بوضع كتالوج خاص بالقطع المحفوظة فى المتحف المصرى ، فنشر الكتالوج الخاص بالتمائم سنة ١٩٠٠ والمراكب والقوارب . وقد أمضى الشطر الكبير من حياته فى مصر وبدأ عام ١٩٠٥ سلسلة من أعمال التنقيب التى اشتهر بها ، وقد أمدته مسز فويى هيرست بالمال اللازم حتى وافقت جامعة هارفارد ومتحف بوستون للفنون على رعاية عمله - وبعد خمس سنوات أصبح أميناً للقسم المصرى فى متحف بوستون - وكان ريزنر منقباً دقيقاً ويعتز بسجله التفصيلى الذى يحتفظ به عن عمله . وكانت أولى حفائره فى قفط ودير البلاص ونجع الدير حيث فحص جبانات عصر ما قبل التاريخ وعصر الأسرات الأولى ثم نقل نشاطه بعد ذلك إلى الجيزة ومنطقة الأهرامات والمصاطب الجنائزية بالقرب من الهرم الأكبر كما اكتشف تماثيل الملك خفرع وقبر الملكة حتب حرس أم خوفو واتجه بعد ذلك إلى منطقة مروى لفحص أهراماتها من سنة ١٩١٦ - ١٩٢٣ وكذلك نقب عن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين والمعابد فى منطقة نباتا وكذلك عمل فى المسح الأثرى بمنطقة النوبة ومات ريزنر عام ١٩٤٢ . (المترجم)

المستحيل أن نتفادي الاستنتاج بأن سكان مصر منذ عصر ما قبل الأسرات حتي نهاية عصر الأسرات الأولي كانوا يكونون جنساً متصلاً .

وإننا نشهد هنا الخطوات التي أمكنهم بها أن ينتصروا علي مواد الأرض الصعبة وأن يحصلوا علي تلك المدنية التي نسميها بالمدنية المصرية » .

أما الاستنتاج الآخر للدكتور ريزنر فهو خاص بتاريخ المقابر السابقة للأسرات ، وفي هذا يقول : « في الواقع أنه من المشكوك فيه جداً إذا كانت أقدم المقابر المعروفة ترجع إلي ما قبل عام ٤٠٠٠ ق . م » وهو استنتاج يجب تعديله علي ضوء الاكتشافات التي حدثت في البداري والفيوم .

« وكما رأينا سابقاً فإنه من المستحيل أن نؤرخ هذه بدقة تامة ولكن إذا أضفنا ١٠٠٠ عام أخري علي التاريخ الذي حدده ريزنر فإن هذا يبدو محتملا » .

ويجدر بنا أن نلاحظ – حتي نتلافي ما قد نتعرض له من خيبة الأمل – بأنه منذ أن تركنا مقبرة « حب جيفا » في أسيوط (أو قبلها كما يري البعض) لم نلتق بعد ذلك بشيء جليل أو جميل في العين .

فلقد رأينا تلك الأماكن الأثرية التي أتت بنتائج علي أعظم جانب من الأهمية في إمدادنا بالمعلومات عن تاريخ وحياة قدماء المصريين ، وبعض هذه الأماكن أهم من تسعة أعشار الأماكن التي تفوق هذه في مبلغ تأثيرها في النفس .

ولكن ليس في الجبانات السابقة للأسرات والتي ترجع إلي عصر الأسرات الأولي إلا القليل مما يجذب الزائر والسائح الذي يمر بتلك الأماكن ، حتي في أثناء الحفر وطبعاً أقل من ذلك بكثير بعد الحفر .

علي أننا الآن نقترب من الأماكن التي تستمر فيها الآثار الهامة والمؤثرة في النفس في الظهور باطراد وكثرة تزيد وتقل حتي نصل إلي الحدود الأصلية لمصر في أسوان .

الفصل الرابع عشر

أبيـــــدوس

تعتبر البلينا الواقعة علي بعد ٣٢١٫٥ ميل بالقطار و ٣٥٤ ميلا بالنهر من القاهرة نقطة بدء الزيارة لأبيدوس ، وهي واحدة من أهم المناطق الأثرية بمصر القديمة ، وذلك بسبب التقاليد المرعية سواء أكانت دينية أم تاريخية .

وبسبب الأعمال الفنية المدهشة لأوائل عصر الأسرة التاسعة عشرة التي لا تزال ترى وتشاهد في المعبدين الكبيرين لسيتي الأول ورمسيس الثاني وبالأخص في المعبد الأول .

وتقف بواخر السواح بالبلينا وقتاً كافياً يسمح بالزيارة لهذين المعبدين ، ولكن يجب أن نذكر مع ذلك أن الوقت المسموح به غير كاف بالمرة لأكثر من استعراض سريع للخرائب والآثار.

وأن السبب الآخر الذي يجعل لأبيدوس أهمية أكبر عند دارسي التاريخ المصري ، هو وجود المقابر الملكية التي يرجع تاريخها للأسرات الأولي وهي لا تستهوي العين كما أنها لا تنال التفاتاً في برنامج السواح .

علي أنه يحسن مع ذلك بالزائر أن يدرك أن أهمية أبيدوس [١] الفنية – رغم

---

(١) أبيدوس : يطلق المشتغلون بالآثار على بلدة وآثار « العرابة المدفونة » بأبيدوس وهى على حافة الصحراء غربى مدينة البلينا بمحافظة سوهاج ، وكانت من بلاد « الثامن » من أقاليم الوجه القبلي وهى من أهم المناطق الأثرية بمصر حيث لعبت دوراً كبيراً فى التاريخ الدينى للبلاد فى جميع العصور – وكانت أبيدوس جبانة لمدينة « تنى » التى خرج منها الملك « مينا » مؤسس الأسرة الأولى الذى تم على يديه توحيد القطرين – وفى هذه المنطقة نجد مقابر عليها أسماء وملوك الأسرة الأولى والثانية ، فى العصر العتيق ، وكان الإله « خنتى امنتيو » يرمز له بالكلب الوحشى حارساً حامياً لجبانتها – وابتداء من الأسرة الخامسة أخذ الإله أوزوريس مكان الصدارة كإله للموتى وأصبحت أبيدوس أهم مراكز عبادته فى مصر ، كما شيد الملك « بيبى الأول » معبداً بجوار أبيدوس (على حافة المنطقة الزراعية) لعبادة أوزوريس وكانوا يقيمون فيه الاحتفالات السنوية الكبيرة فى أعياده يمثل فيها الكهنة تمثيلية أسطورة مقتله . وابتداء من الأسرة ١١ أصبحت أمنية كل مصرى مؤمن أن يدفن فى أبيدوس ويخلد فيها روحه وأن توضع باسمه لوحة فى جبانتها المقدسة حتى تستطيع روحه =

عظمتها - ثانوية تماماً بالنسبة لأهميتها كمكان لدفن الفراعنة العظام لعصر الأسرات الأولي .

وبالنسبة لأنها المدينة المقدسة الرئيسية في مصر لمدة طويلة في تاريخها .

والمقابر الملكية في أبيدوس غير ظاهرة كلية لدرجة أن « بيدكر » تناولها في ستة أسطر ، ومع ذلك فعلينا أن نتذكر أن الاكتشافات التي تمت فيها قد أعانتنا أكثر من أي عمل آخر في مصر في تصور لتاريخ الأسرات الأولي .

ويمر السائح بالبلينا في عودته بالبواخر من أسوان ، كما يمكن الوصول إليها بسهولة من الأقصر بالقطار ، وتتوافر العربات والسيارات والحمير لرحلة أبيدوس .

لمحة تاريخية عن أبيدوس

يقول مانيتون إن ملوك الأسرتين الأوليين ينتسبون إلي مدينة ثيس أو طينة وهي المدينة التي يمكن مطابقتها بقرية البربا الواقعة بجوار جرجا .

ولكن من المحتمل جداً وجودها في مكان قريب جداً من موقع أبيدوس التي كانت متصلة بها عن قرب ولو أن طينة قد بقيت المدينة التي هي أكثر أهمية من الوجهة الدنيوية ، بينما اكتسبت أبيدوس يوماً بعد يوم أهمية عظمي من الوجهة الدينية والتاريخية .

ولم يتخذ الملوك الأوائل لمصر - الذين لا نعرف عنهم شيئاً يشبه التاريخ

= المشاركة فى أعياد أبيدوس وتستقل معه السفينة الإلهية التى ينتقل فيها ذلك الإله إلى قبره لكى يبعث مرة أخرى - وفى الدولة الوسطى انتشرت أسطورة وجود قبر الملك أوزوريس فى هذه الجبانة وأن رأسه مدفون فيها وحددوا قبر الملك « جر » من ملوك الأسرة الأولى - ومنذ أيام الأسرة ١٢ أخذ الملوك يشيدون أضرحة للروح - على مقربة من قبر أوزوريس ومعبده - وقد بنى أحمس الأول من الأسرة ١٨ معبداً كضريح لروحه لم يبق من أطلاله شيء - ولكن المعبدين اللذين شيدهما سيتى الأول ، رمسيس الثانى مازالا باقيين حتى الآن .

ومعبد سيتى الأول من أجمل المعابد وأهمها فى مصر وجدرانه مغطاه برسوم ونقوش بارزة جميلة ولها أهمية كبرى فى دراسة الديانة المصرية القديمة - وخلف المعبد مباشرة يوجد قبر وهمى شيده هذا الملك على هيئة قبر أوزوريس حسب وصف الأسطورة فى جزيرة تحت الأرض تحيط بها المياه وهو الأثر المعروف باسم « الأوزيريون » (المراجع) .

الحقيقي الذي يمكن التحدث عنه – أبيدوس كعاصمة لهم ، بل اتخذوا هيراكنبوليس أولا ثم ممفيس بعد ذلك .

ودفنوا في مكان مدافن عائلاتهم القديمة في أبيدوس أو طينة ، واستمرت عادة الدفن في أبيدوس طيلة حكم الأسرتين الأولي والثانية .

ولم تبطل هذه العادة إلا عندما أصبحت إقامة الأهرامات العادة السائدة أيام فراعنة الأسرة الثالثة ثم بلغت ذروتها في الأسرة الرابعة .

وفي بلد يقدس الماضي والرجال العظام في الماضي نما شعور عام من التمجيد نحو البقعة المقدسة التي كانت بها مقابر أوائل الفراعنة التاريخيين للبلاد .

وقد ازداد بشكل ملحوظ هذا الشعور بالتدريج بتطور بعض التقاليد الدينية العظيمة التي سوف نشير إليها بعد قليل .

وتقع المدينة المزدوجة المعروفة باسم طينة وأبيدوس قرب قرية العرابة المدفونة ، وبعيداً عن هذه القرية إلي الشمال الغربي تقوم خرائب حرم أوزوريس محاطة بأسوار عالية من اللبن مع البركة المقدسة الواقعة إلي الغرب وخلف هذه البقايا من ناحية الصحراء يوجد الجزء الخاص بالدولة الوسطي من جبانة أبيدوس ، مع البقايا المهيبة للقلعة الكبيرة التي ترجع إلي العصر الأول للأسرات .

والمعروفة الآن باسم « شونة الزبيب » – ولا تزال أسوار هذه القلعة المتوغلة في القدم قائمة إلي ارتفاع يزيد علي الأربعين قدماً .

بينما تبلغ مساحتها حوالي ٤٠٠ × ٢٠٠ قدم – وهناك قلعة أخري قديمة تقع غير بعيدة عنها ، وهي الآن مستعملة كدير قبطي .

ويأتي بعدئذ في الترتيب – إذ نقترب من العرابة المدفونة – القسم الخاص بالدولة القديمة من الجبانة وخلفها معبد رمسيس الثاني .

وإلي الجهة الجنوبية يقع الأثر الذي أعطي للمكان شهرته عند السائح ، ألا وهو المعبد العظيم لسيتي الأول وبجواره جبانة الدولة الحديثة .

علي أن القسم الهام حقاً من الجبانة القديمة يقع إلي الجنوب الغربي من معبد سيتي وبينه وبين التلال الصحراوية ، فهنا يوجد تلان منخفضان لونهما يميل إلي الإحمرار .

وهما يتكونان علي الأخص من القطع المكسورة من الأواني الفخارية الموضوعة علي مقابر الملوك الأوائل لمصر والمقدمة كنذور بواسطة المتعبدين التقاة من الأجيال التالية .

وذلك لكي يربطوا أنفسهم عن طريق التقاديم الشخصية بعبادة أوزوريس إله الموتي والقيامة الذي كانوا يعتقدون أنه دفن هنا – هذه هي الجبانة المشهورة لفراعنة الأسرات الأولي في مصر والتي تعتبر من الوجهة التاريخية أهم بقعة في مصر .

ويقول بتري « إن الموضع قفر وساكن ، فحوله عن قرب ترتفع التلال علي الجانبين ، وهناك واد آخر يرتفع حتي الهضبة من الزاوية التي تلتقي فيها الخطوط الرئيسية ، وإلي أسفل علي مدي النظر يمتد وادي النيل الأخضر الطويل .

وخلفه علي بعد عشرات الأميال تتقهقر الجبال الشرقية إلي المسافة التي لا يحدها البصر » (المقابر الملكية – الجزء الأول ص ٤) [١] .

هنا في عام ١٨٩٧ بدأت بعثة المستكشف املينو حفائرها التي أسفرت عن اكتشاف المقابر الملكية للأسرتين الأولى والثانية ، وقد قوبل ما قال به املينو من أنه وجد في مقبرة الملك « جر » أحد الفراعنة الأوائل المقبرة الفعلية للإله أوزوريس بمعارضة عامة .

---

(١) (Petrie, Royal Tombs 1, P. 4) .

ولو أن هناك محاولة في العصر الحديث لدعم هذا الرأي ، وأخيراً أنهي هذه الحفائر التي كانت تسير خبط عشواء وبطريقة مشوشة [١] وغير منتظمة .

ولو أنه يجب ألا ننسي أنه قد قام بعمل هام وذلك بلفت نظر الجمهور إلي المقابر الملكية .

وقد أدار عمله بعد ذلك السير ، فلندر بتري ، الذي انتهي إلي نتائج علي أعظم جانب من الأهمية فيما يختص بمعلوماتنا عن ثقافة الأسرات الأولي في مصر [٢] .

ومنذ هذا التاريخ أصبحت جبانة أبيدوس مجالاً للحفائر التي قام بها الدكتور نافيل والأستاذ ت . ا . بيت .

وفي الوقت الذي كانت نتائج الحفر في هذا المكان عظيمة في نفسها وذات أهمية في معناها بدرجة كبيرة بالنسبة للحضارة القديمة في مصر يجب أن نقرر أن المكان ليس فيه ما يجذب إلا الذين يسمح لهم خيالهم أن يملأوا هذه الوحشة الجرداء بأشخاص من الماضي .

الذي يرجع إلي عصور موغلة في القدم إلي درجة لا يكاد المرء يصدقها . وفى منطقة أم العقاب (أم الجعاب) التي سميت كذلك لكثرة تراكم الفخار المكسور بها لا تستحق الزيارة من وجهة نظر السائح العادي ، وأهم المقابر الملكية فيها هى مقابر نعرمر وعحا وجر (وهو الذي سوف نشير إليه في مناسبة أخرى) .

ومقبرة خاستي بأرضيتها المصنوعة من الجرانيت ، ومقبرة خع سخموي التي تعتبر حجرتها الوسطي من الحجر من أقدم المباني الحجرية في العالم .

---

(١) تسببت حفائر « املينو » التى استمرت أربعة أعوام فى تحطيم وبعثرة الكثير من آثار ذلك العصـر ، إذ كانت تعوزه الخبرة والمران ، وكان يهدف من تنقيباته إلى الحصول قبل كل شىء على قطع أثرية ثمينة أو ذات قيمة نسبية ، كما نشر نتائج أبحاثه نشراً رديئاً غير دقيق .

(٢) نجح بترى فى خلال موسمين فى العثور على عدد وافر من الأوانى الحجرية والفخارية وأختام فخارية واللوحات الحجرية الضخمة والبطاقات الأبنوسية والعاجية الصغيرة ، تعرف على أصحابها من الملوك ويسرت له ترتيب ملوك الأسرة الأولى ترتيباً مبدئياً ، كما مكنته من تتبع التطور المعمارى للأبنية الجنائزية (المراجع) .

ولكن لا يوجد شيء من هذا ظاهر في الوقت الحاضر إذ إنها جميعاً غطيت بالأنقاض مرة ثانية ، ومن مكان ارتباطات أبيدوس بالملكية القديمة نتجه الآن نحو ارتباطاتها بالألوهية القديمة ولو أنه من الجائز أن الاثنين كانا جزءاً واحداً منذ البداية .

ولكن بقدر معلوماتنا الحالية فإن الإله الأول لطينة وأبيدوس كان الإله ابن آوي القديم « أوب واوات » أو « أبوات » الذي اشتق اسمه من « فاتح الطرق » .

ووظيفته كمرشد للموتى نتيجة لعادة ابن آوي الليلية في التجول بين الجبانات القائمة علي حافة الصحراء .

وكان لأوب واوات معبد أولي من اللبن في المكان الذي عرف فيما بعد باسم حرم أوزوريس ، ولكن كان مقدراً عليه أن يحل محله في وقت مبكر نسبياً آلهة أكثر منه أهمية .

وبقيام الأسرة الثالثة والتطور التدريجي في مختلف الآراء في عهدها انتهي استعمال أبيدوس كمدفن للملوك ، ولكن وجود تقليد ملكي للدفن بهذه العظمة وبهذا القدم ضمن للمكان مكانته لدي الجمهور كمركز رئيسي لعبادة إله الموتي .

ولقد أخذ مكان أوب واوات يشغل بالتدريج بإله آخر هو « خنتي امنتيو » أو « أول سكان الغرب » الذي كان له معبد في أبيدوس وهو المعبد الذي كان لخوفو باني الهرم الأكبر صلة به ، إذ وجد له هناك تمثال صغير من العاج .

علي أن سيادة خنتي امنتيو لم يكن مقدراً لها مع ذلك أن تستمر طويلا ، فلقد حل محلها بسرعة عبادة قدر لها أن تثبت نفسها كواحدة من العبادتين الشهيرتين في التاريخ المصري والتي بقيت خلال كل التاريخ الفرعوني كأعظم عبادة مميزة عن غيرها من العبادات المصرية .

تلك هي عبادة أوزوريس [١] التي كانت في الأصل متصلة بالدلتا ، وبالأخص بمدينة « تت » أو « دادو » وهي التي عرفها الإغريق باسم « بوزيريس » .

---

(١) صورت أسطورة إيزيس وأوزوريس انتصار الشر على الخير لفترة قصيرة حيث تصور الأخوين يختصمان مثل قابيل وهابيل حين قربا قرباناً إلى الله فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله – وفي هذه القصة صور انتصار الشر على الخير وكيف انهارت دولة الشر والظلم وانتصر الخير كما صورت كثيراً من الطباع البشرية من صور الحب والبغض والغدر والوفاء والقسوة والرحمة وعدم اليأس والسعي وراء الحقيقة وقوة الإيمان كما صورت كثيراً =

ولوأنه كان في الأصل إله الرعب فوق مملكة مخيفة إلا أنه استطاع أن يلقي عن نفسه تدريجياً شهرته المشئومة ويصبح موضوع رواية هامة تمثله كأول ملك لمصر وكمعلم لشعبها في كل الفنون النافعة .

ويبدو أنه كان من الطبيعي أن يقترن اسم أول ملك لمصر بالمكان الذي دفن فيه ملوك الأسرتين الأوليين ، وبهذا أصبح لعبادة أوزوريس مكان مقدس في أبيدوس .

وعندما اتسعت شعبيته توحد مع « خنتي امنتيو » ، وفي النهاية ابتلع كلية الإله الأقدم للموتي ، وحتي في عصر مبكر كعصر نصوص الأهرام نجده يأخذ لقب « أول سكان الغرب » .

(أسطورة إيزيس وأوزوريس)

والآن فإن أسطورة أوزوريس تنص علي أن الملك الخير قد قتل وقطع إرباً وأن بلاداً كثيرة في مصر تدعي شرف اعتبارها الأماكن المقدسة التي دفنت فيها أجزاء من جسم الإله الميت ، وقد ادعت أبيدوس أنها مكان دفن رأس أوزوريس .

وليس معروفاً بأي طريقة ما كيف اختيرت مقبرة الملك « جر » أحد ملوك الأسرة الأولي مدفناً لهذا الجزء المقدس .

= من حياة أبناء مصر فأزوريس هذا رمز النيل وإيزيس رمز لأرض الوطن وقد حارب أوزوريس الشر والغدر – وكان لإنتشار دعوة أوزوريس أثر كبير فى الاهتمام بأبيدوس التى أصبحت قبلة أنظار الناس جميعاً وعمل كل فرد على الحج إلى تلك الكعبة ليزور قبر الشهيد أوزوريس وتمنى أن يدفن بجواره – وأقام بعض الناس نصباً تذكارياً بالقرب من قبره – وتركوا آثاراً تشهد بتقديسهم وحبهم لهذا المكان وإلهه الطيب – وفى أيام معدودة يحج الناس إلى أبيدوس ويقيمون فيها حفلات وأعياداً ويذكرون كيف عاش أوزوريس وكيف يموت وكيف يبعث مرة أخرى واستمرت تلك العبادة فترة طويلة إلى ذلك المكان المقدس حتى أيام جستنيان بعد الميلاد – (٥٢٧ – ٥٦٥) الذى أمر بحرق دور العبادة بها وقتل الكهان – وبعد أن انقضت أيام آل فرعون ودخلت المسيحية مصر – بنى الأقباط بعض الأديرة والكنائس بأبيدوس وأقاموا فيها – ولا يزال أحد دور العبادة المسيحية ، «دير الست دميانه داخل بناء من اللبن من أيام الأسرة الثانية » وتشمل أبيدوس الآن القرى الآتية ، «الغابات » و« العرابة المدفونة » و« بنى منصور » (المراجع) .

ولكن هذا الادعاء قد اعترف به من الجميع في وقت مبكر يرجع علي الأقل إلي الأسرة الخامسة ، وغدت طينة معروفة لدي الكل باسم « أبدو » وهو « التل الذي يحمل شعار رأس – أوزوريس » .

وبهذا أمدت الإغريق بمرادف طبيعي للاسم الذي اشتهر لديهم وهو أبيدوس ، وماكادت تجيء الأسرة السادسة حتي أصبحت أمنية كل مصري ورع أن يدفن في أبيدوس في مكان أقرب ما يكون إلي مقبرة إله القيامة العظيم .

أما إذا استحال هذا أو إذا كان مكان الدفن قد أعد من قبل ، فإنه كان يحاول أن يضمن لجسده علي الأقل الحج إلي أبيدوس بعد وفاته حتي ينال القدسية والبركة التي تضفيها مثل هذه الزيارة لموطن أوزوريس .

وحتي لو تعذرت هذه الزيارة نظراً لبعض الظروف كان أفضل شيء يعمله هو أن يقيم لوحة تذكارية في جبانة أبيدوس حتي يبقي اسم الميت باستمرار بجوار الإله .

وأخيراً إن لم يكن في المقدور القيام بإحدي هذه الطرق كان من الممكن إضافة إناء تذكاري لهذا العدد الضخم الذي كان يتجمع باستمرار فوق المقابر الملكية في الجبانة وحولها .

ولقد عزز الفراعنة أنفسهم الشهرة التي نالتها أبيدوس والتي جعلت منها أقدس مكان في مصر وذلك علي الرغم من أنها لم تعد مكاناً لدفن الملوك ، ولقد أثبتت الحفائر أن كثيراً من ملوك الدولة القديمة قد أسهموا في توسيع المعبد الكبير داخل أسوار أوزوريس .

ولقد أصدر الملك نفر كارع من الأسرة الخامسة مرسوماً يعفي فيه كهنة هذا المكان من السخرة ، كما أضاف الكثير من ملوك الأسرة السادسة مباني وتحسينات إلي المباني القائمة ، وهم « بيبي الأول » و « مرنرع » و« بيبي الثاني » .

وهناك شاهد من أغرب الشواهد التي وصلت إلينا من العصر المضطرب الواقع



(شكل ١٠٥)

إيزيس ترضع الإله حورس (منظر من أبيدوس)

بين الدولتين القديمة والوسطي الذي يسمي عصر الانتقال الأول ، وهو يشهد علي مبلغ القداسة التي وصلت إليها أبيدوس [1] .

فوصية الملك خيتي الثاني من الأسرة التاسعة (أو أسرة هيراكليوبوليس) والمعروفة بنصائح مريكارع لا شك أنها حقيقية رغم أنها لم تصلنا إلا بواسطة بردية من الأسرة الثامنة عشرة (بردية بطرسبرج ١١١٦ أ) .

وتذكر هذه البردية من بين الموضوعات التي تتحدث عنها قصة الصراع الذي قام بين الفرعون القائم في هيراكليوبوليس أمير طيبة المدعو « واح - عنخ انتف - عا » بشأن الاستيلاء علي مدينة ثيس أو طيبة .

ففي أثناء هذا الصراع قام جنود هيراكليوبوليس بنهب المقابر الملكية في الجبانة ، ورغم أن خيتي لم يكن مذنباً ، إذ إنه سمع بهذا العمل الدنس فقط بعد وقوعه .

غير أنه تحمل بنفسه كل مسئولية هذا الوزر، وكان جزعه وندمه علي هذا لا

---

(١) أهم الآثار التى بقيت بمنطقة أبيدوس فى عصر الأسرة ١ ، ٢ (٣٢٠٠ - ٢٧٨٠ ق.م) القبور الملكية و « أم الجعاب » قبور الأشراف والمعبد القديم و « كوم السلطان » ، شونة الزبيب والحائط الذى يضم دير « الست دميانة » فى الناحية الغربية .

أما الدولة القديمة حوالى (٢٧٨٠ - ٢٢٨٠ ق.م) معابد الأوزوريون في وسط المنطقة ، أطلال بعض المنازل بين كوم السلطان وشونة الزبيب ، وجبانة من هذا العهد إلى الشمال من معبد رمسيس الثانى .

وفى عصر الدولة الوسطى (٢١٣٤ - ١٧٨٥ ق.م) حوائط بـ كوم السلطان إلى الشرق من شمال المنطقة وجبانة هذا العهد تقع إلى الغرب من كوم السلطان ، قبر سنوسرت الثالث يقع إلى الغرب ، وتمثاله ومعبده إلى الشرق من الجبانة الجنوبية - الأسرة ١٧ من (١٦٨٠ - ١٥٨٠ ق.م)

معبد أحموس الأول إلى الغرب وقبره كذلك وشكل هرمى لأحموس ومدينة أحموس تقع إلى الشرق من الجبانة الجنوبية - الأسرة ١٨ (١٥٨٠ - ١٣٤١ ق.م) .

آثار الملكة « تي شرى » فى الوسط من الجبانة الجنوبية وبعض أبنية فى كوم السلطان إلى الشرق من شمال المنطقة - الأسرة ١٩ (١٣٤١ - ١٢٠٠ ق.م) .

معبد رمسيس الأول إلي الشرق ، معبد سيتي الأول ومعبد رمسيس الثاني ، جبانة الأسرة ١٩ إلى الغرب من وسط المنطقة وبعض أبنية كوم السلطان - الأسرة ٢٠ وما بعدها - معبد رمسيس الرابع إلى الشمال من معبد رمسيس الثانى وبعض أبنية وكوم السلطان إلى الشرق من شمال المنطقة.

العهد المسيحى : دير الست دميانة إلى الغرب من شمال المنطقة (المراجع) .

حد لهما واعتبر أن المصائب التي حلت به كانت جزاء من الله علي مخالفته الطائشة .

وها هو ذا يقول لنفسه « أنظر إن خطباً عظيماً قد حدث في أيامي ولقد نهبت مناطق طينة – وقد حدث هذا بهدوء بحيث لم أعلم به إلا بعد وقوعه ، عليك أن تحترس من هذا ، فإن مصيبة كهذه جديرة بأن تكافأ بالمثل » .

وهو يشير إلي هذا التدنيس نفسه فيما بعد بقوله : « إن جيلا قد مر بين الناس حينما قرر الإله الذي يميز بين الأخلاق أن يخفي نفسه (أرمان – أدب قدماء المصريين – ترجمة بلا كمان – ص ٧٥ وما بعدها) [١] ويندر أن نجد شاهداً أقوي من هذا الأثر علي قدسية أبيدوس في عقلية المصريين .

ولقد قام آنتف الطيبي الذي أصبحت المدينة في حوزته بعد ذلك نتيجة للصراع الذي حدث بينه وبين أسرة هيراكليوبوليس بإضافات كبيرة في المعبد ، كما كرس معبداً آخر للإله « انحور » الإله المحلي .

كذلك حذا حذوه الملوك الذين تبعوه والمعروفين باسم منتوحتب من الأسرة الحادية عشرة ، وبقيام الأسرة الثانية عشرة طلع علي أبيدوس فجر عصر من الازدهار العظيم .

ولقد سبق أن رأينا (مثلا في مقبرة أميني ببني حسن) أنه كان ينظر إلي الرحلة إلي أبيدوس كنهاية ضرورية لحياة حاكم إقليم محلي عظيم .

ولقد قام أميني بما يؤكد قيام مومياه بالحج إلي أبيدوس ودادو (بوزوريس) التي كانت المكان الأول لعبادة أوزوريس في الدلتا .

وجاء سنوسرت الأول ليقيم مباني واسعة في الموقع مع قيامه بهدم مماثل لآثار أسلافه ، ولدينا نص لوزيره ورئيس أعماله المدعو منتوحتب يقول فيه :

« لقد قمت بأعمال في المعبد فبنيت بيته وحفرت البركة (المقدسة)

---

(١) (Erman, Liteture of the Ancient Egyptient, Trans. Blackman, PP. 75, seq.).

وأقمت البئر وذلك بأمر جلالة الحورس ، وقد ذكر أيضاً أنه بني مركباً مقدساً لأوزوريس .

وقام بعمل موائد قربان من اللازورد والبرونز والاكتروم (خليط من الذهب والفضة) وبالاختصار فقد أمد أوزوريس ومعبده ، بأفضل ما يقدم لإله في مواكبه ، وذلك عن طريق وظيفتي كرئيس للأشياء السرية ، ، وفي عهد أمنمحات الثاني نلتقي بنص خاص بموظف اسمة ، خنتي ام سمتي ، وهو الذي أرسل ليفتش علي معابد البلاد ، وقد أراد أن يجمع بين واجباته وبين حرصه علي صالحه في الآخرة بقيامه بزيارة خاصة لأبيدوس .

وفي هذا يقول : ، لقد رسوت في أبيدوس وأثبت اسمي في المكان الذي يوجد فيه الإله أوزوريس أول سكان الغرب وسيد الأبدية وحاكم الغرب الذي يهرع إليه الجميع طمعاً في نفعه حتي آكل خبزه وانطلق خارجاً في أثناء النهار ، (١) .

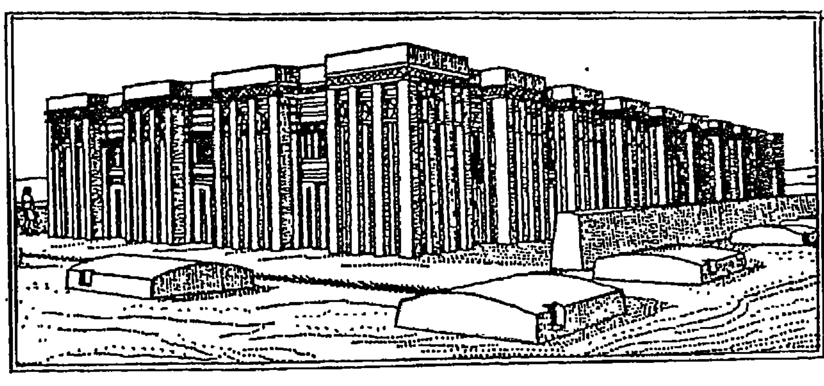
ولقد كان لسنوسرت الثالث وهو المحارب الشهير في الدولة الوسطي هرمه في دهشور ، ولكنه صمم أن يبني لنفسه مزاراً في أبيدوس حيث نحت مقبرة صخرية من الجائز أن جسمه بقي فيها فترة من الزمن قبل أن يدفن في هرمه .

أما الموظفان اللذان أرسلهما ليشرفا علي العمل ولكي يزينا له معبد أوزوريس بالذهب الذي استولي عليه في حملته علي النوبة وبتمثال جديد للإله ، فكانا ، ايخرنفرت ، و، سي ساتت ، وهما اللذان تركا لنا لحسن الحظ تسجيلا لأعمالهما .

ولقد سافرا معاً ، ولكن كلا منهما وصف عمله مستقلا عن الآخر ، ولقد اكتفي ، سي ساتت ، بسرد الخبر البسيط : ، لقد جئت إلي أبيدوس مع رئيس الخزائن ايخر نفرت لنحت تمثال لأوزوريس رب أبيدوس ، .

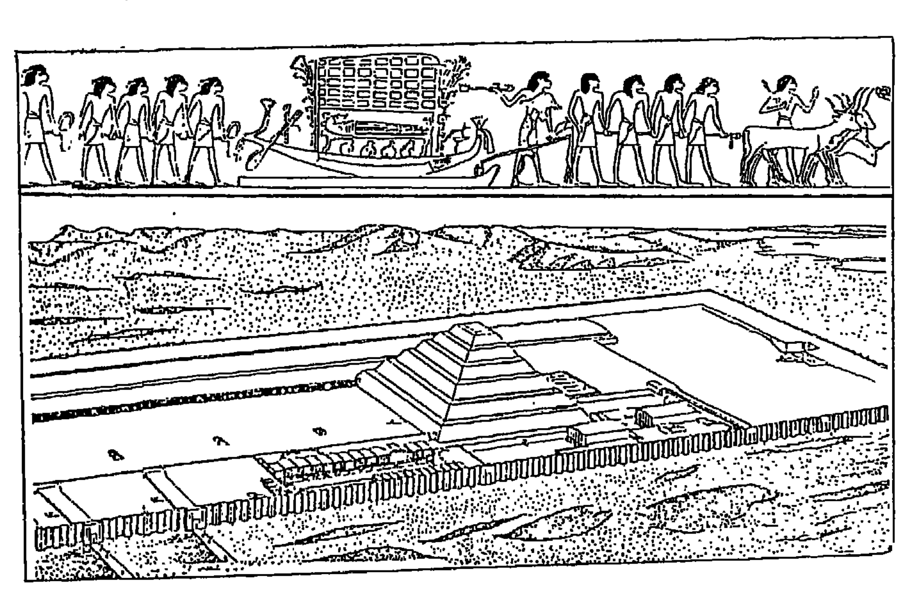
علي أن ما تركه ايخر نفرت كان أكثر إسهاباً ، فلقد كلف بالسفر جنوباً إلي أبيدوس وكما يقول : ، لكي أقيم آثارا لأبي (أي أب سنوسرت) أوزوريس رئيس أهل

(١) كانت أمنية المصرى القديم بعد وفاته أن يستطيع الخروج فى النهار ليرى الحياة بفضل أوزوريس وبجوار أبيدوس مكانه المقدس .



(شكل رقم ١٠٦)

منظر من مقابر العصر العتيق في « أبيدوس ، حيث يرقد الجسد في غرفة تحتل موقعاً مركزياً تحت البناء العلوي بينما تتجمع حولها غرف أصغر حجماً تحتوي علي المؤن والمومياوات من الخدم والأمراء والذين ماتوا أثناء موكب الدفن ليلتحقوا بسيدهم ويصطحبوه في مقبرته ، ثم اختفت هذه العادة في وقت مبكر



(شكل رقم ١٠٧)

صف طويل من الخدم يحملون مومياء المتوفي إلي المقبرة تجرها الثيران في مركب جنائزي ، وفي أسفل الصورة البناء الذي استحدثه الملك (زوسر) بين الأسرة الثالثة وكانت لهذا الملك مقبرة حجرية ضخمة بني فوقها خمس مصاطب أخري تتناقص تدريجياً في الحجم ليأخذ الشكل العام للبناء الفخم في أبيدوس

الغرب ، ولأزين مكانه السري بالذهب الذي رأي جلالته إحضاره من النوبة العليا في ظفره وغلبته » .

وهو يقص علينا في سرور كبير « كيف قام بواجباته « وكيف تصرف كابن محبوب من أجل أوزوريس رئيس أهل الغرب .

وكيف علم كهنة أبيدوس – الذين لابد أنهم اعتبروه مصدراً لإقلاق راحتهم – بالأعمال الموكولة إليهم .

علي أن الحدث الهام في زيارته كان دون شك تمثيل الرواية المؤلمة التي تمثل صراع الإله مع أعدائه ثم انتصاره عليهم في النهاية .

وفي هذه التمثيلية التي تضم معركة هزلية بين أبطال الإله والأبطال المنتسبين إلي أعدائه قام « ايخر نفرت » بدوره بحماس لاحد له ، إذ كان ولا شك في حالة معنوية عالية لأنه كان يعتقد أنه يمثل فعلا الإله الطيب (فرعون) في إحدي الوظائف الدينية العالية الموكولة اليه والخاصة بواحد من أعظم الآلهة العظماء .

ويعتبر وصفه للأحداث المتباينة في الرواية المؤلمة أحد المستندات الثمينة في دراسة ديانة أوزوريس – هذا وقد استمرت أبيدوس موضع حظوة كبيرة إبان حكم بقية ملوك الأسرة الثانية عشر .

وخلال الاضطرابات والمشاحنات التي حدثت في عصر الانتقال الثاني تعرضت المدينة لأوقات عصيبة ، إذ نجد الملك المغتصب « نفرحتب » قد اضطر إلي أن يقوم بإصلاح كامل للتماثيل ولكل المستلزمات الخاصة بعبادة أوزوريس .

وقد قام بذلك بكل حماس ، إذ كان هو نفسه ابن كاهن ، ولقد كان متحفظاً غاية التحفظ في إصلاحاته فلم يفعل شيئاً إلا ولديه ما يبرره في « ملفات بيت أوزوريس ، سيد أهل الغرب ، ورب أبيدوس » .

ولقد شرف فرعون أبيدوس بحضوره بنفسه إلي المدينة وبمشاركته شخصياً في المسرحية الخاصة بآلام أوزوريس ، وإننا نعلم أن الإجراءات التي اتخدها – لإيقاف الفساد الذي عم كل شيء في مصر – لم تكن مجدية ، وذلك من مستند من عصر ملك آخر مغتصب .

وهو والملك ، خنجر ، وفيه يتحدث إلينا الكاهن ، امني سنب ، كيف أنه كلف بواجب القيام بتنظيف وترميم الأشياء والتماثيل والمعابد في أبيدوس ، وكيف أنه كوفيء علي عمله بإعطائه الربع الخلفي لثور ، والمركز الدائم لمفتش في المعبد .

ومن الطبيعي أن تشارك أبيدوس [١] في الرخاء الذي حل بالبلاد بطرد الهكسوس وبالتوسع التالي لأملاك مصر .

ولقد ترك كل فراعنة الأسرة الثامنة عشر تقريباً الدليل الكافى في هذا المكان علي اهتمامهم بمعبد الإله ، الذي أصبحت عبادته إحدي العبادتين الكبيرتين في البلاد .

ولقد كان لآمون رع بطبيعة الحال نصيب الأسد من الأشياء الطيبة باعتبار أنه إله مدينة طيبة ، ولكن أوزوريس استمر يتمتع بقسط كبير من الاهتمام والولاء لمعبده .

وقام تحتمس الثالث علي الأخص بقسط كبير من العمل الجديد والترميم في هذا

---

(١) أبيدوس : أبيدوس مدينة تقع بين أسيوط وطيبة وبها كثيراً من المعابد ومقابر الملوك والقبور الأخرى - ويرجع تاريخها إلى أقدم العصور ولا تزال تجذب إليها كثيراً من الزائرين نظراً للنقوش البارزة بالمعبدين العظيمين ، معبد سيتى الأول ، معبد رمسيس الثانى ، حيث تتجلى فيهما عجائب النحت والألوان - وترجع أهمية أبيدوس إلى أوائل التاريخ - فقد أقام فيها ملوك العصر (الثينى) جباناتهم على الجبل الصخرى الضخم الممتد أمام الضفة الغربية الصخرية .

وكانت هيبة هذه المدينة عظيمة دائماً بمجرد النطق باسمها ليعيد إلى الأذهان أسطورة أوزوريس وإيزيس وست - (حارس الحياة الأبدية) وإن كانت عبادته لم تظهر إلا فى فترات متأخرة خلال الأسرة الخامسة ، وكان الحج إلى أبيدوس جزءاً هاماً من الحياة الدينية حيث تمجده وتخلد ذكراه على أنه أحد الأعياد العظمى لتلك الدولة ، وكان كهنة أوزوريس يحملون تماثيل الملوك على أكتافهم بعد تزيينه بالحلى الثمينة ويذهبون به إلى القبر ، كما كانوا يمثلون قصة انتصار أوزوريس على الشر وينشدون التراتيل الجنائزية بينما يدفنون تمثالاً بشكل المومياء تبعاً لطقس سرى وهكذا كانت أبيدوس ملتقى جمع غفير من الناس أحياءاً وأمواتاً ما بين الحجاج القادمين ليبكوا علي سيدهم وأرواح الموتى التى كانت تأتى بقوة السحر فى قوارب أعطيت لها لهذا الغرض ، والملوك أمثال سيتى أو رمسيس الذين أقاموا معابد جميلة في أبيدوس للعبادة - والنبلاء الذين بنوا قبورهم أو معابدهم الصغيرة قرب المعبد الأكبر - وعامة الشعب الذين رقدوا فى حفرة على حافة الصحراء والأسرات العديدة التى رسمت صور أفرادها على لوحات حجرية صغيرة تيمناً بهذا المكان المقدس (المراجع) .

المكان ، كما أوقف تحتمس الرابع أراضي واسعة علي المعبد وخصص له الذبائح لتصير دخلاً ثابتاً له من ذبائح الحيوانات والطيور .

علي أنه بقيام الأسرة التاسعة عشرة بلغت أبيدوس الذروة في قوتها وثروتها ، فلقد كرس رمسيس الأول وسيتي الأول ورمسيس الثاني أنفسهم بكل نشاط لإعلاء شأن أوزوريس في معبده العظيم وسوف نري الآن كيف كانت مساهمة سيتي الأول وعلي الأخص ابنه رمسيس الثاني عظيمة لتحقيق مفاخر المدينة المقدسة .

وفي الواقع أنه منذ هذا الوقت أصبحت أسطورة أوزوريس شائعة تماما كأحد مظاهر الديانة المصرية ، وأصبح هذا المظهر هو الذي يروق للعالم بوجه عام علي اعتبار أنه الشيء المصري المميز في المجموع العام للعقيدة المصرية .

ولقد أصبح « أوب واوات » ، « وخنتي أمنتيو » و« أون نفر » وجميع الآلهة الأخري للموتي وللعالم الآخر موحدة في أوزوريس أو من أتباعه المتواضعين .

ومن هذا الوقت حتي نهاية الديانة المصرية كعقيدة حية كانت سيادة الإله لا مجال للتساؤل فيها بدرجة أن أصبحت العادة أن يعرف به كل ميت ، وأصبح التحدث عن « أوزوريس (فلان) ، كما نتحدث اليوم عن « المرحوم (فلان) » .

ومن الطبيعي أن التأخر الذي حل بمصر قد أدي إلي هبوط مقدار العطايا الملكية لمعبد أوزوريس كما أدي إلي هبوطه لجميع المعابد الأخري في أنحاء البلاد ، وذلك علي الرغم من أن رمسيس الثالث قد فعل الكثير لهذا المكان .

ويبدو أنه في أثناء حكم أحمس الثاني من الأسرة السادسة والعشرين كان الحاكم المحلي مغتصباً لمقتنيات المعبد ، لهذا أرسل فرعون رئيس أطبائه الذي يحتمل أنه كان كاهناً أيضاً ليضع الأمور في نصابها .

ويحدثنا الطبيب القدير المدعو « بف نف دي نيت » في نص علي تمثال له موجود الآن بمتحف اللوفر كيف قام بالمأمورية التي وكلت إليه فصادر مقتنيات الحاكم المحلي المعتدي « وذلك لأن أوزوريس كان يرغب في أن تمون مدينته » .

وقد أنهي « بف نف دي نيت » أعماله بأن اشترك في مسرحية الآلام كما قام بذلك « ايخر نفرت » قبله بثلاثة عشر قرناً .

ويمكن أن يقال أن مجد أبيـــدوس قد انمحي تماماً بعد ما سجله ، بف نف دي نيت ، ، وذلك علي الرغم من أن الملكين نقطانبـو الأول والثـاني قـد قـامـا ببـعض الأعمال هناك .

ولقد وجدت عبادة أوزوريس طريقها إلي أماكن أخري ، ورسخت أقدامها أيام حكم البطالمة والرومان في فيلة ، وحل الانحلال والدمار بالمعابد التي كانت يوماً ما زاهية وفي أعظم مكان مقدس لها في الأرض .

ولم تعد اليد الدنسة للصوص المقابر تتورع عن الاعتداء علي قدسية المقابر الملكية في مخبئها المنعزل في الجبال .

وأخيراً في أيام الرومان انحدر مركز الإله الذي كان يوماً من الأيام عالياً إلي المركز الذليل باعتبار أنه مجرد زوج الإلهة إيزيس التي استطاعت شعبيتها أن تجرف شعبيته تماماً .

وكان مظهره الأخير تكراراً لظهوره الأول في الديانة المصرية ، فكما بدأ كإله خطر ومخيف انتهي به الأمر إلي أن يكون شيطاناً رجيماً .

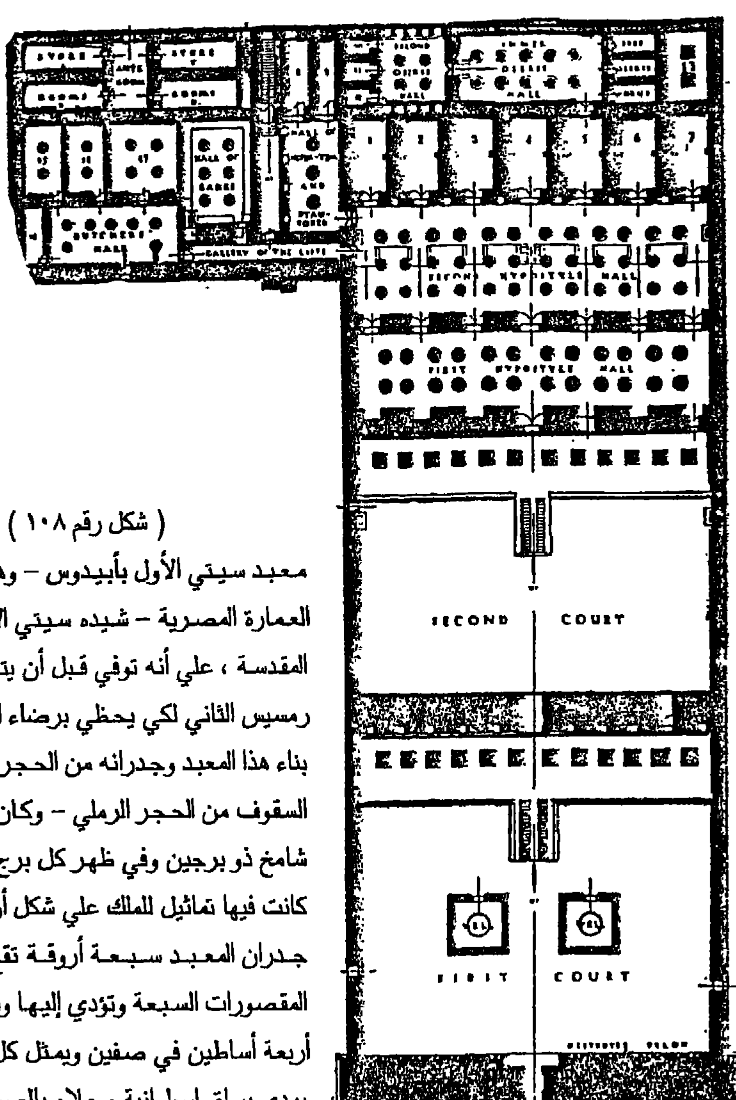
معبد سيتى الأول

يعتبر المعبد الفخم الذي أقامه سيتي الأول وأكمله ابنه رمسيس الثاني المظهر الرئيسي المهم الباقي بأبيدوس ، ومعبد أبيدوس هو أول معبد مصري تقابله في مصر يكاد يكون تاماً .

فمعابد الدلتا قد دمرت وهدمت تماماً بحيث بقي منها في أكثر الحالات مالا يزيد علي تخطيط أساساتها ، لهذا فإن من واجبنا أن نذكر من البداية أن معبد أبيدوس علي الرغم من أنه واحد من أجمل المعابد المصرية - فإنه لا يتفق بحال من الأحوال مع الشكل العادي للمعبد المصري .

ويبدو أنه من العسير التحدث عن النظام العادي للمعبد المصري ، فالتصميم الأصلي في معظم الأحيان يضاف إليه الكثير ، وتتناوله التغييرات بكثرة وتجعل منه بناء لا يتفق مع أي طراز موحد .

بل أقرب ما يكون إلي مجموعة من أبنية مقدسة جمعت دون وحدة في



(شكل رقم ١٠٨)

معبد سيتي الأول بأبيدوس – وهو أحد مفاخر العمارة المصرية – شيده سيتي الأول في المدينة المقدسة ، علي أنه توفي قبل أن يتمه فأكمله ابنه رمسيس الثاني لكي يحظي برضاء الآلهة – ومعظم بناء هذا المعبد وجدرانه من الحجر الجيري وأغلب السقوف من الحجر الرملي – وكان يتقدمه صرح شامخ ذو برجين وفي ظهر كل برج سبع مشكاوات كانت فيها تماثيل للملك علي شكل أوزوريس ويتخلل جدران المعبد سبعة أروقة تقع علي محاور المقصورات السبعة وتؤدي إليها ويتخلل كل رواق أربعة أساطين في صفين ويمثل كل أسطون حزمة بردي بساق اسطوانية محلاه بالصور والنقوش وفي الجدار الخلفي سبعة أبواب تؤدي إلي بهو ثان علي شكل البهو الأول أكثر عمقاً .

التخطيط أو التنسيق المعماري ، هذا هو أحد العيوب الكبيرة في المعمار المصري الذي استمر منذ البداية حتي النهاية في عصر الأسرات .

وهو أقرب ما يكون إلي معمار (يقيمه طفل بواسطة صندوق من اللبن) ، ومع ذلك فإن هناك في صميم التصميم المصري للمعبد شكلا معيناً واضح التحديد وتتوافر فيه بعض احتياجات معينة يمكن ملاحظتها رغم هذا التشويش الذي أوجدته العصور والأساليب المختلفة .

وذلك حتي في المعابد العظيمة التي قامت بعملها الفراعنة العظام مثل معبدي الأقصر والكرنك ، ولو أنه يمكن رؤية ذلك بوضوح تام فقط في معابد العصر البطلمي وما بعده مثل معبدي أدفو ودندرة ، أو في المباني الصغيرة الفرعونية مثل معبدي خنسو ورمسيس الثالث بطيبة .

والشكل العادي للمعبد المصري إن صح لنا أن نسميه كذلك يتكون من الصرح ببرجيه والبوابة الكبيرة بينهما ، ثم صالة بها بواك ذات أعمدة جانبية وهي التي تسمي بالفناء .

ثم صالة ثانية ذات أعمدة وفيها ترص الأعمدة ، وبينها ممر أوسط وممرات جانبية وهي التي تسمي ببهو الأعمدة .

وهيكل قد يشمل مقصورة واحدة أو عدة مقاصير ويحيط به في العادة من الجانبين حجرات تخصص لحفظ الأواني والأدوات الخاصة بالطقوس . ونظام هذه الصالات المتعاقبة يسير في محور واحد في خط مستقيم .

علي أن معبد أبيدوس يختلف عن هذا النظام بطريقة غير عادية ، فبدلا من هيكل واحد أو هيكل ثلاثي لثالوث إلهي ، فإنه يحوي مالا يقل عن سبع مقاصير تتوسطها مقصورة آمون رع .

وعلي جانبها الغربي مقاصير الثالوث الأوزيري المكون من أوزوريس وإيزيس وحورس ، وعلي جانبها الشرقي توجد مقاصير حور آختي (حار ماخيس) وبتاح والفرعون سيتي الأول نفسه .

وقد رتبت المسافات بين الأعمدة والجدران الفاصلة في صالتي الأعمدة اللتين تسبقان المقاصير بحيث يمكن الوصول إلي كل مقصورة من الخارج .

ولا توجد حجرات تحيط بالهيا كل كما هو حادث في بعض الحالات الأخري ، ولكن وراءها توجد مجموعة أخري من الحجرات مكرسة لأوزوريس مع مجموعة أخري من المقاصير مخصصة لأوزوريس وإيزيس وحورس .

وهنا نجد اختلافاً ملحوظاً عن النظام المصري العادي ، فلقد كان من الطبيعي أن يمتد المبني مسافة أخري إلي الخلف علي نفس خط المحور الرئيسي ، ولكن هذا لم يحدث .

بل حدث بدلا من ذلك أن قام مهندسو سيتي بإقامة بقية مبانيهم في زاوية قائمة مع المحور الأصلي ، وأضافوا مقصورة لإله الموتي سوكر مع مقاصير لنفر توم وسوكر وصالات وممرات أخري عديدة [١] .

والسبب في تغيير مجري المحور غير واضح ، ولكن السيد « ويجال » قد عزى ذلك إلي عدم وجود أساسات متينة وثابتة .

ولكن وجود المبني التذكاري الجميل لسيتي الذي لم يكتشف إلا حديثاً والذي لم يكشف إلا عن جزء منه عندما كتب هذا الرأي قد دل علي أن التغيير لم يكن بسبب الأساسات ، ولكنه بسبب آخر أكثر أهمية يتصل بالعقائد الدينية .

وقد لا يكون المبني التذكاري كما يعتقد الدكتور نافيل هو الأوزيريون بعينه ، ولكن من الواضح أنه كان يشغل مكاناً له اعتباره في القدسية المتناهية ، ومن المحتمل أنه كانت له صلة بالنبع المقدس الذي ذكره استرابون في وصفه لأبيدوس .

ولقد يكون هذا هو السبب الذي أدي إلي قرار مهندسي سيتي بأن يغيروا محور

---

(١) فى عام ١٩٥٥ كشف الأستاذ إدوارد غزولى كبير مفتشى آثار مصر الوسطى وقتئذ عن قصر للملك سيتى الأول فى الجانب الجنوبى من معبده ، ويضم القصر بهو استقبال مبنى باللبن عبارة عن صالة مستطيلة الشكل بطول ١٦ متراً وعرض ٥٠ر١٣ متراً ومخازن على شكل حجرات مستطيلة مبنية باللبن أيضاً ذات أسقف مقبية ، ويبلغ طول كل حجرة حوالى ٥٠ر٣٧ متراً ويتراوح عرضها بين ستة وثلاثة أمتار ونصف .

وكذلك أسفرت أعمال التنظيف التى أجراها أمام الصرح الأول للمعبد عن كشف شرفة مبنية باللبن ٣٠ر٧ من المتر وارتفاع حوالى ٣٠ر٤ من المتر وبعض شواهد من الحجر الجيرى من العصر الصاوى والعصر اليونانى والرومانى .

وقد نشر عن هذا الكشف مقالاً فى العدد رقم ٥٨ من حوليات مصلحة الآثار سنة (١٩٦٤) .

المعبد حتي يتركوا المكان الواقع خلف الهياكل خالياً حتي تقام فيه المباني الواقعة تحت الأرض والخاصة بالنصب التذكاري الملكي .

وليس بسبب مسألة الأساسات غير الثابتة ، ولم يكمل سيتي المبني لوفاته ، وقد قام رمسيس الثانى بتكملته متبعاً طريقته المعتادة في الحصول على مجد لشخصه يسلبه حتى من أبيه سيتى الأول وينسبه لنفسه .

ومدخل المعبد من الجهة الشمالية الشرقية ، ويلاحظ أن صرح المعبد متهدم ، كما أن الفناء الأول تام التخريب تقريباً ، وبحائطه الجنوبي الشرقى نشاهد نقوش لرمسيس الثانى تمثل حروبه وانتصاراته .

وفى نهاية هذا الفناء ممر منحدر يؤدى إلى صف واحد من الأعمدة المربعة ، وهى التي كانت قائمة أمام الصرح ذي الفتحات الثلاث التي تسمح بالدخول إلي الفناء الثاني ، وعلي ظهر هذا الصرح تستمر نقوش رمسيس .

أما الفناء الثانى فهو أيضاً مخرب جداً ولو أن حالة التخريب فيه تقل عما هو واقع بالفناء الأول وببقايا الجدران بعض النقوش والكتابات الخاصة برمسيس الثانى ، وعند نهاية هذا الفناء ممر آخر قليل الإنحدار يؤدى إلى شرفة شبيهة بشرفة الفناء الأول .

وقد زينت باثنى عشر عموداً مربعاً تقوم أبدانها المصنوعة من الحجر الجيرى على قواعد من الحجر الرملي ، أما النقوش الموجودة على هذه الأعمدة فتمثل رمسيس الثانى تعانقه الآلهة المختلفة .

وكان بالجدار الواقع خلف هذه الأعمدة سبع فتحات مقابلة للهياكل السبعة الموجودة فى نهاية المعبد ، غير أن رمسيس الثانى أغلق ستاً منها تاركاً الفتحة الوسطى فقط كمدخل رئيسى إلى الحجرات الداخلية للمعبد .

ويوجد إلى اليسار مباشرة من المدخل الرئيسي منظر آخر يمثل رمسيس الثانى وهو يقدم ريشة الحق لأوزوريس وإيزيس وسيتي الأول .

وإلى اليمين أو في الجهة الغربية يظهر رمسيس في مناظر مختلفة مع الآلهة ،



(شكل رقم ١٠٩)
الملك سيتي الأول يبخر ويصب الماء الطهور علي زهور اللوتس أمام الإله سكر
(وهذا المنظر منقوش علي معبده بأبيدوس)



(شكل رقم ١١٠)

نقش جداري بمعبد أبيدوس في عهد سيتي الأول وتم استكماله في عهد ابنه رمسيس الثاني وتظهر فيد الوجه البحري والوجه القبلي تقومان بتتويج الملك سيتي الأول علي عرش مصر (معبد أبيدوس

بينما نشاهده على الحائط الغربى من الشرفة وهو يقوم بذبح الأُسرى الآسيويين أمام الإله آمون .

وعلي الجانب الأيسر من المدخل بين رسم رمسيس والحائط الشرقى للشرفة كتابة طويلة تتكون من ٩٥ سطراً رأسياً يصف فيها رمسيس بفخر كبير تدينه وتقواه التي أثبتها بترميم معبد والده سيتي .

كما يصف الحالة التعسة التى وجده عليها ، ولقد يكون من المستحسن أن نقدم صورة من حالة المعبد الذي لم تتم إقامته : « ها هو ذا معبد « من ماعت رع »- (سيتي الأول) ، واجهته ونهايته كانتا في طريق التنفيذ عندما صعد إلي السماء ، فمبانيه لم تكن قد أكملت .

وأعمدته لم تكن قد أقيمت علي قواعدها ، وتمثاله ملقي علي الأرض فلم يكن قد شكل حسب مواصفات بيت المال الخاصة به وكانت التقدمات الإلهية قد توقفت .

وكذلك الخدمة الدينية ، وقد أخذ منه ما أحضر من الأراضي المخصصة له ولم « تكن حدودها قد ثبتت فيها » .

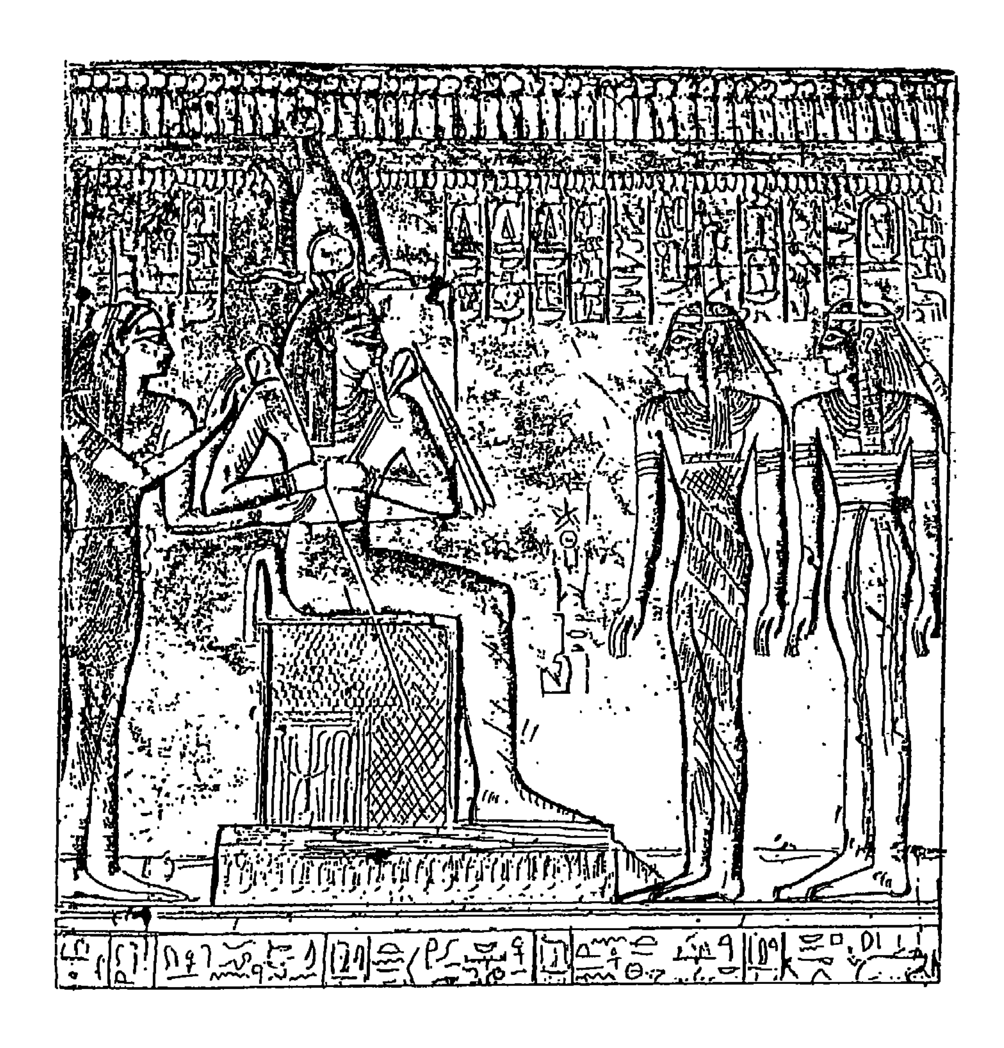
ولنا أن نتساءل إن كانت الأمور علي تلك الحالة من السوء كما صورها رمسيس ، فلقد كان يهدف إلي أن يجعل أمر استحقاقه واستيلاءه لعمله المتصف بالتقوي أوضح ما يكون .

وعلي أية حال فإنه يمكن ولا شك أن نستنتج من النص مصير التقاديم الملكية بمجرد موت الفرعون الذي قد رتب أمرها .

ويظهر أنه خلال جيل كانت رغبات أي فرعون تكون قوية وخيرة مثل سيتي الأول ، وتعتبر كأنها كتاب مهمل .

علي أن ابنه الجدير بالاعتبار قد عمل كعادته علي أن ينسب ما أمكن من الفضل لنفسه سواء في هذا العالم أو في العالم الآخر وذلك بمجرد ترميمه لعمل أبيه ، والكتابة كلها جديرة بأن تقرأ كمثال لأنانيته وغطرسته .

ولمعبد أبيدوس صالتان للأعمدة بدلا من واحدة وإذا دخلنا الآن في أولاهما وهي حجرة فخمة تبلغ ١٧١ × ٣٦ قدماً نري أن الجانب الأكبر منها يمتد من الشرق إلي الغرب .



(شكل رقم ١١١)

منظر يمثل الإله ، أوزوريس ، علي عرشه وخلفه الإلهة ، إيزيس ، ويقف أمامه الإلهتين ، ماعت ورنيت ، معبد سيتي الأول بأبيدوس

وإذا نظرنا إليها من أقصي الطرف الشرقي أو الغربي يبدو منظرها جميلا جداً ، وكان سقف هذه الصالة المتهدم جزء منه الآن مستنداً علي أربعة وعشرين عموداً مستديراً تعلوها تيجان علي شكل براعم البردي .

وقد صفت بحيث يبدو الممر الموصل لمدخل كل هيكل من هياكلها السبعة محاطاً بزوجين من الأعمدة باستثناء الممر الأقصي علي كل من الجانبين إذ يقع علي جانبه بطبيعة الحال الحائط الخارجي للصالة .

والطريقة التي اتبعت في ترتيب النقوش هي أن أعمدة كل ممر قد زينت بنقوش تمثل رمسيس في حضرة الإله الذي يؤدي الممر إلي مقصورته .

وعلي ذلك فإن النقوش الموجودة في ممر آمون تظهر الملك مع آمون وموت وخنسو وهو الثالوث الإلهي لطيبة ، بينما النقوش الموجودة بممر بتاح تمثله في حضرة بتاح وسخمت ونفرتوم .

علي أنه مما يجب ملاحظته أن النقوش في هذه الصالة لا تستحق بحال من الأحوال الاهتمام والإعجاب الذي تستحقه نقوش سيتي الأول في الصالة التالية .

فجميعها نقوش غائرة وهي غير متقنة وبشعة إذا ما قورنت بالنقوش الجميلة المتقنة والبارزة بروزاً خفيفاً والتي ترجع إلي الملك السابق سيتى الأول .

ولهذا فليس من الضروري أن نصف المناظر بالتفصيل ، علي أنه يمكن استثناء نقوش الجدران التي يمثل فيها رمسيس وهو يظهر بواسطة تحوت وحوريس ، بينما يقدم له أوب واوات وحورس علامة الحياة .

في حين تقف حاتحور إلهة دندرة وراء أوب واوات لتقدم إلي أوزوريس المتربع علي عرشه – والذي تقف خلفه إيزيس وحورس – صندوقاً به ملفات البردي علي شكل عمود يتوجه رأس صقر ويرفعه ملك راكع .

وهذه المناظر باعتبار أنها رسوم غائرة لها بعض المزايا وتعتبر عملا أكثر إتقاناً من الأعمال الأخري .

والحائط الخلفي لبهو الأعمدة الأول ما زال محتفظاً بمداخله السبعة التي تؤدي إلي بهو الأعمدة الثاني ، ويسند سقف هذا البهو الأخير ستة وثلاثون عموداً موزعة علي ثلاثة صفوف .

والصـفان الأول والثـانى منهـا من طراز براعم البـردي ، أمـا الصف الثـالث فيتكون من أعمدة مستديرة دون تيجان ، وعلي رأس كل منها قطعة مستطيلة ترتكز عليها الأعتاب .

ويقوم هذا الصف من الأعمدة علي سطح مرتفع يمكن منه الدخول إلي الهياكل السبعة ، وتتميز النقوش الموجودة في هذا البهو وبخاصة ما كان منها علي الحائط الغربي الموجود علي اليمين بجمال فائق وهي هامة وبخاصة لدارس الفن المصري .

إذ إنها تكاد تمثل آخر ازدهار في الدولة الحديثة الذي كـان يتدهور في بطء - فالنحت في عصر الدولة الحديثة الذي كان ما زال قوياً وحيا تحت حكم تحتمس الثالث وحتشبسوت ، قد ظهر فيه بعدهما بعض علامات النضوج الزائدة والرغبة في إبراز طرز أكثر رقة وترفاً قد يكون السبب فيها التأثيرات السورية التي أدخلت علي البلاد نتيجة لانتصارات تحتمس الثالث وابنه أمنوفيس الثاني في آسيا .

وقد استمرت هذه الرقة في الطرز ظاهرة خلال حكم تحتمس الرابع وأمنوفيس الثالث دون أن يعتريها أى تدهور فى مستوى الفن أو الصناعة .

ولقد صاحب الثورة الدينية لإخناتون كـما رأينا في تل العمارنـة لون من الفن قوي في مميزاته ، وهو الذي استغل كل النعومة والحرية الجديدة في التصوير الذي نما خلال العصر السابق والذي مضي بـه إلي درجة متطرفة أصبحت في بعض الأحيان بشعة .

وبسقوط عبادة آتون جاء أيضاً سقوط فن العمارنة ، فتطرفه وبشاعته قد أخافتا الفنان المصري المحـافظ والسائر علي نسق واحد ، وأعمتاه عن المزايا غير المشكوك فيها والمستترة وراء هذا الفن .

ولقد عاد الفن في عهد حور محب والفراعنة الأوائل للأسرة التاسعة عشرة إلي مثله وعاداته القديمة ، إلا أن النعومـة التي كانت قد بدأت فعلاً للقضاء علي قوته ووقاره أصبحت الآن أكثر وضوحاً بعد الصدمة التي صادفتها ديانة آتون ، ومع ذلك ففن الأسرة التاسعة عشرة بقي جميلا ، وقد يكون في بعض الأحيان أجمل منه في أي عصر سابق ولكنه بدأ يفقد نشاطه وقوته .

ومع أن الجمال الذي تعجب به في النقوش البارزة لسيتي الأول هنا وفي غير هذا المكان يحمل في طياته شوائب التدهور القادم ، فرقته هي رقة المرض .

وهذا التدهور يمكن تتبعه في أعمال رمسيس الثاني بن سيتي الأول ولو أنه لا يزال يوجد معين من العمل الفني المثير للإعجاب ، ولكن منذ هذا الوقت يسير التدهور بسرعة ويزداد مع الزمن .

ولكننا في أبيدوس نجد أنفسنا في نقطة البداية لمرحلة التأخر ، ولو أنه يبدو أننا نبتعد عن الحقيقة إذا فرضنا وجود هذا التدهور في مثل هذه الأعمال الجميلة التي نجدها هنا .

وما لا يمكن أن نخطئه هنا هو ذلك الشعور العام بالاسترخاء الذي يتمثل في أشخاص هذه الرسوم الجميلة فآلهة وإلاهات أبيدوس تبدو غير متحركة .

وليس هذا بسبب أنها قد شكلت طبقاً للقواعد المرعية للنحت المصري ولكن بسبب أنها تبدو أضعف من أن تحرك أطرافها الهزيلة ، علي أنها مع ذلك جميلة وسوف نري في العصور التالية الجمود مع التجرد من الجمال .

وكما لاحظنا سابقاً فإن الرسوم الموجودة علي الحائط الغربي تستحق الاهتمام بصفة خاصة ، وهي تمثل كالعادة الملك وهو يقوم بالمراسيم المتعددة للعبادة في حضرة الآلهة المختلفة .

فهو يحرق البخور ويسكب الماء المقدس أمام أوزوريس وحارندوتس ، وهو يقدم القربان ويحرق البخور أمام محراب كبير متوج بالحيات يجلس فيه أوزوريس .

وأمامه تقف الإلاهتان ماعت ورنبت (آلهة السنة) ومن خلفه الإلهات إيزيس وأمنتت (آلهة جنائزية) ونفتيس .

ثم وهو يقدم ماعت علامة الحق إلي أوزوريس وإيزيس وحورس وإيزيس ، وأخيراً وهو يركع أمام حورس وإيزيس ليتسلم السيف الملكي والمحجن والسوط .

علي أن أروع ما في المعبد كله هو هذا المنظر الذي يمثل أوزوريس والإلهات ، وأن المديح الذي يضفيه ماسبيرو[1] علي هذا العمل الرائع لا يمكن أن يكون مبالغاً فيه بأية حال من الأحوال ، فهو يقول عنه :

---

(١) ماسبيرو ، جاستون السير – درس ماسبيرو فى باريس وشغل أستاذ الآثار المصرية فى مدرسة الدراسات العليا فى السوربون عام ١٨٦٩ ثم أستاذاً للآثار المصرية فى كوليج دى فرانس عام ١٨٧٤ وفى عام ١٨٨٠ جاء إلى مصر على رأس بعثة الآثار الفرنسية ثم عين مديراً لمصلحة الآثار خلفاً لماريت عام ١٨٨١ وظل بها فترة طويلة إلى عام ١٨٨٦ حين رجع إلى فرنسا ثم عاد مرة أخرى مديراً لمصلحة الآثار المصرية من عام ١٨٩٩ – ١٩١٤ ويعتبر ماسبيرو من أقدر علماء عصره فى الآثار القديمة وأقدر على فهم العقلية الشرقية وتوفى عام ١٩١٦ (المراجع) .

، إن المنظر مرن ودقيق في الوقت ذاته فلقد تحرك الإزميل علي سطح الحجر بطريقة جميلة ليخلق بواسطته جملة ضربات خفيفة لوناً معيناً للبشرة – وهنا نجد للآلهة والإلهات ملامح الملك .

وهذا المنظر الجانبي المتكرر للملك يختلف كل مرة بفارق جديد من الاسترخاء الحزين .

وإن رؤية الفرعون والإلهات الثلاث المرافقات له في صبيحة يوم من أيام شهر فبراير الجميل ليجعلنا نفهم إلي أي حد يستطيع الفن المصري الذي يبدو حزيناً في مظهره الخارجي أن يكون ممتلئاً بالحياة والرقة المتناهية (١) .

وحتي هذا المظهر المؤكد من التراخي وهو الذي علقنا عليه والذي لاحظه ماسبيرو في الوقت نفسه يبدو أنه يكاد يرفع إن أمكن من وقع هذه القطعة الجميلة الرقيقة من النحت وهي التي يمكن أخذها كنموذج لأجمل ما أنتجه الفنان المصري في الأسرة التاسعة عشرة .

وإن التكرار المتواصل لشكل سيتي كما يمثله شخصياً أو بشكل بعض الآلهة – كما يشير ماسبيرو – هو المظهر البارز للنحت هنا وفي جميع أنحاء المعبد .

وإن النجاح الدائم في نحت المنظر الجانبي لفرعون ليعتبر في حد ذاته مظهراً جميلاً لمهارة الفنانين المسئولين عن هذا العمل .

بينما تدل المقارنة بمومياء الملك علي أن النحاتين الذين قاموا بنحت الصور الملكية لم يتجاوزوا الحقيقة في تمثيلهم للوقار والجمال المتمثلان في الأصل .

ونقترب الآن من الهياكل السبعة التي تنفتح علي الرصيف المرتفع في النهاية الجنوبية للصالة ، فنجد أن الجدران الضخمة التي تفصل الهياكل عن بعضها البعض تنتهي في اليسار واليمين بأكتاف تتجوف في جزئها الأسفل بشكل حجرة مستطيلة مزينة بالنقوش علي الجانبين .

---

(١) (Maspero, Egyptian Ars. Unaseries, P. 188).

بينما تمتليء اللوحة القائمة فوق عتب الحجرة بمنظر كبير ، وقبل الدخول إلي الهياكل يجب أن نوجه التفاتنا إلي هذه المناظر الممتازة جداً .

وإذا بدأنا بالكتفين الموجودين علي جانبي الهيكل الأوسط وهو الخاص بآمون رع نجد علي الكتف الأيمن الملك سيتي لابساً التاج الإلهي الجميل في لوحة كبيرة راكعاً بين آمون رع وأوزوريس .

بينما نشاهد في الرسوم الصغيرة الموجودة علي جانبي الحجرة يعانقه خنسو وتهدهده إيزيس علي ركبتيها ، وفي داخل الفجوة يقوم الملك بمسح آمون بالزيت وبتقديم البخور لموت وخنسو .

وعلي الكتف الأيسر نجد الملك راكعاً بين آمون رع وحور آختي وهو يتسلم السيف المقوس والصولجان من آمون رع وبداخل الفجوة يقدم الملك علامة ماعت في حضرة آمون رع وموت وحور آختي .

وإلي اليمين من هيكل آمون يوجد هيكل أوزوريس وبطبيعة الحال يشترك الكتف الواقع إلي اليسار منه مع كتف هيكل آمون ، أما الكتف الأيمن فإن اللوحة الكبيرة فيه تمثل الملك راكباً وهو يلبس خوذة الحرب ويحرق البخور أمام أوزوريس .

وهو منظر جميل بوجه عام رغم التشويه الطفيف في وجه الملك ويده اليمني وجسمه ، وتحت هذا المنظر نري الملك يعانقه أنوبيس بينما يتسلم علامة الحياة من حورس .

وفي داخل التجويف يظهر الملك أمام أوزوريس وإيزيس ونوت ، والهيكل التالي لإيزيس وقد وصفنا الآن كتفه الأيسر .

أما الأيمن فعليه صورة الملك وهو يتسلم الشعارات الملكية من حورس وإيزيس ، بينما نجد في التجويف سيتي أمام أوزوريس وحورس .

والهيكل الأخير علي اليمين لحورس ، وعلي الحائط الغربي للصالة بين نصف الكتف الموجود إلي اليمين والكتف الذي ينهي الصف الثالث للأعمدة نشاهد المنظر

المشهور الذي سبق الإشارة إليه والذي يبدو فيه الملك وهو يقدم شعار ماعت إلي أوزوريس وحورس بن إيزيس .

والآن نتحول إلي الأكتاف الموجودة إلي يسار هيكل آمون رع ، وقد سبق وصف الكتف الواقع إلي اليسار مباشرة .

والهيكل التالي الواقع إلي اليسار هو هيكل حور آختي ، ويوجد علي الكتف الأيسر المنظر الكبير الذي يمثل سيتي وسط الشجرة المقدسة التي يسجل بتاح وحورس اسميهما عليها .

بينما تظهره المناظر السفلية أمام سخمت ، وفي داخل التجويف نراه أمام بتاح وحور آختي وسخمت .

ويأتي بعدئذ هيكل بتاح ، وعلي الكتف الموجود إلي اليسار منظر كبير وكان يمثله سيتي وهو يقدم إلي بتاح وسخمت ، ولكن رسم بتاح أصابه تلف شديد .

أما التجويف فيحوي رسوماً للملك ونحوتاً مختلفة ، وأحد الكهنة الجنائزيين يقدم البخور أمام سيتي ، والهيكل الأخير علي اليسار هو هيكل سيتي نفسه .

وعلينا الآن أن نعود إلي الهيكل الأوسط لآمون رع لنصف الهياكل بالتفصيل - ويختلف هيكل آمون رع عن جيرانه في أنه يمكن الوصول إليه بواسطة بعض الدرجات بدلا من المنحدر .

وعلينا أن نلاحظ السقف المقبب للهيكل ، وهو ليس مقبباً بالمعني الحقيقي إذ إن كل مدماك فيه يبرز عن المدماك الواقع تحته ، وجميعها نحتت بشكل قبو .

وكانت هذه هي الطريقة المصرية العادية في عمل مثل هذه القباب ، وكان للهياكل أبواب إما من البرونز ، وإما من خشب الأرز والبرونز ، وفي داخل الهيكل كان يوجد المركب المقدس لآمون حاملا المحراب المتنقل الذي يحوي تمثال الإله .

أما الجدران فقد زينت بمناظر الملك وهو يقدم القرابين لآمون رع في أشكاله المتعددة ثم وهو يحرق البخور أمام مراكب آمون وموت وخنسو ، ويلاحظ أن

التفاصيل التي رسمت بها المراكب والمراوح والقرابين والأواني الخاصة بالتقاديم جميلة للغاية .

ومن الخلف ينفتح هيكل أوزوريس الواقع إلي اليمين من هيكل آمون رع علي حجرات مكرسة خصيصاً لعبادة ثالوث أوزوريس ، وهي التي سنزورها فيما بعد ، ونري علي الحائط الشرقي الواقع إلي يسار الداخل سيتي وهو يحرق البخور أمام الشعار المقدس لأبيدوس التي كانت تدعي - كما نذكر - بأنها المكان الذي دفن فيه رأس الإله أوزوريس .

ويتكون هذا الشعار من الشعر المستعار ورأس أوزوريس فوق عمود ، وأمام الهيكل أعلام الآلهة أوب وواوات الشمالي وأوب وواوات الجنوبي وإيبس الأشمونين والصقر حورس والإله المحلي لطينة انحور .

أما الحائط الغربي الواقع إلي اليمين فمزين برسم المركب المقدس لأوزوريس ، وقد رسم أيضاً بتفاصيله الدقيقة مع القرابين والمراوح المصنوعة من الريش .

وهيكل إيزيس الذي يأتي بعدئذ مغلق في الوقت الحاضر وهو يحوي مناظر للمركب المقدس للآلهة ومناظر لسيتي وهو يقدم لإيزيس وحورس .

أما هيكل حورس وهو الأخير في الجانب الأيمن ففيه مناظر تمثل سيتي وهو يقدم لحورس وإيزيس ثم وهو يحرق البخور أمام المركب المقدس لحورس .

وعلينا أن نلاحظ هنا وفي جميع الهياكل الأخري فيما عدا هيكل أوزوريس البابين الوهميين اللذين يشغلان الحائط الخلفي واللذين كانا مطعمين إما بالذهب وإما بالبرونز .

ويعلو الأبواب الوهمية حلية مستديرة منحوتة وكورنيش وقد أحاطت بهما زهرة طويلة يقبع فوقها ثعبان ، وأعلي كل باب المنظر المألوف للحصير المطوي المصنوع من الحشائش والذي يسدل عادة علي الباب الحقيقي .

وفي هيكل حور آختي وهو الأول إلي يسار الهيكل الأوسط لآمون رع مناظر تمثل سيتي أمام حور آختي وزوجته في هليوبوليس المعروفة باسم « أوس عاس » مع آتوم وحاتحور .

أما هيكل بتاح وهو الثاني إلي اليسار فهو للأسف مهدم جداً ولكنه كان مزيناً برسوم تشير إلي الإله الذي كرس الهيكل له .

وآخر هيكل إلي اليسار هو هيكل سيتي نفسه وعلي حائطه الشرقي الواقـــع إلي اليسار نري الملك جالساً علي عرشـــه ويحمله في أبهـة ثلاثة مخلوقات ذات رؤوس بشكل الصقر تسمي « أرواح ب » وثلاثة مخلوقات أخري برؤوس ابن آوى تدعي « أرواح نخن وب نخن » .

وهما بوتو وهيراكونبوليس عاصمتا البلاد في العصر العتيق وتتقدمه الأعلام المقدسة وفوق ذلك يقف الملك حاملا السوط والمحجن بين تحوت ونخبيت من جهة وحورس وواجيت من جهة أخري .

والمعروف أن نخبيت هي الإلهـة الممثلة بشكل عقاب لمدينة هيراكونبوليس وواجيت هي الإلهة الثعبان لبوتو .

وبعد هذا نري المركب المقدس للملك الذي كان بالطبع إلهـــاً يلقب بالإلـــه الطيب ، تمييـزاً له عن « الآلهـة العظام » ، وبهـذا كان له الحق في مركب مقدس لنفســه .

وعلي الحائط الأيمن منظر يذكرنا بالطريقة التي لم ينس فيها المصريون خلال كل العصور أن يعلنوا واقعة الاتحاد الأصلي للشمال والجنوب التي أدت إلي عظمة مملكتهم .

فهنا نجد سيتي جالساً بين نخبيت وواجيت علامة علي الاتحاد ، بينما يقوم تحوت وحورس بربط نبات اللوتس والبردي وسشت إلهة الكتابة والذكريات تسطر تسجيلا لهذا الحدث .

ومن هيكل أوزوريس الواقع مباشرة إلي يمين هيكل آمون رع الأوسط يمكن الوصول إلي الحجرات المكرسة خصيصاً لعبادة أوزوريس والتي تقع خلف الهياكل السبعة ، وهكذا نجد أنفسنا في أول الأمر في الصالة الغربية التي يسند سقفها عشرة أعمدة من غير تيجان مرتبة في صفين .

وتعطينا الرسوم الموجودة في هذه الصالة ملخصاً للشعارات والمحاريب الرئيسية المستعملة في عبادة أوزوريس ، والمناظر الموجودة منها علي الحائط البحري قد أتلفت عن عمد .

غير أنه يمكن مع ذلك تفهمها فهي تمثل سيتي يقدم أمام محراب أنوبيس الذي يحوي ابن آوي ، وأمام محراب حار بندوتس وبداخله صقر .

ثم وهو يفتح باب محراب حقت الذي - يحوي صورة لضفدعة وهكذا - وعلي الحائط الجنوبي تجمعت شعارات أوزوريس والآلهة الأخري ، ومن بينها شعار أبيدوس ورأس أوزوريس وعلامة تت أو دادو رمز بوزيريس حيث قيل إن العمود الفقري للإله قد دفن فيها .

وفي النهاية الغربية للصالة توجد هياكل أوزوريس (في الوسط) وإيزيس (إلي اليسار) وحورس (إلي اليمين) وهؤلاء الثلاثة يكونون ثالوث أوزوريس .

وتتميز الرسوم في هذه الهياكل وهي تمثل الملك وهو يقدم لآلهة الثالوث أو بشكل أوزوريس والآلهة تقوم بتحيته بالجودة والجمال من حيث الصناعة والألوان .

أما الصالة ذات الأعمدة الأربعة الواقعة في الطرف الشرقي من تلك المجموعة من الحجرات فمهدمة جداً بدرجة أنها لا تستحق الزيارة .

وإذا عدنا إلي صالة الأعمدة الثانية واتجهنا إلي الجانب الأيسر (الشرق) وجدنا أنفسنا في الصالة المعروفة باسم صالة سوكر أوبتاح - سوكر وهي صالة ذات ثلاثة أعمدة بها رسوم جميلة تمثل سيتي وهو يتعبد إلي سوكر ونفرتوم .

وفي الحائط الشرقي منها أربع كوات بها رسوم نفرتوم وتحوت وسوكر وأوزوريس ومين وبتاح وحوراور .

وبين هذه الكوات يري الملك يتعبد للآلهة - ومن هذه الصالة ينفتح هيكلان كرسا لسوكر ونفرتوم ، وكان لكل منهما في الأصل سقف مقبب مثل الهياكل السبعة كما يحويان بعض الرسوم الممتازة .

ومما يجدر الالتفات إليه بصفة خاصة ذلك المنظر الموجود بهيكل سوكر والذي يمثل أوزوريس علي سريره وإيزيس تحلق فوقه على شكل صقر .

بينما تقف مرة ثانية في شكلها الآدمي عند أحد طرفي السرير ، ويقف حورس عند الطرف الآخر ، وتدل سلسلة المناظر الموجودة في هذا الهيكل علي ارتباطها بصفة خاصة بتفاصيل الأسرار المتعلقة ببعث أوزوريس .

وإذا عدنا مرة أخري إلي صالة الأعمدة الثانية مررنا من نهايتها الشرقية بين صفي الأعمدة الثاني والثالث إلي ممر طويل صاعد قليلا ، ونجد علي الحائط الجنوبي الواقع إلي اليمين قائمة أبيدوس المشهورة وهي التي كان لها بعض الأهمية في تحديد نظام تسلسل بعض الملوك غير المعروفين تماماً .

رغم أن تاريخ كتابة هذه القائمة متأخر نسبياً وأن بعض التفاصيل ليست دقيقة .

وأمام القائمة يمسك سيتي بنفسه مبخرة بينما يحمل وريثه ابنه الذي دعي فيما بعد باسم رمسيس الثاني خصلة الشعر الجانبية للأطفال ، وهو يتلو الترانيم من ملف البردي .

وتضم القائمة خراطيش ٧٦ ملكا في صفين ابتداء من مينا إلي الملك سيتي نفسه ، أما الصف الثالث فيحوي سلسلة متكررة لخرطوش سيتي نفسه ، وعلي الحائط الأيسر يظهر سيتي ورمسيس ثانية وهما يقدمان للآلهة القرابين .

وفي منتصف ممر الآلهة ينفتح باب في الحائط الأيمن يؤدي إلي ممر آخر ينتهي إلي الجزء الخلفي للمعبد في الجنوب ، ومن الجائز أنه كان مستعملا في المواكب التي كانت تزور مقبرة أوزوريس .

والمناظر التي تحلي جدرانه ترجع إلي أيام رمسيس الثاني ، ورغم أنها قوية بما فيه الكفاية غير أنه لا يمكن مقارنتها بأعمال سيتي الجميلة ، ويري فيها رمسيس وابنه الصغير آمون حرخبشف الذي مات صغيراً وهما يصطادان ثوراً بالحبال لتقديمه تضحية للمعبد .

ورمسيس وهو يجر مركب سوكر ، ثم وهو يسحب بالاستعانة بأربعة من الآلهة إحدي الشباك التي أمسكت البط البري لتقديمه لآمون رع وموت ، ثم وهو يسوق أربعة عجول لتضحي لخنسو ، وأخيراً وهو يرقص أمام إله (غير معروف لأنه أصبح مشوهاً) .

ومن ممر الملوك يمكن الوصول إلي بضع حجرات أخري ، الأولي منها ذات ستة أعمدة ومصطبة حول الجدران ، ومن الجائز أنها كانت معدة لاستقبال هدايا التضحية أو لوضع المراكب المقدسة التي تزين صورها الجدران .ومن نهاية ممر الملوك ندخل إلي صالة الذبح وبها عشرة أعمدة ومناظر ذبح الماشية التي لم تتم ، أما الحجرات الصغيرة الموجودة في هذا الجناح من المعبد فلا تكاد تستحق مشاق الزيارة .

وخلف المعبد علي مسافة ٢٦ قدماً فقط من الحائط الموجود خلف الهياكل السبعة وحجرات أوزوريس يقوم بناء هام جداً كشفته الأستاذة م . أ . مري ، ونظف جزء منه الدكتور أ . نافيل في الأعوام ١٩١١ - ١٩١٤ لحساب بعثة الكشف المصرية .

والدكتور فرانكفورت في عامي ١٩٢٥ - ١٩٢٦ لحساب البعثة نفسها ، وقد اتضح أنه مبني ذو أهمية فائقة إذ يمثل مقبرة تذكارية للفرعون سيتي الأول الذي بني المعبد الكبير الملاصق له ، وهناك شك قليل فيما يختص بهذه النقطة .

ولو أن هذا المبني ما زال يسمي أحياناً باسم « أوزيريون » [(١)] .

---

(١) الأوزريون : يقع الأوزريون خلف معبد سيتى الأول من الجهة الغربية وبمستوى ١٨ متراً أسفل أرضية المعبد ، ولا يوجد بين الآثار المصرية بناء يشبه ذلك البناء ولا يستطيع أى فرد أن يعرف تماماً متى ولم بنى هذا الأثر - وقد كشفه أحد العلماء واسمه « فرانكفورت » وظن من وجود اسم سيتى الأول علي أحد حوائطه أن ذلك المكان بناه سيتى الأول ليكون قبراً له كما أن هناك أسباباً هندسية وغيرها تجعلنا نعتقد أن تاريخ البناء يحتمل أن يكون فى الأسرة الرابعة - وكان هذا البناء مغطى فى الأصل بسقف ويقع مدخله الوحيد فى الحائط الشمالى لسور معبد سيتى الأول ولكن نصل إليه الآن بواسطة سلم حديث يؤدى إلى البهو الأوسط ولكن أخذت أملاح التربة تأكل البقية الباقية من النقوش ، وكان من نتائج رشح المياه فى أيامنا هذه أن غمر الأوزريون بالمياه وغطيت الجزيرة كلها وتحاط القناة بحافة باتساع متر وقد وضعت قطع من الخشب فى الشمال والجنوب توصل إلى ست مقاصير صغيرة مربعة وبالحائط الشرقى ثلاث مقاصير صغيرة مثل السابقة وتوجد نقوش مختلفة للملوك على الواجهة الخارجية للحائط الشرقى والغربى - كما يوجد ممر ضيق بمنحدر نحو الشمال وكذلك نجد رسومات ونقوش على الحائط الغربى والحائط الشرقى تمثل شروق الشمس والآلهة المختلفة المتمثلة بإله الشمس يتجه إلي أبواب الفجر تحييه أرواح القرود المختلفة وكذلك نشاهد الإله نون الذى يمثل المحيط الأزلى رافعاً مركب الشمس على هيئة جعل تستقبله أيدى الآلهة « نوة » خلف رأس أوزوريس والملك يقدم رمز الحقيقة ماعة إلى الإله حوريس (المراجع) .

الأوزيريون

ويبدأ المدخل (الأوزيريون) الأصلي الرئيسي للمبني متسعاً إلي اليمين إذا ما تطلعنا من معبد سيتي نحو الحفرة الرأسية المحددة بالطوب ، وهذه تؤدي إلي قبو من الطوب في السور المحيط بالمعبد .

ومن هذا القبو نصل إلي ممر منحدر (أ) ذي جدران وأرضية مكسوة بالحجر ، يؤدي إلي حجرة أمامية ، أما الرسوم والكتابات الموجودة علي جدران الممر فهي من « كتاب الأبواب » علي الحائط الأيمن .

ومن « كتاب الموتى » علي الحائط الأيسر – وقد نفذها منفتاح حفيد سيتي ، ولكن مما لا شك فيه أن المشروع من عمل سيتي ، فلقد عثر علي قطعة شقف بالممر ، عليها نص خاص بنقل الأحجار لهذا العمل .

ويخبرنا مصادفة بأن سيتي قد اهتم بهذا المبني اهتماماً جعله يبني قلعة ملكية في موضع قريب حتي يستطيع أن يحضر ويراقب تقدم العمل ، ويقص علينا أيضاً بأن القبر التذكاري كان يسمي « سيتي الأول الخدوم لأوزوريس » .

ويبلغ طول هذا الممر ١١٠ ياردة ، ويؤدي إلي حجرة أمامية (ب) تزينها مناظر ونصوص دينية وتنفتح منها حجرة أصغر (ج) ، ومن الحجرة الأمامية يؤدي ممر آخر طوله ٤٥ قدماً (د) وعلي زاوية قائمة منها ، إلي حجرة مستعرضة بعرض المبني كله (هـ) .

وكانت هذه الحجرة مسقوفة بألواح كبيرة من الحجر بالشكل المألوف للخيمة أو السرج وبها نصوص من كتاب الموتي من أيام منفتاح ، ومن هذه الحجرة يؤدي ممر قصير إلي الصالة الكبري للمقبرة التذكارية .

وهي تتكون من حجرة ذات ثلاثة ممرات (و) بطول ١٠٠ قدم وعرض ٦٥ قدماً وتحوطها ١٧ حجرة صغيرة منها واحدة وهي الواقعة في منتصف الحائط الخلفي تنفذ إلي حجرة أخري .

وتنفتح الحجرات الصغيرة علي سطح عرضه قدمان وهو منفصل عن الجزء

الأوسط من الصالة المدعمة بالأعمدة المربعة بواسطة خندق عميق من الجائز أنه كان مملوءاً بالماء في وقت ما .

ولهذا فإن الجزء الأوسط من الصالة يشبه إحدي الجزر ويحوي عشرة أعمدة مربعة كل منها قطعة واحدة ضخمة من الجرانيت بسمك ثماني أقدام ونصف قدم أو ما يزيد علي ضعف سمك الأعمدة المربعة الموجودة بمعبد أبي الهول بالجيزة .

وكانت هذه في الأصل تحمل أعتاباً وكتلا ضخمة للسقف ذات أحجام ضخمة مماثلة ، فكل كتلة من كتل السقف بسمك ست أقدام وكانت هي والأعتاب التي ترتكز عليها من الجرانيت .

ويمكن الوصول إلي هذه الجزيرة ذات العمد الواقعة في وسط الصالة بواسطة سلالم في كل من الجانبين القصيرين .

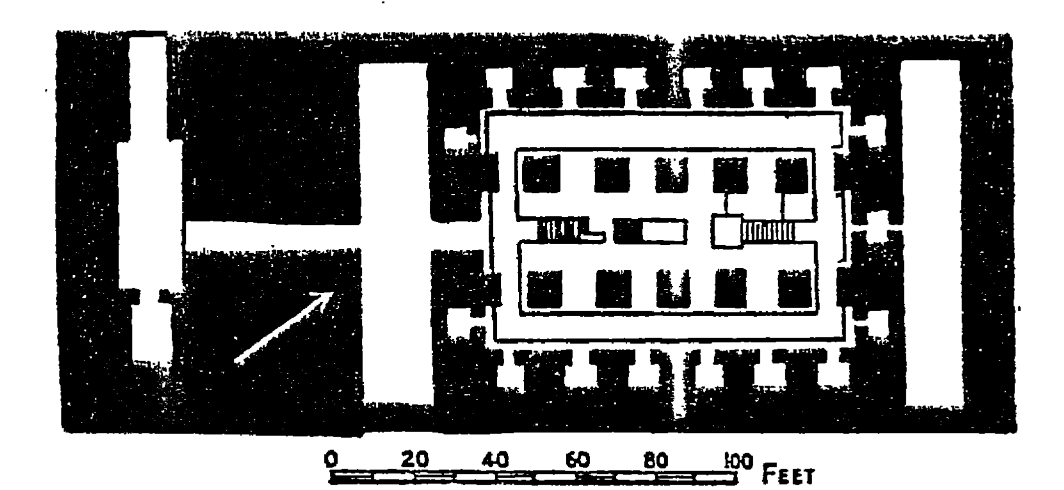
وتوجد في الأرضية بين صفي الأعمدة فجوتان من الجائز أنهما كانتا معدتين لوضع تابوت وصندوق أحشاء رمزي ، ومن المحتمل أن الجزيرة كانت تفصل عن بقية المبني بملء الخندق بالماء .

ومن الحجرة الصغيرة الوسطي في نهاية الصالة يمكن الوصول إلي حجرة أخري مستعرضة (ح) وهي أيضاً ذات سقف علي شكل الخيمة أو السرج ، ومن المحتمل أنها كانت حجرة التابوت أو أنها كانت رمزا للتابوت نفسه .

فسقفها مزين بالمناظر التي تغطي عادة غطاء التابوت فهي تمثل الإلهة نوت حانية فوق الملك المتوفي كما تمثل نوت يرفعها شو إله الهواء عن الأرض وهذه الرسوم المنحوتة من عصر سيتي .

وقد نفذت بشكل جميل ، ونحن هنا أمام مبني جميل وممتاز يتميز بطبيعة بنائه الفخم ، فالمواد التي بني بها هي الحجر الجيري الجميل والحجر الرملي الأحمر الصلب والجرانيت الأحمر .

وقد استخدمت لتخلق شعوراً بالبساطة المتناهية ، ومثله في هذا مثل ما نجده في معبد الوادي لخفرع (معبد أبي الهول) بدرجة توحي بأن هناك تقليداً واعياً لهذا المبني ولكن علي نطاق أفخم فيما يختص بالأجزاء الفردية للتكوين المعماري .



(شكل رقم ١١٢)

الأوزريون – أبيدوس – هذا المعبد الهام قد كشفته الأستاذة م. أ. امري – ونظف جزء منه الدكتور نافيل عام ١٩١١ والدكتور فرانكفورت في عامي ١٩٢٥ – ١٩٢٦ – وهو مبني ذو أهمية فائقة إذ يمثل مقبرة تذكارية للفرعون سيتى الأول – ويبدأ المدخل الأصلي للمبني متسعاً إلي اليمين وعن طريق حفرة رأسية محددة بالطوب تؤدى إلى قبو من الطوب فى السور المحيط بالمعبد – ثم نصل إلى ممر منحدر ذو جدران وأرضية مكسوة بالحجر تؤدي إلي حجرة أمامية أما الرسوم والكتابات الموجودة علي جدران الممر فهي من (كتاب الأبواب) علي الحائط الأيمن – وكتاب « الموتى » على الحائط الأيسر

علي أنه ليس من شك في أنه كان مقدراً أن يدفن هذا البناء كله تحت تل كبير من الحجارة والرمال والمياه حتي لا يظهر منه شيء فوق الأرض سوي تل محاط بالأشجار .

ومن المعتقد أن الصالة الوسطي بجزيرتها وبركتها التي تحيط بها والخلايا السبعة عشرة ما هي إلا محاولة لتجسيم أسطورة خاصة بخلق العالم حيث يدفن أوزوريس فوق التل الأزلي (الجزيرة) المحاطة بالمياه السرمدية .

بينما تمثل الخلايا ما يسمي بأبواب كتاب الأبواب – أما حجرة التابوت الواقعة بعد الصالة الوسطي فهي المقبرة الرمزية الفعلية لفرعون الذي حقق فكرة عجيبة .

وذلك بأن يمثل بالحجر صور البردي الخاصة بأوزوريس بصفته « الشخص الواقف على أعلى « درجات السلم » ، فإذا كانت هذه النظرية علي حق أصبح سيتي الأول كما قال الدكتور فرانكفورت « أول وآخر ملك قام بالتعبير المعماري الممتاز عن أشياء دينية عظيمة » .

وإن الواقعة التي كشف عنها في أثناء الحفر من أن الجدارين الأمامي والخلفي لحجرة التابوت بالمقبرة الرمزية قد رفعا فوق منسوب السقف لتكونا بمثابة جدران ساندة لطبقات الرمل التي أقيم فوقها معبد سيتي الأول .

وقد توحي بأن هذه المقبرة قد أقيمت قبل بناء المعبد ، ولو أن هذا الفرض ليس محتملاً وسواء أكان هذا صحيحاً أم غير صحيح فإنه يبدو أن وجود بناء كهذا أو الرغبة في إقامته كان سبباً في تغيير محور المباني الإضافية للمعبد .

بينما تمثل الجزيرة المحاطة بالمياه والتي يستمد خندقها مياهه بطبيعة الحال من المياه الجوفية الموجودة تحت الصحراء « أى المنبع أو البئر التي وصفها سترابو » بأنها يمكن الوصول إليها بواسطة ممرات ذات أقبية منخفضة مكونة من حجر واحد وتتميز باتساعها وطريقة بنائها » .

معبد رمسيس الثانى - أبيدوس

يقع معبد رمسيس الثاني علي مسافة قصيرة إلي الشمال من المعبد الكبير

لسيتي الأول وهو الآن مخرب جداً ، فارتفاع جدرانه لا يزيد علي ٦ أو ٧ أقدام ولكن هذا التخريب حديث نسبياً إذ وجدته بعثة نابليون الفرنسية في حالة حفظ لا بأس بها .

وقد أقيم هذا المعبد في أوائل الحكم الطويل لرمسيس الثاني ، ومن الواضح أنه أقيم بعناية أكبر وبمواد جيدة وقوية عن بعض المباني الأخري المتأخرة لهذا الملك – وهناك نص علي الجانب الخارجي للحائط الجنوبي للمعبد يعبر عن مدي اعتزاز الملك بإقامة هذا المعبد .

إذ يقول : « انظر فإن جلالته له الحياة والرفعة والصحة وكان الابن المحبوب والبطل لأبيه أون نفر (أي أوزوريس) عندما أقام له معبدا جميلا فخماً للخلود من حجر جيري جميل من طرة » .

وواجهته عظيمة ذات برجين من العمل الجيد ، وبواباته من الجرانيت الوردي ذات أبواب من البرونز عليها رسوم من الألكتروم .

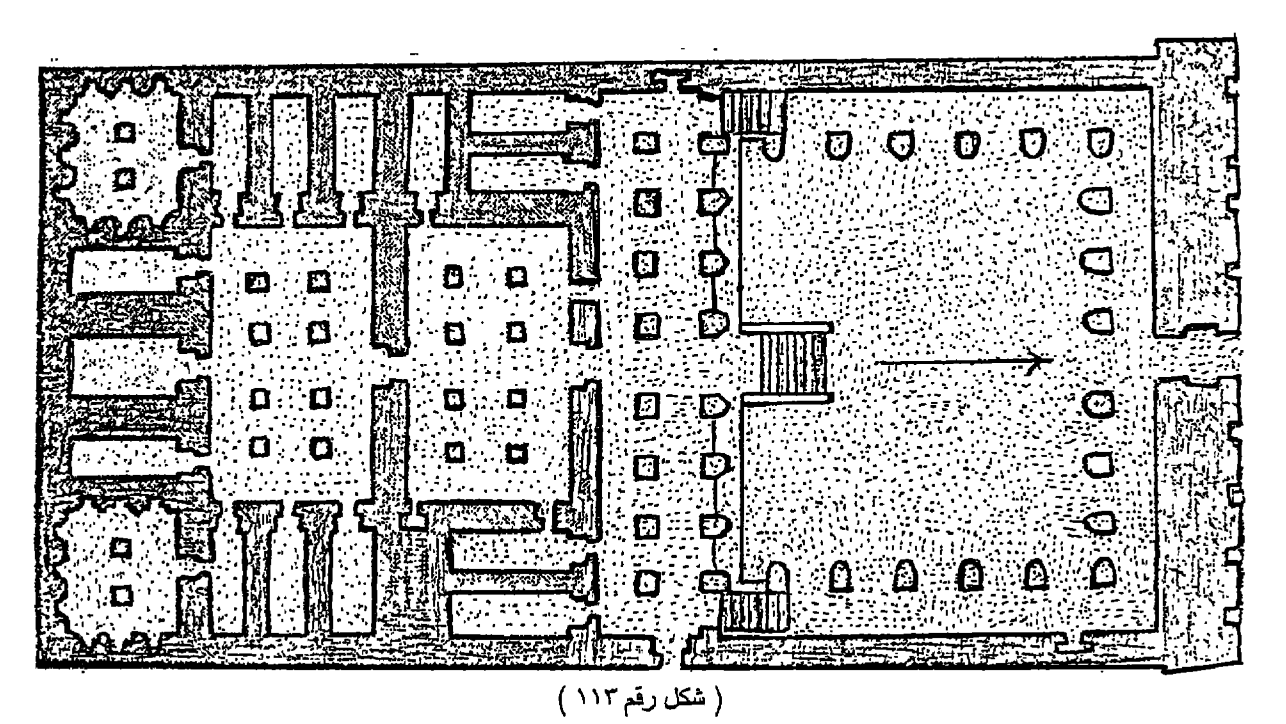
ومقاماً كبيراً من المرمر والجرانيت (قدس الأقداس) » وهو مقامه الممتاز منذ البداية ثم حجرة لتاسوعه الإلهي ولوالده المعظم ليستريح فيها وللإله رع عندما وصل إلي السماء » .

ثم يسترسل في وصف الهدايا الكثيرة للمعبد وامتلاء خزائنه بالهبات فيقول :
« كانت خزائنه ملأي بكل الأحجار الثمينة والفضة وسبائك الذهب » .

« وكانت مخازنه تفيض بكل شيء من جزية كل البلاد ، ولقد زرع حدائق بها كل أنــواع الأشجار وكل الأخشاب الجميلة ذات الرائحة العطرة وهي نباتات بلاد بونت » .

وقد وصفت إحدي البوابات بأنها من جرانيت أسود ذات أبواب مصفحة بالنحاس ومطعمة بالألكتروم ، كما وصفت بوابة أخري بأنها من الجرانيت الوردي ذات أبواب من البرونز المطروق .

ويكاد يكون كل هذا البذخ قد اختفي حالياً ، ولكن البقايا القليلة الموجودة تدل علي أن الملك كان محقاً في اعتزازه ، فالجدران كانت من الحجر الجيري المحبب ، والأعمدة المربعة من الحجر الرملي .



(شكل رقم ١١٣)

معبد رمسيس الثاني في أبيدوس – وهذا المعبد مخرب جداً وارتفاع جدرانه لا يزيد عن ٧ أقدام – ومعظم أحجاره من الحجر الجيري والواجهة العظيمة ذات برجين عظيمين وله بوابات من الجرانيت ذات أبواب من البرونز عليها رسوم وقاعة كبيرة من المرمر والجرانيت كانت مقر إقامته ثم حجرة لتاسوعه الإلهي ولوالده العظيم ليستريح فيها وللإله رع – وقد وصفت إحدي البوابات بأنها من الجرانيت الأسود وكان لها أبواب مصفحة بالنحاس ومطعمة بالألكتروم وبوابة أخري من الجرانيت الوردي والبرونز ويكاد يكون كل هذا البذخ قد اختفي حالياً

وإطار الأبواب من الجرانيت الأحمر والأسود والرمادي ، والمحراب من المرمر وبالإضافة إلي ذلك كانت بعض النقوش علي الأقل من نوع أعلي من المستوي العادي لهذا العصر .

وتوجد النقوش الجميلة القليلة البروز ذات الألوان الزاهية في الحجرات الخلفية للمعبد ، أما النقوش التي هي أقل إتقاناً وهي النقوش الغائرة فتوجد في الفناء الخارجي والبهو والحجرات التي تنفتح منها .

ومن هذا المعبد نقل إلي المتحف البريطاني جزء من سجل آخر بأسماء الملوك شبيه بسجل معبد سيتي .

ويمكن الدخول حالياً للمعبد بواسطة بوابة تؤدي إلي ما كان أصلا الفناء الثاني ، فالفناء الأول قد تهدم وردم تقريباً وهو يقع إلي الجهة البحرية خارج الفناء الثاني ويمكن تتبع بعض أجزائه .

والبوابة من الجرانيت الأحمر ، ومن الجائز أنها كانت إحدي البوابات ذات الأبواب المصنوعة من البرونز المطروق والتي سبق الإشارة إليها في نقش رمسيس .

ومن هذه البوابة يمكن الوصول إلي فناء ذي بواكي كان يسند سقفه أعمدة مستطيلة أمامها تماثيل للملك علي شكل أوزوريس .

وفي الجانب الداخلي أو الجنوبي للفناء توجد درجات سلم من ثلاثة صفوف تؤدي إلي شرفة علي واجهتها صف من الأعمدة الأزوردية يقع خلفه صف آخر من الأعمدة المستطيلة ومن كل هذا يتكون بهو مرتفع .

وتمثل الرسوم الغائرة غير المتقنة في هذا البهو موكب الكهنة ومعهم ثور ممتاز للتضحية وحيوانات أخري ، وحاملي الطبول ، والجنود ، ومقدمي القرابين .

وفي الجانب الآخر من البهو مناظر للجزارين والخدم وهم يحملون شرائح اللحم ، ثم مناظر للثيران والتياتل والأوز التي تحضر لتسجل بمعرفة كتبة المعبد .

وعلي الحائط الشرقي من هذا البهو رسم لتسعة من الأ سري من القبائل الجنوبية والتي مثلت علي شكل رؤوس زنجية وأكتاف تبرز من خرطوش كتب عليه اسم القبيلة التي ينتمي إليها هؤلاء الأسرى .

وعلي الحائط الغربي مجموعة مماثلة من القبائل الآسيوية .

وفي كل من نهايتي البهو تنفتح حجرتان ، وقد كرست الحجرتان بالجانب الشرقي للآلهة حاتحور ورمسيس الثاني ، أما الحجرتان الموجودتان بالجانب الغربي فقد خصصتا لاتحاد الوجهين القبلي والبحري وسيتي الأول ، وفى حجرة حاتحور منظر يمثل رمسيس الثانى يمد يده بصولجان نحو مركب (مشوه الآن) يحمل تمثالا لحاتحور البقرة وهي ترضع الملك نفسه .

وفي حجرة رمسيس يجلس الملك في مركب مقدس تجره أرواح الكاب أو نخن وأرواح ب أو بوتو في الدلتا .

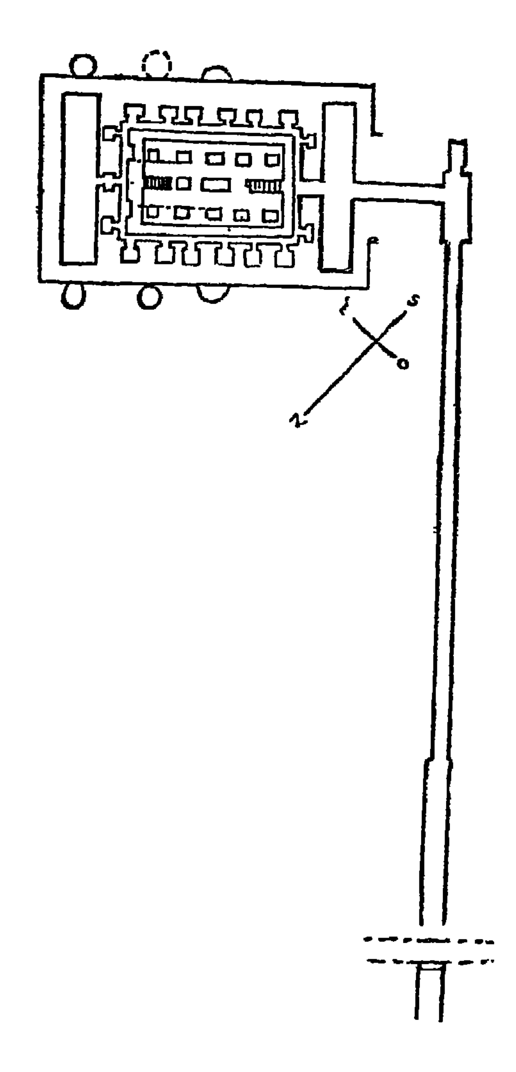
أما حجرة اتحاد الوجهين ففي حالة من التهدم بحيث لاتستحق الانتباه ، وحجرة سيتي كانت تحوي يوماً ما مركباً مقدساً به صورة سيتي ولايزال جزءاً من هذا المركب ظاهراً .

ندخل الآن صالة الأعمدة الأولي ، وذلك من بوابة من الجرانيت الأشهب مهدمة جداً ، وكان يسند سقف هذه الصالة ثمانية أعمدة مربعة ، وتمثل المناظر الموجودة في أسفل الجدران صفاً من رسوم حابي أو إله النيل يحمل كل منها مائدة قربان .

ومن الجانب الشرقي للصالة في نهايتها القبلية توجد درجات كانت تؤدي إلي السقف ، بينما يوجد في الجهة المقابلة لها في الجانب الغربي حجرة مكرسة لانحور الإله المحلي لأبيدوس .

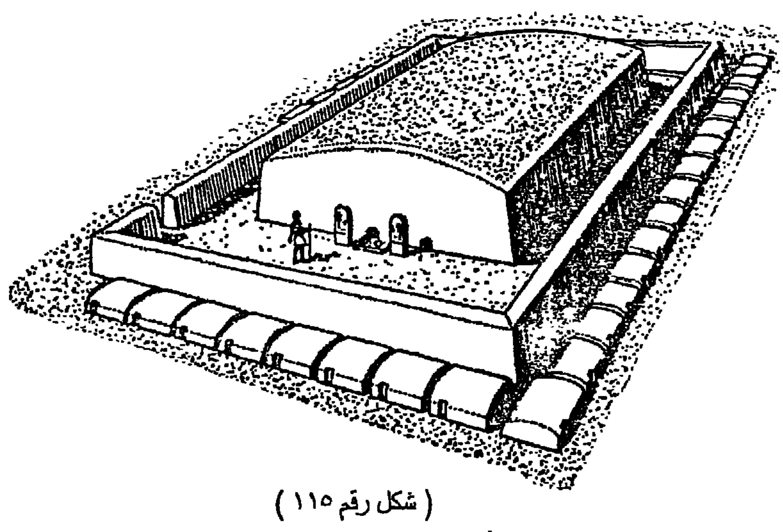
وفي المحور الرئيسي للمعبد بوابة تؤدي من الصالة الأولي إلي الثانية التي تحوي أيضاً ثمانية أعمدة مربعة ولكنها الآن في حالة تخريب شديد ، ومنها تنفتح ثلاث حجرات في كل من الجانبين .

والحجرات الموجودة في الجانب الشرقي مكرسة لأوزوريس وتسمي تبعاً لطبيعة رسومها الأصلية بحجرات الكتان والزينة والتقاديم على التوالي .



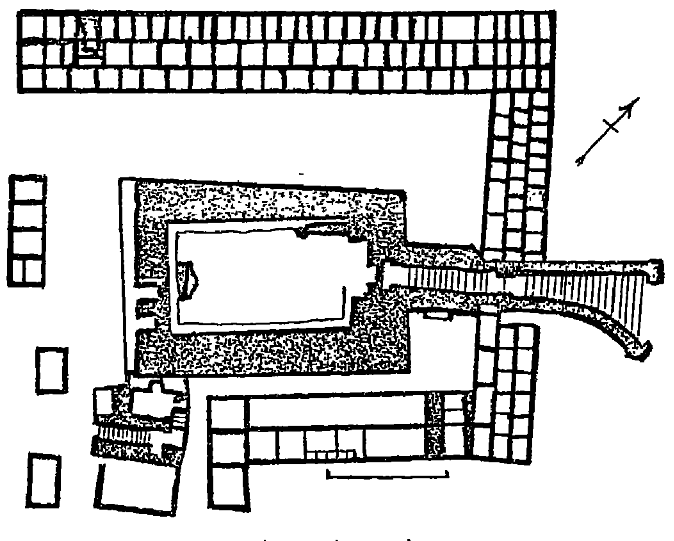
(شكل رقم ١١٤)

مقبرة سيتي الأول في أبيدوس – وتقع هذه المقبرة من وراء معبد سيتي الأول حيث يحيط بها سور واحد يعقد الصلة بينهما مما دعي إلي الرأي بأنها تشبه الصلة بين الهرم والمعبد الجنائزي فى الدولة القديمة وأنه قصد به أن يكون قبراً تذكارياً لمقصورة سيتي الأول في معبده – وقد وصفه إسترابو بأنه منظر مهيب وكامل ويتميز بفخامة أحجاره وأعمدته وإستقامة خطوطه وأغلبه مشيد بحجر رملي يكسوه حجر جيري أما الأعمدة وأعتابها فمن حجر الجرانيت



(شكل رقم ١١٥)

مصطبة ، مرنيت ، في أبيدوس من الطوب اللبن سطحها مقبي ويحيط بها سور وهو مبني مستطيل مصمط مثل جميع قبور الدولة القديمة



(شكل رقم ١١٦)

قبر الملك ، وديمو ، في أبيدوس – عبـارة عن غرفة دفن كبيرة مستطيلة بجدران سميكة من اللبن تحت سطح الأرض وتحتوي علي غرفة من الخشب لها سقف خشبى وجدران ساندة تحتوى على مقاصير صغيرة للأثاث الجنائزي العـادي حول الغرفة الخشـبية في الوسط الذي كانت تدفـن فيه الجثـة وله درج يؤدي إليه من الشمال مما ساعد في زيادة عمقه وقد رصفت أرض قبر الملك بحجر الجرانيت

على أنها في حالة تلف شديد في الوقت الحاضر بحيث لم يعد لها أي أهمية ، أما الحجرات الثلاث الموجودة في الجانب الغربي فهي لتحوت ومين ومجموعة الآلهة المعروفة بحورس .

ومن حجرة التقاديم وحجرة المجموعة يمكن الوصول إلي حجرتين مستطيلتين كان بكل منهما أصلا عمودان مربعان وكوات في ثلاثة من جدرانها كانت تضم تماثيل الآلهة .

أما الهيكل الذي يكتنفه من كلا الجانبين حجرة مزينة النقوش كان دون شك في حالته الأصلية حجرة علي جانب كبير من الفخامة ، ولكنها أصبحت حالياً في حالة تهدم شديد .

وكان الوصول إلي الهيكل بواسطة بوابة من الجرانيت الوردي ذات أبواب من البرونز المطروق ، وكانت جدرانه من المرمر علي أساسات من الحجر الرملي ، أما رسومه وكتاباته فتكاد تكون قد اختفت تماماً .

وفي نهايتـــه الجنوبية مجموعة أخري من خمســـة تماثيل من الجرانيت الأشـــهب (مـهـشـمـة جـداً الآن) تمثل سيتي الأول وإحدى الملكات وأوزوريس ورمسيس الثاني وإله لا يمكن التعرف عليه الآن .

والفكرة من وجود هذه المجموعة هو ربط عائلة رمسيس ووالده سيتي بصلة البنوة المباشرة مع أوزوريس .

وعلي مسافة تزيد قليلا علي ٣٠ ميلاً إلي الجنوب من البلينا نصل إلي « هـو » (٣٨٥ وربع ميل من القاهرة) ، وهي قرية كبيرة تقع بجوارها بقايا قليلة من مدينة قديمة عرفها المصريون باسم « حات سخم » .

وعرفت في أيام اليونان والرومان باسم « ديوسبوليس بارفا » ، وترجع بقايا معبد « هو » إلي أيام البطالمة والرومان وليست لها أهمية خاصة .

وعلي بعد ثلاثة أميال إلي الجنوب علي الشاطيء الشرقي للنيل يقع (القصر والصياد) التي كانت من الجائز « خينوبوسكيون » القديمة أو « مرعى الأوز » وهو اسم يوحي بأن تربية الأوز كانت إحدي مظاهر الحياة في المدينة .

وهذا يربط علاقة « خينوبوسكيون » بمدينة ذكرت في أيام تحتمس الثالث علي أنها واقعة شمال دندرة وكانت تسمي « حات – أورت – أمنمحات » أي الحصن الكبير لأمنمحات وكان مقدراً عليها ضريبة سنوية من ضمنها خمسمائة أوزة .

ومن المحتمل أن « خينوبوسكيون » و « حات – أورت – أمنمحات » مدينـــة واحـــدة وأن المكان قد استمد اسمه القـــديم من اسم أحـد ملوك الأســرة الثانية عشــرة .

ومن الجلي أن هاتين المدينتين كانتا تكونان مدينة مزدوجة ، الأقدم منها علي الشاطيء الغربي والأحدث علي الشاطيء الشرقي ، وهي ظاهرة لدينا منها أمثلة أخري عديدة .

ولم يبق في أي من هذين الموقعين آثار ظاهـــرة تستحق الذكر-وتضم تــلال « هو » كل ما بقي من معبد المدينة وهو – كما سبق أن ذكرنا – من عصر متأخر بدرجة تجعله قليل الأهمية نسبياً ولو لم يكن في حالة تخريب كامل .

وعلي حافة الصحراء خلف المدينة توجد الجبانات القديمة من عصور ما قبل التاريخ وعصر الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة .

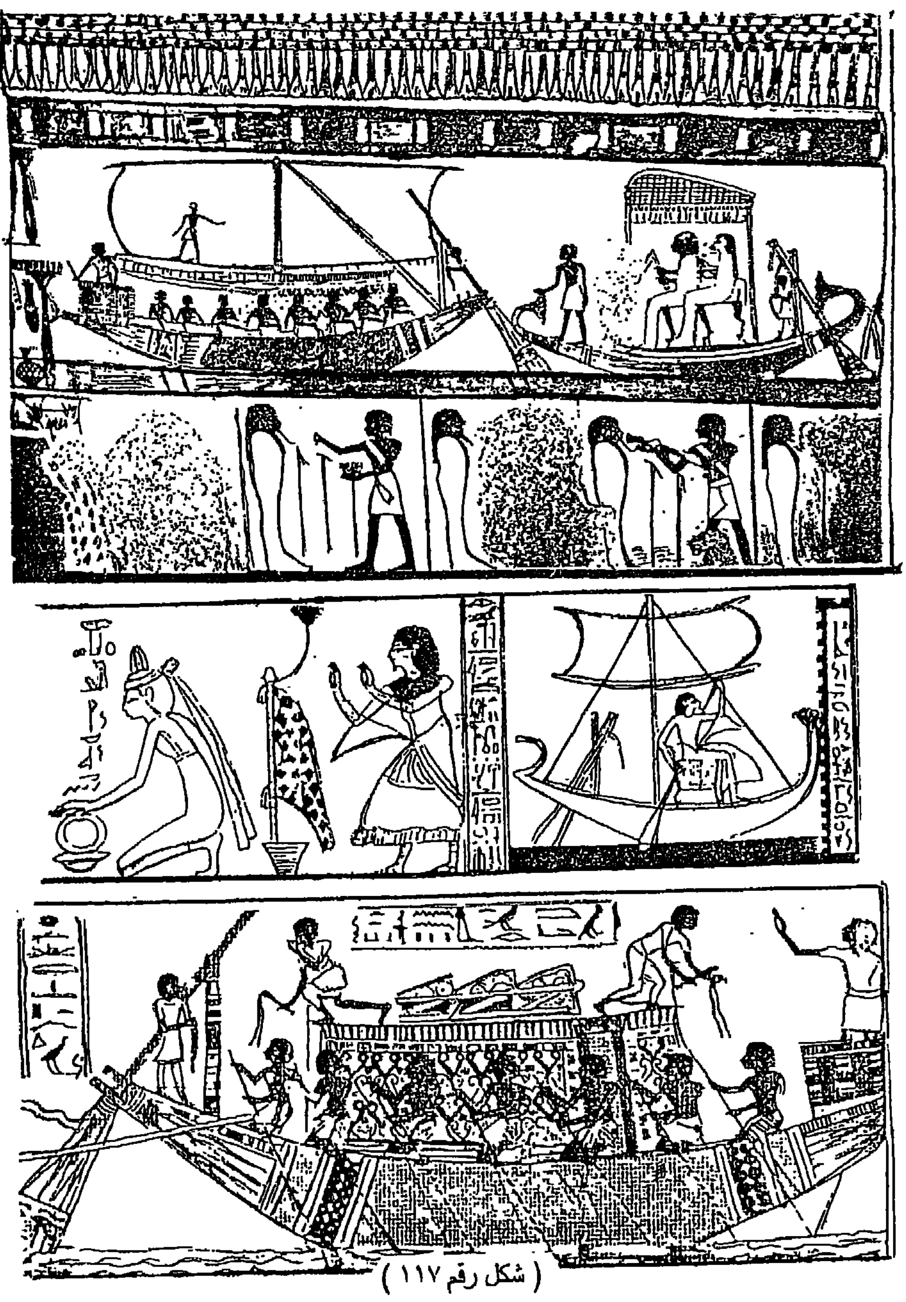
ومن جبانات عصر ما قبل التاريخ استطاع بتري أن يستنبط نظام التوقيت المتتابع [1] .

وفي" القصر والصياد" توجد بضع مقابر منحوتة في الصخر ليس من بينها ما يستحق الاهتمام غير مقبرتي" إيدو وزاوتا" اللذين كانا شريفين محليين بارزين خلال الأيام الأخيرة للأسرة السادسة .

---

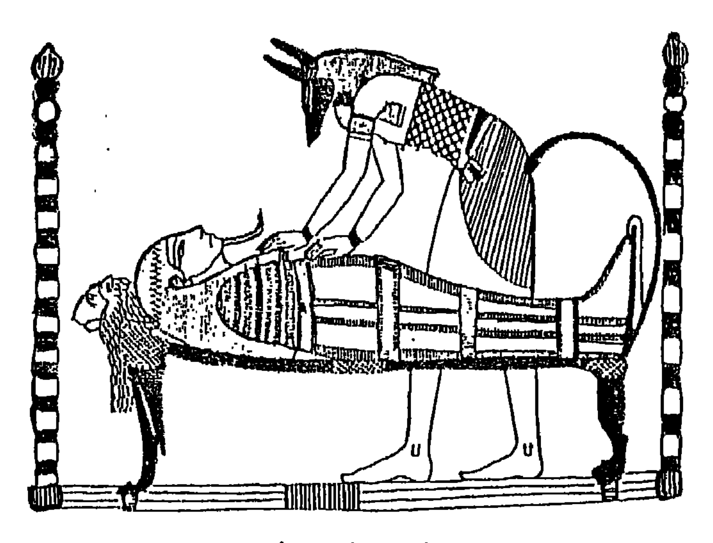
(١) التاريخ التتابعي أو النسبي يعتمد على تقسيم فخار ذلك العصر إلى مائة قسم شغل منها الاقسام ما بين ٣٠ ، ٧٠ تاركاً ١ – ٢٩ لما قد يعثر عليه من فخار أقدم ومن ٧٠ إلى ١٠٠ لما يكشف عنه مستقبلاً ويكون أحدث مما وجد .

ونظراً لأن التاريخ بالسنين في مثل ذلك العصر المتقدم يكاد يكون مستحيلاً ، فلابد أن نكتفي بأدوار التعاقب لتتبع تطور الحضارة ومقارنة الثقافات المختلفة ، ونجدنا مضطرين إلى استخدام هذا النوع من التاريخ رغم ما وجه إليه من مطاعن .



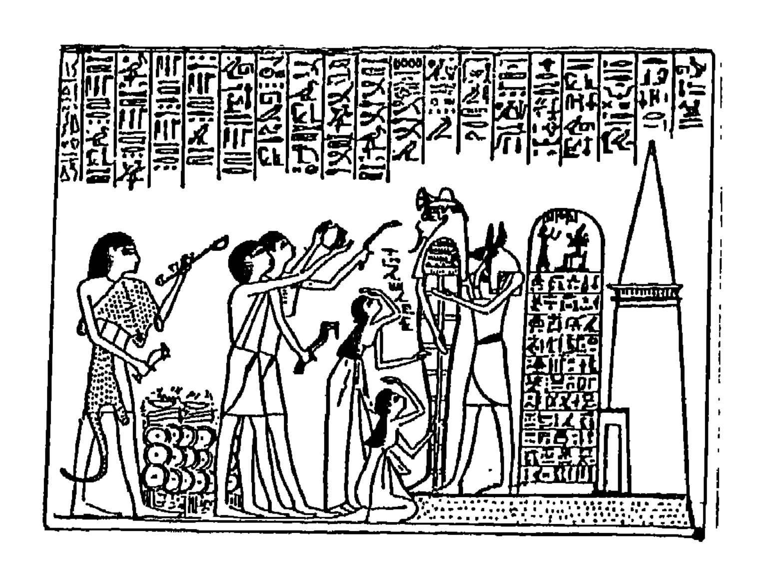
(شكل رقم ١١٧)

مناظر مختلفة منقوشة على جدران أبيدوس تمثل رحلة المتوفي في قارب تجاه أبيدوس وتجلس الآلهة إيزيس ونفتيس تحرسانه ثم يشاهد كذلك طقوس فتح الفم للمتوفي



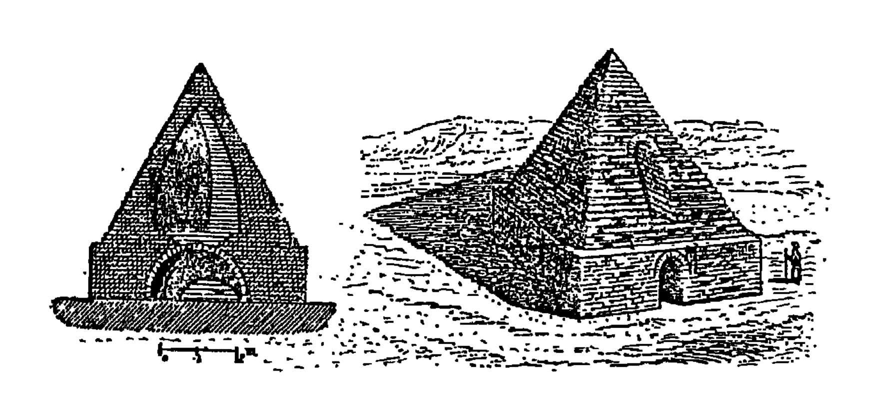
(شكل رقم ١١٨)

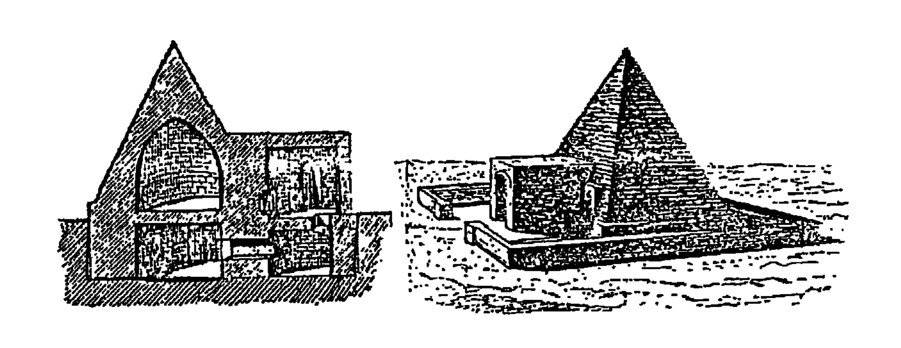
الإله ابن آوي مرشد الموتي في أبيدوس يقوم بالطقوس التكميلية للتحنيط وهو يرتدي زي الإله أنوبيس في أبيدوس



(شكل رقم ١١٩)

الإله ابن آوي (أنوبيس) يقوم بالمساعدة في عملية التحنيط بأبيدوس والمساعدة فى عملية فتح الفم للميت





(شكل رقم ١٢٠)

أشكال مختلفة من مقابر الدولة الوسطي بأبيدوس

أحدهما هرم يعلو قاعدة علي شكل مصطبة مع مقطع لهذه المقبرة يبين غرفة الدفـن في داخـل البنـاء نفسه حيث توضع الجثـة ، ويلاحظ سـقف الغـرفة المقبب الذي يقلل ضغط البنـاء والشكل الآخـر لمقبرة من القصر نفسـه بأبيدوس يشاهد فيها الهرم فوق قاعدة قليلة الإرتفاع تلتصق بأحد أوجهه غرفة المزار – ويحيط بالبناء جميعـه والأراضي التابعة له سور عريض غير مرتفع من الحجر الرملي

ويبدو أن زاوتا كان أكبر سناً ، وكان يحمل إلي جانب ألقابه المحلية كالسيد الأكبر لبلده والأمير الوراثي ألقاب حاكم الجنوب وحارس باب الجنوب .

بالإضافة إلي ألقاب الشرف والتكريم العادية ، أما خليفته (؟) إيدو فلم يكن يحمل الألقاب الهامة كحاكم وحارس للجنوب .

ومقبرة إيدو هي الأولي بين المقبرتين السابق ذكرهما ، وإن كانت السادسة في الترتيب إذ إن المقابر الخمس التي تسبقها ليست بذات أهمية . ولقد أصابها تلف كبير إلا أن بعض مناظرها لا تزال باقية وفي حالة جيدة تسمح بإدراك أهميتها .

فعلي جانبي المدخل كتابات تحوي ألقاب إيدو ، والمقبرة تتكون من حجرة مستطيلة بها ممر منحدر يؤدي في نهايته إلي حجرة الدفن التي لا يمكن الوصول إليها الآن .

وتمثل المناظر إيدو وهو يصطاد السمك بحرية والطيور بعصا الرماية (البومرانج) وهناك أيضاً المناظر العادية للتقاديم ، وجزء من باب وهمي عليه كتابة تصف صاحب المقبرة بالفضائل المعهودة .

وتأتي بعدئذ مقبرة زاوتا ، ومن المخجل أن يقوم لصوص الأحجار المحدثين بإتلاف واجهتها وذلك باقتطاع جزء كبير من أحجارها ، وكانت المقبرة في الأصل مكونة من ثلاث حجرات ولكن الجدران الفاصلة اختفت لنفس السبب .

وكان سقفها برميلي الشكل ، أما بئر المقبرة فتنزل من نهاية الحجرة الوسطي ، وتمثل المناظر الموجودة بها الصيد والتقاديم المألوفة التي نفذت بشكل أحسن من مناظر مقبرة إيدو ولكنها شوهت بشكل أكبر .

وعلي العموم فإن مقابر القصر والصياد لا تكاد تستحق مشقة الزيارة من هؤلاء الذين أتيحت لهم الفرصة لرؤية أعمال الدولة القديمة من نفس النوع .

وإن كانت من درجة أفضل كثيراً كما هو الحال في صقارة – وبين"القصر والصياد"من ناحية ودندرة من ناحية أخري لا توجد آثار ذات أهمية .

كوم السلطان

بعد حوالي عشر دقائق سيرا علي الأقدام إلي الشمال من معبد سيتي الأول نصل إلي مكان يعرف باسم كوم السلطان وهذه المنطقة عرفت منذ فجر التاريخ حيث تعتبر مرجعاً هاماً من مراجع التاريخ الفرعوني لأن أغلب فراعنه مصر تركوا بها آثاراً لها قيمتها العلمية .

ولكن للأسف الشديد أجريت بالمنطقة حفائر لم تكن منظمة تنظيماً علمياً مما تسبب عنه ضياع جزء كبير من المعبد الذي بني أيام الأسرة الأولي من أجل أوزوريس .

وقد عثر في هذه المنطقة علي تماثيل صغيرة وجميلة من العاج تمثل رجالاً ونساءاً وأطفال ، وتعد هذه التماثيل من القطع الفنية الرائعة التي تثبت جدارة المصريين في النحت .

وكثير من هذه القطع محفوظ بالمتحف المصري وبعضها في معظم متاحف العالم خصوصا ذلك التمثال الملكي المتوج بالتاج الأبيض وقد لف بعباءة (موجود بالمتحف البريطاني) بلندن .

كما عثر بجوار بعض التماثيل للأسرة الأولي علي التمثال الوحيد المعروف للملك خوفو باني الهرم الأكبر وهو محفوظ بالمتحف المصري .

ثم جاء ملوك الأسرة الخامسة وأخذوا في توسيع المعبد القديم – وأصدر الملك « نفر – ار – كارع ٣٧٠ ، ق . م » أمراً بمنع فصل أي رجل يعمل في المعبد أو التصرف في الأراضي الموقوفة عليه – وعدم تشغيلهم في أعمال أخري غير تخصصهم – وبني الملك ببيي الثاني ٥٨٥ ، ق . م من الأسرة السادسة معبداً جديداً في هذه المنطقة ومزودة بباب كبير من الحجر الجيري في الجانب الشرقي من المنطقة .

واعتنت الأسرة ١٢ (١٣٤- ق . م) بمعبد أوزوريس بكوم السلطان وزودته بكثير من المناظر التي تمثل حياة الشهيد ووفاته .

ومنذ ذلك الحين تنافس الفراعنة في توسيع آثار تلك المنطقة ومنهم أحمس

الأول بطل تحرير الهكسوس ، وتحتمس الثالث رجل الحرب ، ورمسيس الثاني ، ورمسيس الثالث ورمسيس الرابع وأحمس الثاني وقدم بقية الأمراء والحكام الكثير من العمائر واللوحات لأوزوريس .

وقد غطت الرمال معظم آثار تلك المنطقة ولكن الإنسان يشعر بالرهبة إذا ما وقف في ذلك المكان بين تلك الأطلال التي عمرها الناس وقدسها منذ ٣٥٠٠ سنة .

ويقع إلي الغرب من المنطقة أطلال صرح أو بناء من الحجر الجيري زين بعمــد ، بدأه سيتي الأول وأتمه رمسيس الثاني وأكبر الظن أنه بني خصيصاً لتمجيد الملوك الأوائل .

ويقع بين كوم السلطان وشونة الزبيب أطلال منازل من أيام الأسرة الرابعة (٢٩٠٠ – ٢٧٥٠ ق . م) نري منها حجرات عاش فيها الناس هذه العصور القديمة وأفران كانت تستخدم لصناعة الخبز .

شونة الزبيب

تقع شونة الزبيب إلي الشمال الغربي لمعبد رمسيس الثاني وإلي الغرب من كوم السلطان ، وهي عبارة عن بناء مستطيل الشكل شيدت حوائطه الضخمه من اللبن وكانت في الأصل ملونة باللون الأبيض ، ويبلغ سمك الحائط الداخلي متران تقريباً وارتفاعه حوالي ١٢ متراً .

ولا يستطيع أحد أن يعرف متي ولأي غرض أسس هذا البناء ، وغالبا أنه بني أيام الأسرات الأولي والثانية وجزءاً منه يكون قبراً ، وقد وجد بداخله غرفا كانت تستعمل أما منازل للحراس الذين كانوا يقومون بحراسة الجبانات من لصوص المقابر ، أو تستعمل كجبانة توضع فيها مومياء الموتي ، الذين جاؤوا إلي المنطقة يلتمسون البركة من أوزوريس .

وقد أستخدمت شونة الزبيب أيام الأسرة ٢٢ ومابعدها ليوضع بها مومياء الطائر المقدس أبو منجل – كما عثر علي الكثير من مومياء هذا الطائر المقدس في حوائط هذا البناء أو في أواني فخارية ملونة ومزخرفة وقد أعتقد بعض العلماء والمستكشفين الذي

قاموا بحفائر في هذه المنطقة وحول هذا البناء أن هذه التسمية ترجع إلي المعني المصري القديم « شنت حجوتي هب » أي « مخزن أواني الطائر أبو منجل » .

ويقع إلي الشمال من شــونة الزبيب بناء آخر شبيه به إلا أنه مهدم وقد سمي (الحصن الأوسط) من أيام ملوك الأسرة الثانية .

أم الجعاب
(قبور ملوك الأسرات ١ ، ٢ ، ٣)

كانت مصر قبل عهد « نعرمر – مينا » مقسمة إلي قسمين مصر العليا ، مصر السفلي ، وكانت العاصمة « طينة » بالقرب من مدينة جرجا الحالية ، ومن أجل ذلك بني ملوك ذلك العهـــد قبورهم بأبيدوس ، ثم جاء « نعرمر – مينا » واستطاع أن يوحد الأقليمين ويتخذ منف عاصمة في الشمال ولو أنه بني قبراً له في أبيدوس إلا أنه شيد قبرا آخر بصقارة ، ولكن الظاهر أن هؤلاء الملوك دفنوا في أبيدوس .

وتقع هذه القبور الملكية القديمة إلي الغرب من معبد سيتي الأول وبالقرب من سفح التلال – وقد كشف عن هذه القبور منذ حوالي ٧٠ عاما ولكنها وجدت منهوبة ومحروقه في العصور القديمة .

وقد عثر علي آثار جميلة في هذه الجبانة اعطتنا فكرة عن حضارة هذه الناس في تلك العهود ، ويوجد بالمتحف المصري بعض هذه القطع من أساور ذهب وحجارة نصف كريمة عثر عليها في قبر الملك « زر » وبعض تماثيل الأسود والكلاب الصغيرة من العاج والبللور كانت تستعمل في أدوات اللعب والتسلية .

وهذه القبور مغمورة حالياً بالرمال ولكننا نجد نموذجاً لأحد هذه المدافن كما تصوره رجال الهندسة في عصورنا الحديثة معتمدين علي بعض الأطلال وهو للملك (بير – ايب – رسن) من ملوك الأسرة الثانية ولقبر ذلك الملك تاريخ يستحق التسجيل فقد أنشأ هذا المدفن من أجله فهو من ملوك الأسرة الثانية – ثم لما جاء ملوك الأسرة ١٢ اعتقدوا أن هذا القبر خاصا بأوزوريس .

ومن أجل ذلك وضعوا القرابين عليه عملا بعبادة وتقديس أوزوريس حتي

ازدحمت الأوعية التي كانت تحمل فيها هذه القرابين ولا زال جزء كبير منها بمكانة إلي يومنا هذا – من أجل ذلك أطلق علي هذا المكان « أم الجعاب » أي (صاحبة الأواني) وأغلب هذه الأواني من الفخار الأحمر وقليل منها من المرمر والديوريت وإلي الشمال الشرقي من « أم الجعاب » جبانة بطانات الملوك والحاشية ولكن معظمها غطيت بالرمال ولم يبق إلا بعض قطع من شقاف وآثار من الطوب النيء .

الجبانة الجنوبية

تقع هذه الجبانة بالقرب من جبانة المسلمين الحالية والتي تبعد بحوالي عشرين دقيقة سيراً علي الأقدام إلي الجنوب من معبد سيتي الأول .

آثار سنوسرت الثالث

من ملوك الأسرة الثانية عشرة وقد عثر علي تمثال لسنوسرت الثالث بالقرب من المكان الذي يقام فيه سوق القرية الآن وقد هشم جزء كبير من هذا التمثال الذي صنع من الحجر الرملي ويمثل سنوسرت الثالث (١٨٨٧ – ١٨٤٩) ق . م جالسا علي عرشه وأكبر الظن أنه أحد تمثالين كانا أمام معبد من معابده ولو أننا نرجح أن سنوسرت الثالث قد دفن في هرمه بدهشور إلي الجنوب من صقارة – لكنه بني لنفسه قبراً رمزيا بأبيدوس كما كان يفعل الناس لملوكهم وأمرائهم في هذه العصور التماسا في البركة وذلك حول قبر أوزوريس ويقع هذا القبر الذي بني من اللبن بالقرب من التلال الغربية .

آثار أحموس الأول

إلي جنوب معبد سيتي الأول وتمثال سنوسرت الثالث مكان يسمي كوم الشيخ محمد وله تاريخ يستحق التسجيل .

وقد بني أحموس الأول معبداً له شرفات وطريق منحدر يصل إلي كوم الشيخ محمد علي المنحدر السفلي للتل المواجه لهذا الكوم كما نحت له قبراً في الصخر إلي الشرق من هذا المعبد به بهو رفع سقفه بثمانية عشر عموداً مربعا وبه حجرات صغيرة وممرات .

وكانت حدود مملكة أحموس الشمالية قبل أن يحرر مصر من الهكسوس هي أبيدوس والظاهر أنه كان ينوي أن يدفن في هذا المكان لأن هذا القبر استلزم جهودا كبيرة ، وليس من المعقول أن يكون قبراً رمزياً .

وقد استخرج من هذا المكان حجارة كثيرة جمعت في شكل هرمي علي حافة الصحراء ، واعتقد أن لصوص المقابر سوف يشغلون بالبحث عن القبر وسط هذا الهرم الكاذب .

وقد خدع الكثير من رجال الحفر وبحثوا كثيراً في هذا الكوم المسمي الآن بكوم (الشيخ محمد) ولكن لم يجدوا شيء واستطاع بذلك أحموس أن يخدع الناس بهذا المظهر ، وبني لنفسه قبراً آخر في طيبة دفن فيه .

وإلي الشمال قليلاً من (كوم الشيخ محمد) نجد آثاراً من اللبن هي بقايا حي من أحياء أبيدوس بني أيام أحموس الأول خاص بالعمال ، كما يقع في منتصف الطريق المؤدي إلي قبره والهرم الكاذب سور صغير اختارته الملكة ، تيتي شري ، أم أحموس الأول ليكون قبراً لها .

وكانت هذه الملكة زوجة البطل الأول ، سقنن – رع ، أول من ثار ضد الهكسوس ووقع في ساحة القتال قتيلاً ، وقد عاشت هذه الملكة لترى ولديها ، كاموسي ، وأحموس ، ينتقما لوالدهما من الهكسوس ولتري حفيدها أمنحتب الأول ١٥٥٧ ق . م يطاردهم في عقر دارهم في آسيا .

وقد بني أمنحتب الأول الأثر الرمزي لجدته ، تيتي شري ، ووضع لوحاً سجل فيه هذا العمل (محفوظ بالمتحف المصري) .

مصطبة الملك زوسر بناحية بيت خلاف

تقع قرية بيت خلاف علي بعد ١٥ كيلو متراً إلي الشمال من أبيدوس ، ولكنها تعد بذلك جزءا من جبانة طينة ، وفي هذا المكان بني الملك زوسر لنفسه مصطبة من اللبن (من ملوك الأسرة ٣) علي غرار أسلافه ، وتقع هذه المصطبة وسط سهل رملي ويبلغ طولها حوالي ٥٠ / ٨٥ متراً وعرضها ٢٠ / ٤٦ متراً وارتفاعها حوالي ١٣ متراً .

وقد نحتت حجرة الدفن في الصخر حيث تتصل بواسطة سلم نحت أيضاً في الصخر ، حيث يبدأ عند قاع بئر عريض في الناحية الشمالية للبناء العلوي ، كما يلاحظ وجود خمسة آبار أخري تبدأ من القمـــة في البناء العلوي إلي السلم السابق ذكره .

وفي نهاية كل سلم قطعة كبيرة من الحجر كانت تسد الطريق . ولكن الحقيقة أنه دفن بصقارة أما تحت الهرم المدرج نفسه الذي بناه هناك ، أو في حجرة الدفن الأخري الموجودة بالناحية الجنوبية للسور الضخم المحيط بالهرم وملحقاته وربما يكون هذا القبر لأحد كبار موظفيه .

وبني الملك « سانخت » خليفة زوسر في بيت خلاف مصطبة أخرى لكنها تهدمت وغطيت بالرمال تماماً .

ويمكننا الوصول إلي بيت خلاف هذا بواسطة سيارة خاصة من جرجا ثم نصل إلي مصطبة زوسر بواسطة دابة من الدواب .

بعض الآلهة والآلهات التى كانت تعبد وجاء ذكرها بمنطقة « أبيدوس »

١ - أوزوريس « رب أبيدوس » :

هو ابن (جب) إله الأرض ، رب أبيدوس ، (ونوة) ربة السماء وقد تزوج من أخته إيزيس وحكم كملك علي مصر ، فقد نازعه في الملك أخاه ، ست ، الذي مثل به وقطعه ارباً والقي بأشلائه ال ١٤ قطعة في جنبات الوادي ، وأخذت إيزيس تبحث عنه وكلما تعثر علي عضو تقيم فوقه قبراً ، وقد أستقر جسده أخيراً في أبيدوس .

ولم تنتهي الأسطورة بل تصوره المصريون وقد بعث فحكم الموتي في عالم الآخرة ، وكانت أبيدوس هي رمز عبادته الرئيسية ومثل به أحياناً متوجا بالتاج الأبيض الخاص بمصر العليا محاطا بريشتين وبيده رمزي الملك .

٢ - إيزيس « سيدة السماء » :

هي أخت وزوجة أوزوريس وأم ولده حوريس وهي من الآلهة المحببة عن آل فرعون كأم بارة وزوجة حنونة ، كانت أبيدوس من المراكز الرئيسية لعبادتها ، وقد قدسها الناس في المدن الأخري كما قدسها الرومان ، وقد مثلت في غالب الأحيان علي صورة امرأه جميلة توجت بقرص الشمس بين قرني بقرة وأحيانا تحمل فوق رأسها رمز علي هيئة كرسي .

٣ - حوريس « ابن إيزيس » :

هو ابن إيزيس وأوزوريس وقد ألهه الناس في مصر الفرعونية بعد وفاة أبوه كما لقبه الفراعنة الذين حكموا مصر بحوريس .

ويري هذا الإله ممثلا علي معظم الآثار في صورة (صقر) متوجاً بالتاج المزدوج وأحياناً في صورة طفل صغير وطائره المقدس الصقر .

٤ - آمون رع « ملك الآلهة » :

يعتبر آمون رع أكبر الآلهة بطيبة عاصمة البلاد ورب الأرباب في كل المعابد الفرعونية وملك الآلهة - ومعني كلمة آمون رع (المختفي عن الأنظار) كل ذلك يدل علي تقارب وجهة نظر المصريين القدماء بالأديان السماوية ، وقد ازداد نفوذ كهنة آمون رع حتي أن أحد كبار كهنته في أواخر الأسرة ٢٠ واسمه (حرحور) استطاع أن يصل إلي العرش وأسس الأسرة (٢١) وحيوانه المقدس هو الكبش أو الأوزة .

٥ - موة سيدة الآلهة :

موة معناها الأم زوجة آمون رع وأماً للإله « خنسو » إله القمر . وطائرها المقدس أنثي العقاب علي هيئه امرأة متوجة بالتاج المزدوج وقد مثلت موة ترضع الملك سيتي الأول إلي يسار مدخل هيكل آمون رع بمعبد سيتي الأول .

٦ - خنسو (أحد أفراد الثالوث بطيبة) :

هو ابن آمون رع وموة وكان يمثل إله القمر ، وقد صور عادة علي شكل شاب لف جسمه بقماش علي هيئة مومياء علي رأسه قرص الشمس واحياناً يمثل بجسم صقر ورأس آدمي وكذلك علي الحائط الجنوبي بمعبد سيتي الأول .

٧ - بتاح « رب الحق والصدق » :

هو إله منف الرئيسي وقد تصوره المصريون القدماء صانع كل ما في الوجود ومن أجل ذلك أطلق عليه اسم « الصانع العظيم » ، كما اعتبر بتاح مشرفاً علي الفنانين والنحاتين علي هيئة مومياء .

٨ - سخمة « محبوبة بتاح »

هي زوجة بتاح وأماً لـ « نفر توم » (القوية) وكانت تعتبر آلهة الحرب والنار والغضب ومثلت علي هيئة امرأه برأس لبؤة متوجة بقرص الشمس وحيوانها المقدس هو اللبؤة ، وقد مثلت الإلهة سخمة بمعبد سيتي الأول على واجهة هيكل بتاح وكذلك علي الحائط الشمالي .

٩ - نفر توم (الإله العظيم) :

هو ابن بتاح وسخمة ، وقد مثل في أغلب الأحيان علي هيئة رجل زينت رأسه بزهرة اللوتس يعلوها ريشتان ، واحياناً علي هيئة أسد وهو حيوانه المقدس .

١٠ - حور آختى « الإله العظيم ورب الأفق » :

هو حوريس صاحب الأفقين ، وكان هذا الإله علماً علي الشمس كما عبد في هليوبوليس ، ومثل في أغلب الأحيان علي هيئة رجل له رأس صقر وقد توج بقرص الشمس ، وصور أيضاً برأس كبش كما هو واضح علي واجهة مقصورته بمعبد سيتي الأول بالعرابة المدفونة ، وطائره المقدس هو الصقر .

١١ - أيوس عاس « التى تسكن فى منزل (ماعة - رع) :

أي معبد سيتي الأول - وهي آلهة هليوبوليس وكانت زوجة ، حور آختي ، ومثلت علي هيئة امرأه توجت بقرص الشمس محاطاً بقرني بقرة .

١٢ - آتوم « رب الأرض بهليوبوليس » :

كان آتوم إله الشمس الغاربة وقد عبد في هليوبوليس وبيثوم وهي مدينة تقع إلي القرب من المسخوطة (تل المسخوطة) بحوالي ١٣ كم بالدلتا ومثل في هيكل (حور آختي) .

١٣ - جب « الإله العظيم » :

إله الأرض وقد جاء في الأساطير أنه حكم كملك علي مصر وهو والد كل من أوزوريس وإيزيس وست ونفتيس وحوريس الكبير ، ومثل احياناً كملك متوج بتاج الوجة القبلي واضعاً أوزة فوق رأسه وكذلك مستلقيا علي الأرض ومن فوقه نوة زوجته التي تمثل السماء .

١٤ - نوة « التى ولدت الآلهة » :

كانت نوة تمثل آلهة الأفق أو السماء كما يعني ذلك اسمها ، وكانت زوجة جب إله الأرض وأما لأوزوريس وإيزيس وست ونفتيس وحوريس الكبير ومثلت إحياناً تحمل

فوق رأسها إناءاً مستديراً ، وأحياناً علي صورة امرأة تجردت من الملابس وانحنت علي أطرافها وقد صور بجسمها نجوم زرقاء وظهر من تحتها زوجها جب ومثل كل من الإله جب والآلهة نوة علي سقف الحجرة الشرقية بالأوزيريون .

١٥ - خنوم « الذى يسكن أبيدوس » :

يطلق علي خنوم أحياناً إله الفخار ويمثل برأس كبش وجسم إنسان ، وأحياناً يصور وهو يشكل جسم الملك علي عجلة الفخار ، ومراكز عبادة هذا الإله الرئيسية أسوان وإسنا وحيوانه المقدس هو الكبش مثلما نجده ظاهراً ببهو الأعمدة الثانية بمعبد رمسيس الثاني .

١٦ - سوكر « رب شتيت » :

كان سوكر إله الموتي بمنف وشبه بأوزوريس ومثل برأس صقر وجسم آدمي أو مومياء آدمي وطائره المقدس الصقر ، وقد مثل هذا الإله بأشكاله المختلفة في هيكله بمعبد سيتي الأول .

١٧ - أوب واوات « إله الجنوب » :

يعني اسم هذا الإله فاتح الطرق وكان الناس في العصور القديمة ينظرون إليه علي أنه حارس الجبانة خصوصاً جبانة أبيدوس .

وقد مثل برأس ابن آوي وجسم آدمي ، كما مثل علي هيئة ابن آوى لأنه حيوانه المقدس ، كما مثل علي الحائط الشمالي لبهو الأعمدة الأول بمعبد سيتي الأول .

١٨ - ماعة « سيدة السماء » :

أطلق أيضاً علي هذا الإله لقب « أخت رع » إله الشمس وهي ربة الصدق والعدل والحق ومثلت علي صورة امرأة زينت هامتها بريشة النعامة وهي الرمز المعبر عنها وقد مثلت على بهو الأعمدة الثاني بمعبد سيتي الأول .

١٩ - مين « الذى يرفع ذراعه » :

مين هو إله الإخصاب ، وقد شبه بآمون رع ، وكانت أخميم وقفط هما مركز عبادته الرئيسيتان ، واعتبره المصريون حامي للمسافرين خصوصاً الذين يسلكون الطرق الصحراوية وحيوانه المقدس العجل الأبيض وتوجد هياكله في معبد سيتي الأول ورمسيس الثاني .

٢٠ - سشاه « ربة الكتابة » :

كانت هذه الإلهة رئيسة آلهة الكتابة والتاريخ والهندسة وقد شوهدت وهي تتعاون مع الملوك في حفل إقامة المعبد ، كما نراها كثيراً وهي تقوم علي كتابة أسماء الملوك علي شجرة هليوبوليس المقدسة ، وقد وجدت ممثلة في أماكن كثيرة علي الحائط الشرقي لبهو الأعمدة الأول . وعلي البرج الجنوبي للصرح الثاني بمعبد رمسيس الثاني .

٢١ - جحوتى « رب الأشمونين » :

كان جحوتي إلهاً للعلوم والمعرفة ، ومثل في أغلب الأحيان برأس الطائر أبو منجل وجسم آدمي ، وحيوانه المقدس أبو منجل أو القرد وقد خصص له رمسيس الثاني مقصورة بمعبده .

٢٢ - حتحور « إلهة دندرة » :

حتحور هي إلهة الجمال والفرح والموسيقي والرقص وكانت دندرة وهليوبوليس مركزين رئيسيين لعبادتها ، ومثلت في أغلب الأحيان علي هيئة امرأة متوجة بقرص الشمس محاط بقرنى بقرة ، كما صورت أيضاً كامرأة برأس بقرة وهي حيوان تلك الآلهة المقدسة وصورت أيضاً بالريشتين وقرص الشمس .

٢٣ - تاتنن « الإله العظيم » :

هذا الإله من منف وصور علي هيئة رجل متوج بقرص الشمس وقرنى الكبش والريشتين خصوصاً الكبش على بهو الأعمدة الثاني في الحائط الجنوبي بمعبد رمسيس الثاني .

٢٤ - أنحدت « الإله العظيم » :

قدس هذا الإله أولاً في طيئة بالقرب من جرجا ثم في أبيدوس ومعني اسـمه « الذي أحضر البعيد » ويقصد بالبعيد هنا الآلهة تفنوة إذ تقول لنا الأسطورة أن الآلهة تفنوة غضبت وهربت إلي صحراء النوبة فتبعها الإله أنحرت وهدأ من روعها وأحضرها إلي مصر ، وهو يمثل عادة متوجاً بتاج الوجه القبلي ومرتدياً رداءاً طويلاً وقد رفع بيده سهما وقد تمثل علي الحائط الشمالي لهيكله بمعبد رمسيس الثاني .

٢٥ - رنبة « إلهة الأبدية » :

كانت هذه الإلهة رمزاً للسنين والفصول ، وقد مثلت علي هيئة امرأة تعلو رأسها علامة السنين وتشاهد « رنبة » مع إلالهة ماعة ممثلة علي الحائط الشمالي لبهو الأعمدة الثاني بمعبد سيتي الأول .

٢٦ - إمنتة « سيدة السماء » :

معناها (الغرب) وقد كانت هي إلهة الغرب الذي كان يعبر به عن مستقر عالم الموتي ومملكة أوزوريس والآخرة ، وقد مثلت الإلهة إمنته على هيئة امرأة توج رأسها صقر علي حامل رمز الغرب (معبد سيتي الأول) .

٢٧ - نفتيس « الأخت المقدسة » :

أخت أوزوريس وأيزيس وإله الشر « ست » وزوجته وقد هجرت نفتيس زوجها « ست » بعد أن قتل أخاه أوزوريس ، كما عاونت إيزيس في البحث عن أشلاء أخيها أوزوريس وقد مثلت علي هيئة امرأة وفوق رأسها رمزها – ونراها ممثلة علي الحائط الشمالي لبهو الأعمدة الثاني بمعبد سيتي الأول

٢٨ - نون « الإله العظيم » :

يمثل نون روح المحيط الأزلي الذي نشأ قبل بدء الخليقة وقد وجد مصوراً أحياناً كرجل متوج بقرني الكبش وريشتين ، كما صور في مناظر أخري وهو يحمل قارب الشمس في الصباح من العالم السفلي إلي السماء ، ونشاهد صورة هذا الإله على

الحائط الغربي لمدخل الممر الغربي بالأوزريون ، وكذلك بالطرف الجنوبي والحائط الغربي لهيكل جحوتي بمعبد رمسيس الثاني .

٢٩ - مرحى « يقظن فى معبد ماعة » :

وهو العجل القديم لمنف ، وشبه مؤخراً بأوزوريس ويمثل علي هيئة جسم آدمي برأس ثور - ويشاهد علي الحائط الشرقي لبهو أوزوريس والهيكل الغربي .

٣٠ - أنوبيس « المحيط » :

يطلق علي أنوبيس أحيانا لقب ، ابن أوزوريس ، وهو يشبه ، أوب واوات ، ويوجد ممثلاً علي الحائط الغربي لمدخل الممر الخاص بالأوزريون .

٣١ - آتون إله الشمس « رب العمارنة و اخيناتون » :

يطلق على هذا الإله آتون رب العمارنة وقد أنشأ هذه الديانة اخناتون وزوجته نفرتيتي فى محاولة لإتمام وإنشاء ما كان يعتبره إصلاحاً للعقائد الدينية ، وبني لإلهه الجديد (آتون) مدينة جديدة مقدسة بتل العمارنة أسماها ، اخيتاتون ، - أو ، أفق آتون ، وبنى معبداً كبيراً لعبادة آتون ومنازل خاصة لراحة آتون ، وتهلل آتون ومبانى مقدسة أخرى لعبادته - ومن المناظر الموجودة فى القصور والمقابر والمعابد فى مجموعها تظهر لنا شخصية واحدة وبيت واحد وسيرة واحدة وعائلة واحدة للحياة وطريقة واحدة لعبادة آتون (رمز الشمس) بأشعتها الممتدة والمنتهية بشكل أيادى تحمل علامة الحياة إلى أبد الآبدين ، وقد سقطت عبادة آتون بموت الفرعون إخناتون الذى أظهرها للوجود كما حاربها كهنة الإله آمون وقضوا عليها .

الفصل الخامس عشر

دنـــــــدرة

تقع دندرة التي عرفها اليونان باسم « تنتيرا » علي بعد ٤١٧ ميلا من القاهرة بطريق النهر ، بينما تبلغ المسافة بين القاهرة وقنا [١] التي يمكن منها زيارتها ٥ر٣٧٧ ميل بالسكة الحديد .

ويستلزم الطريق من قنا عبور النهر إذ إن السكة الحديد تعبر النيل إلي البر الشرقي عند نجع حمادي الواقعة علي بعد ٥ر٣٤٣ ميل وتستمر علي هذا الجانب حتي أسوان .

وكان اسمها القديم الذي اشتق منه الاسمان « دندرة » و « تنتيرا » هو « انيت – تي – انتوري » .

وكانت المدينة عاصمة المقاطعة السادسة من مقاطعات الوجه القبلي ، وكانت تقدس حاتحور الإلهة ذات الأشكال والوظائف المتعددة وإن كانت وظيفتها الرئيسية إلهة الحب والسرور .

(١) تعد محافظة قنا أغنى محافظات جمهورية مصر العربية بالآثار الفرعونية ، ويكفيها فخراً أنها تضم طيبة عاصمة مصر ، بل العالم القديم أجمعه فى منتصف الألف الثانى قبل الميلاد .

وكانت مدينة الأقصر عاصمة مصر فى أيام الدولة الحديثة وأول ما يقابلنا من الآثار الهامة فى هذه المحافظة هو معبد دندرة من العصر اليونانى الرومانى ، وهو يقع على الضفة الغربية للنيل إلى الشمال من المكان المقابل لمدينة قنا ، كما تقع اسنا فى طرف المحافظة الجنوبى ، وهى تضم الجانب المتبقى من معبد المدينة الضخم الذى يرجع تاريخ مبناه الحالى إلى العصر اليونانى الرومانى ، وبمحافظة قنا عشرات من المناطق الأثرية – مثل : القصر والصياد ، وهو ، المداموود ، أرمنت ، الطود ، الجبلين ، المعلا وغيرهما .

وتضم هذه المحافظة (الثنية - المعروفة) على النيل باسم (ثنية) قنا وتمتاز باتساع أرضها وسمك تربتها إذ قلل الإنحناء فى مجرى النيل من سرعة المياه ، فترسب ما تحمله من طمى ، كذلك قللت هذه الثنية الكبيرة المسافة بين النيل والبحر الأحمر فأصبحت بعض بلادها التى تقع عند نهاية الصحراء الشرقية كوادى الحمامات ووادى قنا بداية لدروب الصحراء التى تربطها بموانى البحر الأحمر ومناطق التعدين القريبة منها .

وقد لعبت منطقة قنا دوراً هاماً فى التاريخ الفرعونى ، فقد كانت بعيدة عن الغزوات القادمة من الشمال أو الجنوب فصارت مركزاً صالحاً لمقاومة المعتدين ولهذا السبب تزعمت حركات الوحدة فى كافة العصور الفرعونية وقد أطلق عليها اسم كينوبوليس فى أيام البطالمة (المراجع) .

فهي بذلك المرادف المصري للإلهة « أفروديت » اليونانية . وقد اشتهرت المدينة في الأساطير المصرية التي ترجع إلي بدء الخليقة بأنها كانت مسرحاً لإحدي المعارك الكبيرة التي دارت بين حورس إله أدفو وست إله الشر .

ولا شك أنها تمثل بعض معارك القبائل التي سبقت وانتهت بتوحيد القطرين الوجه القبلي والبحري .

والمعروف أن حورس إله أدفو وحاتحور إلهة دندرة قد تزوجا وأن ابنهما « حور سماتاوي » (حورس موحد القطرين) كان واحداً من الآلهة الكثيرين المعروفين في الأساطير المصرية باسم حورس .

وتمثل حاتحور في الفن الدينى المصرى بأشكال تكاد لا تحصر ، ولكنها غالباً تمثل بشكل امرأة يزين رأسها قرص الشمس بين قرنى البقرة ، وفى كثير من الأحيان كانت تمثل كامرأة لها رأس بقرة تحمل قرص الشمس والقرنين .

وقد اختلطت الفكرتان الخاصتان برأس المرأة ورأس البقرة تدريجياً حتى انتهى الأمر إلى أن تمثل برأس امرأة وأذنى بقرة .

وهو مظهر كانت تصور به حاتحور باستمرار فنراها مثلاً كحلية ليد المرآة اليدوية أو كعنصر معمارى لتاج عمود ، وبهذا الشكل الآخر نرى الإلهة ممثلة فى صالة أعمدة معبد دندرة .

ويعتبر المعبد الذى نحن على وشك زيارته الآن من أحسن المعابد المحفوظة وأكثرها تأثيراً [١] في النفس وأجملها . وهو بهذه الصفة يشارك معبد أدفو الشديد الصلة به .

ومن الطبيعي – ولكنه من سوء الحظ للزائر الذى لا يكون ملماً بتاريخ العمارة المصرية – أن أكمل المعابد المصرية وأكثرها جاذبية هي إما من العصر البطلمى وإما من العصر الرومانى .

---

(١) يتميز هذا المعبد بالتوازن والقوة من الناحية المعمارية ، وبمناظره الهامة سواء تلك التى تتعلق بتأسيس المعبد وتكريسه للآلهة أو التى تتناول الشعائر والطقوس الدينية ، أو التى تسجل معلومات المصريين القدماء فيما يتعلق بأجرام السماء وبروج النجوم .

ومن خصائص ذلك المعبد تلك الخزائن السرية التى شكلت فى سمك الجدران أو فى الأساسات ثم أغلقت بكتل حجرية متحركة ، زخرفت كمبانى جدران المعبد (المراجع) .

وهذه الحقيقة جديرة بأن توحي بتقدير مؤقت لما هو حقاً ليس مصرياً علي وجه خاص وإلي الحط من قيمة الأعمال السابقة التى هى من صميم عمل أهل البــلاد .

على أن الدراسة العميقة سرعان ما تبين لنا أن ما تتميز به المعابد البطلمية والرومانية من أنها أكمل نتيجة لتأخرها عن مثيلاتها من عصر الأسرات ببضعة قرون .

ويتضاءل أمام الحقيقة الواضحة فى أن الفن الذى تمثله لم يعد الفن القوى الذى تتميز به العصور الأولى ولكنه الفن المتدهور المتداعى فى زمن تأثرت فيه مصر المحتضرة بمؤثرات خارجية مؤقتة من اليونان والرومان .

وقد انتهى الواقع الأول لأعمال البطالمة كما نراه ممثلاً تمثيلاً طيباً فى دندرة إلى إعجاب بالنحت الزخرفى الجميل الذى نراه موزعاً بإسراف زائد على جدران أو حجرات المعبد الكبير .

ولكن بدراسة أكثر عمقاً وعناية تظهر لنا الحقيقة التى تقول بأنها « تتملق لكى تخدع » ، فعندما نذهب إلى هذا المعبد وفى أذهاننا تأثير الأعمال الفائقة الجميلة والرقيقة لفنانى سيتى بأبيدوس نجد أن النحت فى دندرة عادياً ومخيباً للآمال .

ومن المؤكد أن الميزة العامة لأعمال البطالمة ومن تلاهم هنا وفى الأماكن الأخرى هى أنها جذابة فقط فى مجموعها ولكن تأثيرها يزول دون شك إذا ما فحصت فى تفاصيلها .

ورغم أن الشخوص البطلمية تسترعى الإنتباه عند أول نظرة غير أنها تظهر كأنها محشوة بقطن مندوف وبطريقة خاطئة ، فهى محشوة فى أغلب الأحيان فى غير مواضعها .

وإذا قارنا هذه الأشكال بأعمال سيتي بأبيدوس فإننا لا نقارنها بأحسن ما أنتجه الفن المصرى ، رغم أن فن أبيدوس وصل إلى مستو عال ولكن الخطوط الدقيقة التى أبدعها الفنان القديم تبدو إلى جانب الأشكال البطلمية كجواد أصيل بجوار حصان يجر عربة .

وهذا بالطبع لا يعنى أن معبد دندرة خال من التأثير ، فهو مثير إلي درجة

كبيرة كما يبدو ذلك من الحماس غير المحدود الذى أثاره هذا المعبد بين العلماء الملحقين ببعثة نابليون .

ويقول « دينون » : « بودي لو أمكننى أن أنقل إلى أذهان قرائى الإحساس الذي شعرت به ، فلقد كنت مذهولاً إلى درجة تجعلنى لا أستطيع أن أحكم ، فكل ما رأيته فى العمارة قبلاً لم يكن كافياً لإثارة إعجابى » (ف. دينون رحلات فى مصر السفلى والعليا . ص ١٧٨ (١)) .

وإن بناء فخم كدندرة له مثل هذا التأثير على قاض قدير لابد أن تكون له مزاياه مهما كانت عيوبه ، على أن ما يجب أن نؤكده هو أن معبد دندرة مهما كان أو أي معبد آخر من العصر البطلمى أو من عصر تال له ليس جديراً بأن يقارن بالأعمال المجيدة من عصر الأسرات ولا يمكن اتخاذه كنموذج للمعبد المصري (٢) .

وتذكر الكتابات فى المعبد الحالى أن المبنى الأصلى أقيم بواسطة أقدم الملوك المعروفين فى الأساطير باسم « أتباع حورس » وهى مجرد طريقة أخرى للتعبير عن الحقيقة بأن أصله - إذا ما استعملنا هذه الجملة المبتذلة - « ضاع فى غياهب القدم » .

وحقيقة الأمر أن خوفو من الأسرة الرابعة بانى الهرم الأكبر أقام معبداً هنا وهو المفروض أنه أقيم فى نفس المكان الذى أقيم فيه معبد ما قبل التاريخ .

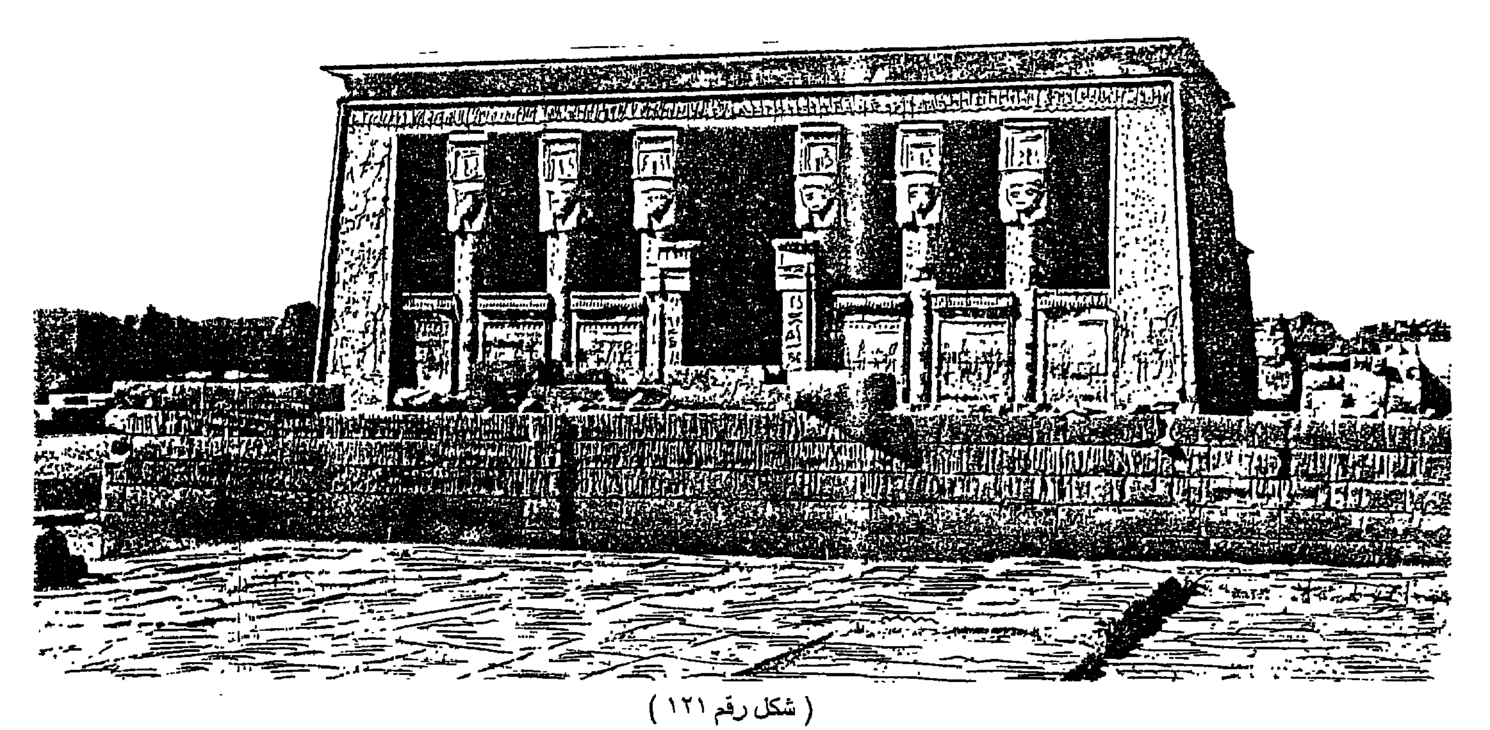
وفى أيام بيبى الأول عثر على تخطيط قديم لهذا المبنى مما حدا بالملك أن يعيد بناء المعبد الذى كان قد تخرب .

ويبدو أنه كان لدندرة أهمية في ذلك العصر كما كان الكثير من أشرافها يحملون ألقاباً عسكرية كلقب « حاكم القلعة » ، و « المشرف على مخازن معدات الحرب » أو « قائد الجيش » مما يوحى بأن المدينة كانت معسكراً .

---

(١) (V. Denon, Voyages Dansla Basse et la Hante, P. 178).

(٢) فى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد ، أمر أحد البطالمة الأواخر وفى الغالب كان بطليموس التاسع فيلو ميتر سوتر بإزالة بناء المعبد القديم الذى أقيم منذ عهد الملك خوفو لحتحور الإلهة الحامية لدندرة وإقامة معبد آخر جديد على أنقاضه ، ولم يتم بناء معبد دندرة إلا فى عهد أباطرة الرومان ، ويعتبر هذا المعبد من أروع ما أخرجه فن المعمار فى عصر البطالمة والرومان (المراجع) .



(شكل رقم ١٢١)

واجهة الأعمدة بمعبد دندرة الذى يمكن الدخول إليه من البوابة المهدمة لدوميتان وتراجان اللذين نشاهد اسميهما مع اسم نيرقا عليها – وإلى اليمين بعض الأبنية الصغيرة وبيت الولادة لأغسطس وكنيسة قبطية وبيت الولادة لنقطانبو أما الحرم الذى نمر خلاله فيبلغ حوالى ٩٠٠ × ١٠٠٠ قدم ومحاطاً بسور من اللبن وأمامنا واجهة صالة الأعمدة الكبرى ويبلغ المعبد فى جملته حوالى ٢٦٠ قدم والواجهة رائعة بأعمدتها الضخمة المشكلة علي هيئة صلاصل تتوجها رأس حتحور ودعاماتها المنحوتة نحتاً جميلاً وكورنيشها الضخم وبين الأعمدة الحاتحورية توجد ستائر من الجدران ، وبين العمودين المتوسطين يبرز كتفا الباب الذى كان يقفل فى وقت من الأوقات المدخل وإذا دخلنا الصالة وجدنا أنفسنا وسط غابة من الأعمدة متشابهة لأعمدة الواجهة الستة

وقد أسفرت حفائر بترى التى أجراها في الجبانة [١] عن كشف مقابر ستة من أمراء المقاطعة وهم الذين يبدو أنهم كانوا مع زوجاتهم وبناتهم متصلين بخدمة حاتحور - كما هو متوقع - ومن أهم ما يميز كتابات مقابر هذا العصر ما هو مذكور من أن الحاكم كان يتحدث عن نفسه بأنه قاد « انتقال » أو « رحلة » حاتحور .

وهذا بطبيعة الحال يشير إلى أحد الأحداث الهامة التى كانت تجرى سنوياً فى دندرة عندما كانت حاتحور تبحر جنوباً إلى أدفو فى مركبها المقدس لتزور زوجها حورس سيد أدفو .

وكان مركبها يلتقى بمركب حورس فى الطريق ، ثم يبحران معاً إلى أدفو وهناك تبقى حاتحور بضعة أيام فى رفقة زوجها ثم تعود شمالاً إلى معبدها .

ونصوص الدولة الوسطى ليست كثيرة ، وأطرفها كتابة على لوحة جنائزية لشخص يدعى « ختم اردو » كان أميناً لمكتبة الملكة « نفرو كاويت » التى يحتمل أنها كانت زوجة « منتوحتب الثانى » من ملوك الأسرة الحادية عشرة .

ومن الواضح أن هذه السيدة الكبيرة كانت نصيرة للعلم كما كانت أمها « نبت » قبلها .

ويحدثنا « ختم اردو » كيف أخذت الملكة بيده : « لقد وضعتنى فى دندرة فى المخزن الكبير (المكتبة) الخاص بأمها العظيمة فى الكتابة .

« والعظيمة فى العلوم وفى قاعة الشورى الكبرى للجنوب » ، ثم يسترسل فى القول ليثبت كيف كان أميناً نموذجياً للمكتبة ! : « لقد أضفت زيادات للمجموعة معززاً إياها بأكوام من البردى والأشياء النفيسة بحيث لم يعد ينقصها شيء مما وصل إليه علمى .

ولقد رتبت الأشياء وجعلت نظامها يتسم بالجمال أكثر من ذى قبل وأصلحت ما وجدته تالفاً وربطت ما كان مفككاً (من الواضح أنه يقصد ملفات البردى) ونظمت ما وجدته مرتبكاً » .

ومن الواضح أن الهمجية التى سادت الجنوب فى عصر الانتقال الأول لم تأت كلية على التعليم أو حب التعليم في دندرة .

---

(١) تمتد إلى الجنوب من المعبد وهى تضم قبوراً نحتت فى الصحراء .

وفى عهد الأسرة الثامنة عشرة [١] أصلح تحتمس الثالث المعبد وأعاد رحلة حاتحور [٢] ، وقد اهتم تحتمس الرابع أيضاً بالمكان كما يظهر ذلك من الكشف الذى وجد به اسمه وتمثال ضخم لزوجته « موت ام ويا » في المعبد .

ولكن أعمال البناء فى الدولة الحديثة قليلة فلا يوجد من آثار رمسيس الثانى ورمسيس الثالث إلا أسماؤهما فقط ، بينما وجد قالب من الطوب مكتوباً باسم « من خبر رع » أحد ملوك الكهنة في الأسرة الحادية والعشرين .

وكان على البطالمة أن يبدأوا فى إقامة المبنى الحالى الذى أقيم فى وقت سابق لحكم الملك بطليموس الثامن أى سوتير الثانى إذ وجدت خراطيشه فى المخابيء السرية .

واستمر العمل فى أثناء حكم بطليموس العاشر وبطليموس الحادى عشر المعروف باسم « نيوس ديو نسيوس » وقد وجدت رسوم وكتابات كليوباترة السادسة [٣] وابنها من يوليوس قيصر المعروف باسم قيصريون على جدران المعبد .

كما ذكر اسم الإمبراطور أغسطس أيضاً - وتذكر إحدى الكتابات أن زخرفة الجدران الخارجية تمت في السنة الثانية من حكم الإمبراطور تيبيريوس .

بينما تذكر الكتابة اليونانية التذكارية الموجودة بأعلى كورنيش صالة الأعمدة

---

(١) فى عهد الهكسوس فقد معبد دندرة مكانته وأهمل أمره (المراجع) .

(٢) تعتبر حاتحور من أشهر المعبودات المصرية ، وقد شبهها اليونان بمعبودتهم « أفروديت » لأنها كانت آلهة الرقص والموسيقي والحب ، وكل ما يبعث علي السرور ، ومنذ الدولة القديمة كان مركز عبادة حاتحور الرئيسية في (دندرة) وكانت تقام لها أعياد كبيرة تذهب أثناءها في موكب فخم على صفحة النيل لزيارة زوجها الإله « حورس » فى أدفو وكانت كلما مرت بمعبد من المعابد التى بين دندرة وأدفو خرجت مواكب الآلهة فى سفن لتحيتها عند مرورها .

ولم تقتصر عبادتها على دندرة فقط بل كان لها شأن خاص ومعابد هامة مثل « جبلين » وأطفيح ومنف وطيبة والقوصية والدير البحرى - كما لعبت عبادتها دوراً هاماً فى مناطق بعيدة عن وادى النيل مثل سيناء وبونت وبيبلوس وتمثل على هيئة بقرة أو امرأة لها أذنا بقرة ومنذ الدولة الحديثة انتشرت فكرة « الحتحورات السبعة » (المراجع) .

(٣) الرأى السائد أن كليوباترة الشهيرة هى كليوباترة السابعة وليست السادسة كما جاء فى الكتاب .

أن « الصالة السابقة للهيكل كرست للإلهة الكبيرة أفروديت وزملائها في السنة ... من حكم الإمبراطور تيبيريوس » (السنة المشار إليها في النص غير مؤكدة وقد تكون السنة العشرين) وبذلك يرجع تاريخ المعبد ، كما نراه ، إلى الفترة الواقعة بين سنة ١١٦ ق.م تقريباً وسنة ٣٤ ميلادية .

وهنا نلحظ الحدث الغريب «وهو أن إكمال المعبد يكاد يتفق مع الحدث الفاصل ونعنى به ظهور المسيحية».

على أن تزيين المبنى استمر خلال حكم الإمبراطور كاليجولا وكلوديوس ونيرون .

أما البوابة الموجودة فى السور المحيط بالمعبد [١] فترجع إلي أيام الإمبراطور « دوميتان » و « نيرفا » و « تراجان » (٨١ - ١١٧ ميلادية) .

ولابد أنه كان يوجد بين هذه البوابة والواجهة الحالية للصالة الأولى صرح كبير وفناء ذو أعمدة جانبية إذ اتبع نفس النظام الذى روعى فى معبد أدفو الذى يرجع إلى عصر أسبق قليلاً ، على أنه يجب أن نفترض أن المال لم يكن موجوداً لإتمام المبنى .

وصف معبد دندرة

يمكن الدخول إلى المعبد من البوابة المهدمة لدوميتان وتراجان اللذين نجد اسميهما مع اسم « نيرفا » عليها [٢] .

وبين البوابة وواجهة المعبد نجد إلى يميننا بعض الأبنية الصغيرة وبيت الولادة لأغسطس وكنيسة قبطية وبيت الولادة لنقطانبو وهى التى سوف نذكرها فيما بعد ، أما الحرم الذى نمر خلاله فيبلغ حوالى ٩٠٠ × ١٠٠٠ قدم ، فهو بذلك مربع تقريباً وكان محاطاً كالعادة بسور من اللبن .

---

(١) ظل معبد دندرة وجزء من مخلفاته بحالة جيدة داخل سور من اللبن مربع الشكل ثم قويت زواياه وأركانه بالحجارة الضخمة ويبلغ محيطه حوالى ١٢٠٠٠ متر (المراجع) .

(٢) هذا هو المدخل الرئيسى فى الجهة الشمالية ، وهناك مدخل آخر ثانوى فى الجهة الشرقية ويوصل إلى المعبد طريق فى بدايته تمثالان لأبى الهول وفسقيات .

وأمامنا الآن واجهة الصالة الأولى أو صالة الأعمدة الكبرى أو البهو فهكذا تسمى بهذه الأسماء المختلفة .

ولا يمكن مقارنة معبد دندرة بطبيعة الحال بأي معبد مصري كبير فهو يبلغ في جملته حوالى ٢٦٠ قدماً فقط .

ولكن واجهته ولا شك رائعة بأعمدتها الستة الضخمة المشكلة على هيئة صلاصل تتوجها رأس حاتحور ، ودعاماتها المنحوتة نحتاً جميلاً ، وكورنيشها الضخم ، وبين الأعمدة الحاتحورية توجد ستائر من الجدران ، وبين العمودين المتوسطين يبرز كتفا الباب الكبير الذى كان يقفل فى وقت من الأوقات المدخل .

ويلاحظ أن وجوه حاتحور الموجودة على الأعمدة قد شوهت تشويهاً بالغاً بسبب التعصب الدينى ، كذلك أتلفت بعض رسوم الواجهة التى تمثل « أمير الأمراء الحاكم المطلق تيبريوس كلوديوس سيزار » .

وإذا دخلنا الصالة وجدنا أنفسنا وسط غابة من الأعمدة مشابهة لأعمدة الواجهة الستة ، فسقف الصالة يستند على ثمانية عشر أخرى من هذه الأعمدة الضخمة ذات التأثير الغريب بالوجوه المشوهة للآلهة .

وتزين الجدران نقوش من عصور أغسطس وتيبيريوس وكاليجولا وكلوديوس ونيرون ليست ذات أهمية كبيرة سواء من الوجهة الفنية أو غيرها ، ولكنها تكون مجموعة من النقوش لها ما يكفيها من التأثير على النفس .

وعلى ظهر الجدران الساترة الموجودة بين أعمدة الواجهة نشاهد الفرعون :

(١) يلبس تاج الوجه البحرى وهو يغادر قصره ليدخل المعبد ، بينما يتقدمه كاهن يحرق البخور وخمسة أعلام تحمل شعارات « ابن آوى أوب وواوات سيد طيبة » و« إيبيس سيد هرموبوليس » .

وصقر أدفو وهيراكنبوليس وشعارى طيبة ودندرة وبعدئذ نشاهد الملك .

(٢) يظهر تحوت وحورس أدفو (وهو منظر مشوه جداً) ثم :

(٣) وهو يتوج بواسطة نخبيت وواجيت إلهتى الوجه القبلى والبحرى الممثلتين بشكل عقاب وثعبان .

وعلى الحائط الغربى من الصالة تستمر هذه السلسلة فيرى الملك وهو :

(٤) يقوده منتو إله الحرب بطيبة وآتوم إله هليوبوليس أمام حاتحور إلهة دندرة ثم وهو يقوم :

(٥) بوضع حدود المعبد بتثبيت أوتاد الحدود .

بينما تساعده فى ذلك إيزيس وسشت إلهة الكتابة .

(٦) يقدم محراباً يمثل المعبد لحاتحور .

(٧) يتعبد لحاتحور وزوجها حورس إله أدفو وابنهما حور سما تاوي .

(٨) يقدم علامة الحق لحاتحور التى يرى قبالتها حور سما تاوى وأخيراً :

(٩) يقدم أوقاف المعبد تحت شعار الإقطاعيات لحاتحور وابنها .

وعلى يسار المدخل :

(١٠) نرى الملك لابساً تاج الوجه القبلى تاركاً القصر كما هو الحال فى الناحية الأخرى من الباب ، أما بقية المناظر وتلك الموجودة على الحائط الشرقى فهى مشوهة لا تستحق الوصف .

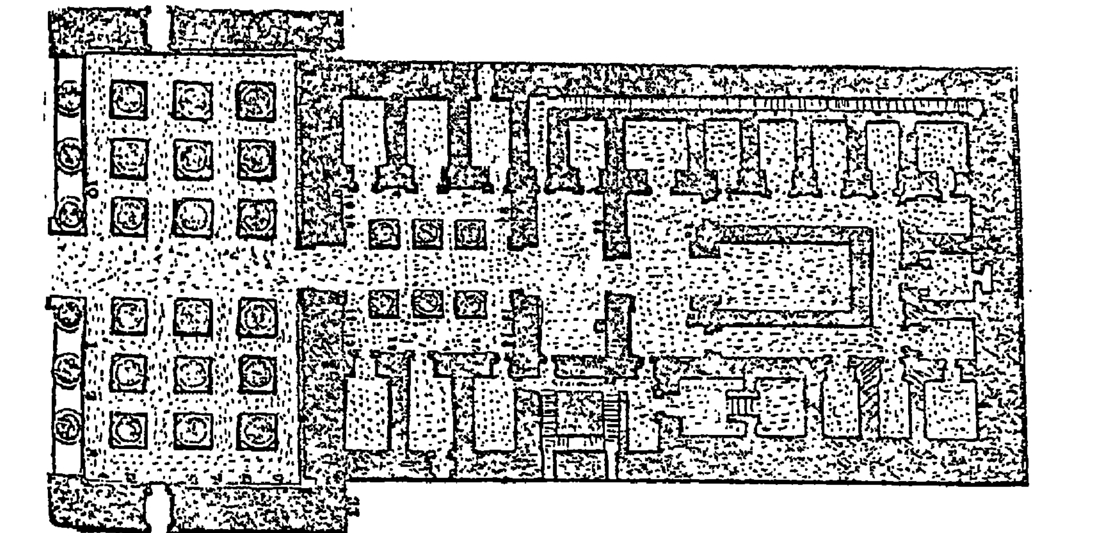
وعلى الحائط القبلى يظهر الملك فى حضرة آلهة دندرة ، وعلى الصفوف العليا للجدران نرى الملك وهو يقوم بكل أنواع التقاديم لحاتحور والآلهة الأخرى .

ولسقف هذه الصالة أهمية خاصة بسبب مناظره الفلكية أو على وجه أصح التنجيمية وتنقسم الأعتاب الموجودة فوق الأعمدة إلى سبعة أقسام من الرسوم. فالقسم الواقع إلى أقصى الغرب يمثل نوت إلهة السماوات فى وضعها العادى حيث تمتد أصابع يديها وقدميها حتى تلمس العالم فى جهاته الأربع .

بينما يتقوس جسمها الطويل النحيل ليكون قبو السماء وتحتها العلامات الست الشمالية للأبراج المصرية وهى الأسد والثعبان والميزان والعقرب وحامل القوس والجدى .

وهناك ثمانية عشر مركباً تحمل الثمانى عشرة مجموعة من العشرات وكل مجموعة منها تمثل عشرة أيام ، ومن ذلك تتكون أيام نصف السنة المصرية .

أما القسم الثانى ففى كل من طرفيه رسم مجنح يمثل الريح واثنتى عشرة ساعة



(شكل رقم ١٢٢)

معبد دندرة – وهو من أحسن وأجمل المعابد المحفوظة لنا حتى الآن وأكثرها تأثيراً في النفس – كما يتميز بالتوازن والقوة من الناحية المعمارية ومناظره الجميلة الهامة التى تتعلق بتأسيس المعبد وتكريسه للآلهة والشعائر والطقوس الدينية التى تسجل معلومات المصريين القدماء فيما يتعلق بأجرام السماء وبروج النجوم والخزائن السرية التى شكلت فى سمك الجدران والأساسات ثم أغلقت بكتل حجرية متحركة – وقد أنشأ هذا المعبد فى العصر البطلمى حيث نشاهد أعمال البطالمة من النحت الزخرفى الجميل الذى نراه موزعاً بإسراف زائد على جدران المعبد الكبير

من ساعات الليل ، أما الثمانى عشرة مجموعة فتنقسم إلي ست مجموعات كل منها يتكون من ثلاث .

وتمثل كل مجموعة من هذه المجموعات الست شهراً من شهور نصف السنة .

والقسم الثالث يظهر القمر بشكل العين المقدسة وهو يبدو ضئيلاً لمدة أربعة عشر يوماً ثم يتزايد لمدة أربعة عشر يوماً أخرى .

ويظهر أوزوريس فى شكله كإله للقمر وبشكله العادى مع نفتيس فى مركبه طافياً فوق السماوات ، أما القسم الأوسط فيزدان بالعقاب وقرص الشمس المجنح .

ويضم القسم الخامس الإثنتى عشرة ساعة للنهار ممثلة بالمراكب وبداخلها قرص الشمس وأشكال الآلهة المكرس لها كل ساعة من تلك الساعات .

وكان بالقسم السادس فى وقت ما الرياح المجنحة مرة أخرى مع الأشكال الفلكية المختلفة .

أما القسم السابع فيكرر منظر الإلهة نوت ولكن هنا تسطع أشعة الشمس على الطرف الشمالى فوق محراب حاتحور ، بينما تظهر العلامات الست القبلية للأبراج السماوية .

وهى السرطان والتوأم والثور والكبش والسمك وحامل الماء (الدلو) كما تظهر فى مراكبها الثمانى عشرة مجموعة من العشرات التى تكون نصف السنة الآخر ، والمنظر كله طريف للغاية .

وفي الحقيقة إن هذه الصالة الكبيرة بأعمدتها الضخمة ورؤوسها الحاتحورية الهائلة – وهى لا تكاد ترى فى الضوء الخافت – ونقوشها الجميلة رغم ما أصابها من تشويه كبير ، لها وقع كبير على النفس .

والإنسان لا يملك إلا أن يتصور بخياله منظرها من ١٩ قرناً عندما كانت الرؤوس الحاتحورية كاملة ، وعندما كان كل رسم على الجدران والأعمدة يزهو بالألوان الزاهية الجميلة .

ومواكب كاهنات حاتحور التى لا عد لها تسير جيئة وذهاباً بين الأعمدة مع رنين الصلاصل وقرع الدفوف ، وعلى السقف تسير عبر السماء جموع سماوية غير عابئة بالشخصيات الضئيلة الصاخبة تحتها بخمسين قدماً .

وفى منتصف الحائط الخلفى باب يؤدى إلى صالة الأعمدة الثانية ، وهى حجرة صغيرة نسبياً يحمل سقفها ستة أعمدة من طراز مختلط ، حيث نجد رأس حاتحور فوق تاج زهرى وهو امتزاج غير جميل .

أما المناظر التى تزدان بها جدران الصالة التى كانت تعرف ، بصالة المناظر ، فتمثل مناظر وضع أساس المبنى ، ويلاحظ أن الخراطيش الملكية تركت خالية .

فكاهنات دندرة لم يكن لديهن الخفة الكافية ليتابعن التغيير المستمر للحكام فى أثناء القيام بعملية البناء .

وإذا بدأنا من الجانب الغربى (الواقع إلى يمين الداخل) من المدخل نجد فرعون .

(١١) لابساً التاج الأحمر للوجه البحرى تاركاً القصر ويتقدمه أعلام طينة وطيبة وكاهن يحرق البخور .

(١٢) وهو يقطع أول حفرة فى حضرة حاتحور .

(١٣) وهو يشكل أول قالب فى البناء .

(١٤) يقوم بأحد مراسيم وضع الأساس أمام حاتحور .

(١٥) يقدم المعبد لحاتحور وحور سماتاوى .

(١٦) يهدى رمحاً لحورس أدفو تذكاراً للإنتصار المحلى لأعوان حورس الذين كانوا يستعملون النحاس على أعوان ست الذين كانوا يستعملون الحجر .

(١٧) يحرق البخور أمام حاتحور ، وبهذا المنظر تتم سلسلة المناظر على الجانب الأيمن من الصالة .

نعود إلى المدخل لنجد أول منظر على الجانب الأيسر (الشرقى) من البوابة .

(١٨) يمثل الملك لابساً التاج الأبيض للوجه القبلى وهو يغادر القصر ومسبوقاً كما حدث فيما سبق بأعلام مختلفة (طينة وأدفو وهيراكنبوليس وطيبة) .

(١٩) وهو يقدم الذهب والفضة لحاتحور من أجل معبدها .

(٢٠) يقوم بإحدى المراسم غير المفهومة تماماً وذلك بإلقاء كرات من البخور فوق المعبد أمام حاتحور وإيزيس .

(٢١) يقدم المعبد لحاتحور وحورس أدفو وأمامهما يقف ابنهما حورسماتاوى ، وأخيراً :

(٢٢) يقدم الإله بتاح الملك إلى حاتحور وحورس ، بينما يقف أمامهما حورسماتاوى يحرك الصلاصل .

وعلي الجانب الآخر من هذه الصالة ثلاث حجرات كانت تستعمل فى أغراض الطقوس الدينية للمعبد ، فالثلاث الموجودة علي الجانب الأيمن كانت تستعمل على التوالى لخزن الفضة والأحجار الثمينة .

ولخزن الأوانى المملوءة بماء النيل المقدس الذى كان يستخدم فى تطهير المعبد ، ثم لخزن التقاديم المختلفة .

وعلى الجانب الأيسر (الشرقى) كانت الحجرة الأولى مخصصة للبخور ، والثانية لتقاديم الحصاد ، والثالثة للتقاديم الأخرى المختلفة .

وعلينا أن نتذكر أن جميع حجرات وصالات المعبد كانت أصلاً مفصولة بعضها عن البعض الآخر بواسطة أبواب ضخمة مصنوعة فى الغالب من خشب الأرز المطعم بالبرونز والفضة والذهب .

ولهذا فإن المنظر الذى يراه الإنسان الآن من الفناء لم يكن ظاهراً عندما كان المعبد مستعملاً .

ندخل الآن الصالة الأولى ، وهى حجرة التضحية أو صالة المذبح ، وفيها كانت تقدم الضحايا إلى حاتحور والآلهة المتصلة بها .

ومن واجبنا أن نتذكر أن المعبد المصرى لم يكن – كالكنيسة المسيحية – مكاناً عاماً للعبادة ، فلقد كان بيت الإله حيث يسكن وحيث كان بعض الأشخاص المحظوظين فقط يسمح لهم بالدخول والإشتراك فى المواكب التى كانت تشكل جزءاً هاماً من مراسم العبادة .

ومن الجائز أن كاهنات حاتحور والأشراف المحظوظين من علية القوم كانوا يجتمعون فى صالة الأعمدة الكبيرة عندما كانت أبوابها الداخلية مفتوحة على صالة الأعمدة الصغيرة حيث كان يجتمع كهنتها لإقامة الطقوس .

وخلف ذلك كانت حجرة المذبح بكهنتها المخصصين للتضحية وهم يقومون بالتقاديم ، وهكذا كان نظام العلانية فى العبادة المعتادة .

ولم يكن يسمح لغير الكهنة من الدرجات العليا والملك بإعتباره الكاهن الأعظم لجميع آلهة مصر بالدخول إلى الحجرات التى تلى حجرة المذبح .

وحتى هؤلاء كان يسمح لهم بالدخول فى أيام مخصوصة ، فيما عدا دخول كاهن النهار للقيام بالخدمة اليومية المعتادة .

والنقوش التى فى الحجرة الأولى ليست بذات أهمية كبيرة ، ولو أنه من المفيد أن نوجه عنايتنا إلى المناظر المشوهة الموجودة على الحائط الخلفى (الجنوبي) حيث نري :

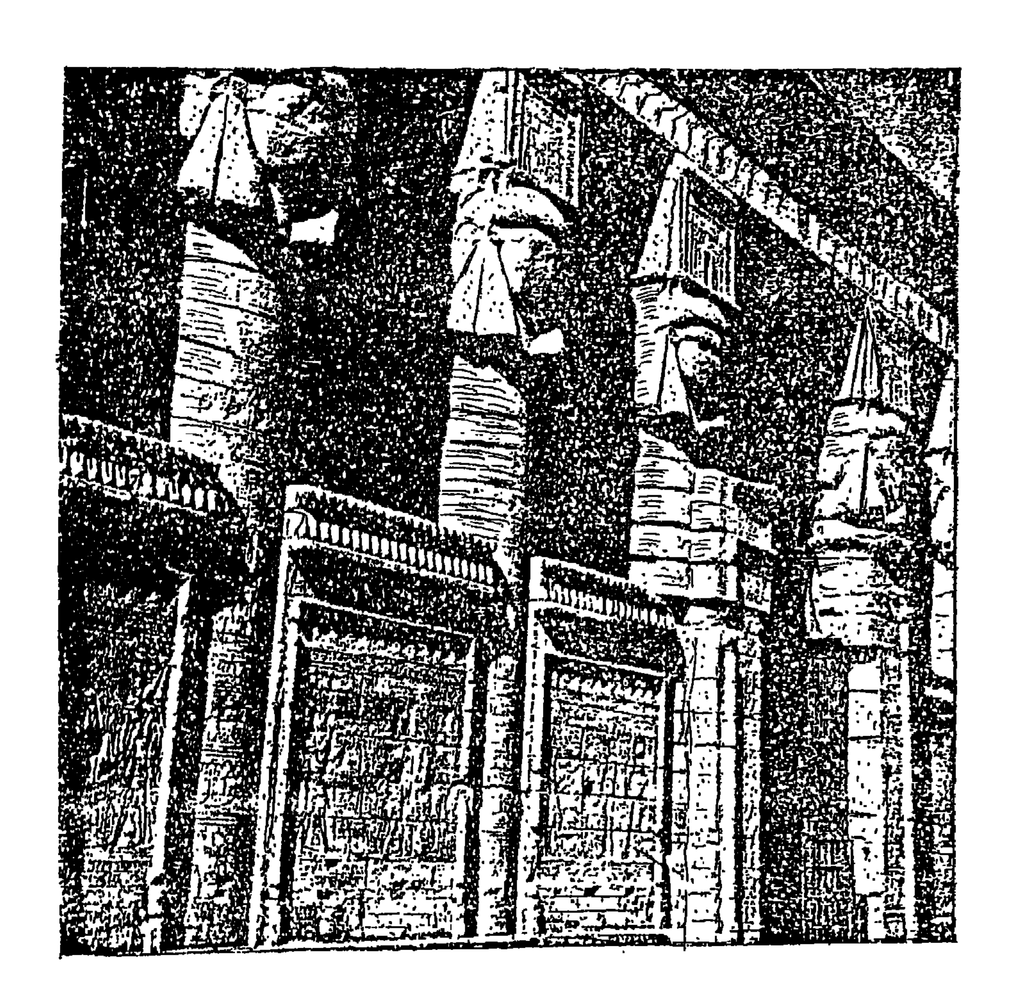
منظر يمثل (٢٣ ، ٢٤) إلهاً برأس كبش وآخر برأس ثور يساعدان فرعون فى تقديم القرابين إلى حاتحور وحورس ، وهناك ممرات فى النهاية الشمالية من الحجرة توصل فى الجانبين الغربى والشرقى على التوالى إلى درجات سلم مستديرة ومستقيمة .

وكلاهما يؤدى بالزائر كما سنرى الآن إلى سقف المعبد ، وهناك باب آخر فى الجانب الشرقى من الصالة يؤدى إلى حجرة التقاديم المسماة (بحجرة التطهير) .

نقترب الآن مما يمكن اعتباره القسم الأكثر قداسة فى المعبد وهو الذى كان يحظر دخوله على الأشخاص عديمى الأهلية ، فالحجرة الثانية التى كانت تسمى أحياناً الحجرة الوسطى كانت تعرف باسم « صالة مجموعة الآلهة » .

ونقوشها تمثل أسرار عبادة حاتحور وتصور حاتحور فى وظائفها كإلهة الشمس تعطى الحياة والنور .

ومن الجانب الشرقي لهذه الصالة تنفتح غرفة تعرف باسم حجرة الكتان وتستعمل لحفظ الأثواب التى كانت تلبسها الآلهة فى أيام الخدمة العادية أو فى مناسبات الأعياد .



(شكل رقم ١٢٣)

جانب آخر من واجهة معبد دندرة - حيث نشاهد كليوباترة وابنها قيصرون يتعبـــدان لحاتحور ومعبودات أخرى والإنسان إذا تصور بخياله منظر الآلهة على الجـــدران من الداخل منذ ١٩ قرناً عندما كـانت الرؤوس الحـاتحورية كـاملة - وعندمـا كـان كل رسم على الجدران والأعـمدة يزهو بالألوان الزاهية ومواكب كاهنات حاتحور التى لا عد لها تسـير جيئة وذهاباً بين الأعمدة مع رنين الصلاصل وقرع الدفوف - وعلى السقف تســير عبر السماء جمـوع سماوية غير عابئة بالشخصيات الضئيلة الصـــاخبة تحتها بخمسين قدماً

ومن الجانب الغربى يؤدى ممر معروف باسم حجرة الفضة إلي فناء صغير مكشوف به درجات سلم (حديثة) تصل إلى مقصورة مقامة فوق مرتفع .

ويزين مدخلها عمودان على شكل شخشيخة ، والمناظر الموجودة فى الفناء تمثل التقاديم المتنوعة ، والملك وهو يضرب بالحربة تمساح ست أمام حورس إله أدفو .

والفناء والمقصورة يكونان وحدة خاصة داخل المعبد الكبير ، وكانا يستعملان « للإحتفال باليوم الخاص بليلة وجود الطفل في مخدعه » وهو عيد خاص بمولد حورس .

ويقع فى نهاية السنة المصرية ، وبهذا يشبه شبهاً عجيباً الاحتفال المسيحى بعيد الميلاد ، أما سقف المقصورة فعليه منظر الإلهة نوت وهى منحنية على العالم ولامسة جهاته الأربع بأصابع يديها وقدميها .

وهى ممثلة واقفة على المياة الأزلية وثوبها مزين بخطوط متموجة كان المصريون يرمزون بها إلى الماء ، ومن جسمها تشرق الشمس والقمر على محراب يتوجه رأس حاتحور .

وإذا ما رجعنا إلى الحجرة الثانية وجدنا أمامنا باب الدخول إلى هيكل المعبد وعلى الجانبين الشرقى والغربى للباب :

(٢٥ ، ٢٦) يرى الملك يقدم مرآتين من النحاس المصقول بمقبضيهما العاديين على هيئة رأس حاتحور إلى الإلهة التي كانت تعتبر كمثيلتيها اليونانية والرومانية – أفروديت إلهة الجمال .

وكان الهيكل فى ظلام دامس وكانت أبوابه تقفل وتختم فى الجزء الأكبر من العام فلا تفتح إلا في الأعياد الكبرى – وكانت المناظر تمثل كالمعتاد الملك أمام الإلــهة ، والآلهة المتصلين بها ، ففى رقمي :

(٢٩ ، ٣٠) يحرق البخور أمام المراكب المقدسة لحاتحور وحورس ، وهناك ممر يلتف حول الهيكل ومنه تنفتح إحدى عشرة حجرة أهمها تلك التى تقع خلف

الهيكل مباشرة فى المحور الرئيسي للمعبـد وتسمى « الحجرة الخاصة بشـعار حاتحور » [١] .

وهنا كان يوجد محراب به رسوم وشعارات حاتحور - ويمكن الوصول إلى الكوة الموجودة فى الحائط القبلى بسلالم حديدية حديثة ، وهناك نرى رسماً لحاتحور ذات قرص شمس مجنح .

وقبالة الكوة على الجانبين من المدخل نرى الملك :

(٣١ ، ٣٢) وهو يقدم لحاتحور بواسطة واجيت ونخبيت إلهتي الوجه البحرى والقبلى الممثلتين بشكل ثعبان وعقاب .

وإذا ما بدأنا بالحجرة الواقعة على الجانب الغربى قرب النهاية القبلية للهيكل وجدنا أن الحجرات المتنوعة تسمى على التوالى « حجرة التطهير » و « حجرة العقد » و « حجرة العرش » و « حجرة الشعلة » .

ثم تأتى الحجرة الخاصة بشعار حاتحور التى وصفناها الآن هى وباقى الحجرات وهى حجرة الآنية ، وحجرة الشخشيخة ، وحجرة الاتحاد ، وحجرة سوكر ، وحجرة الولادة ، وحجرة البعث .

والآن وقد طفنا بالمعبد فى الطابق الأرضى ، بقى علينا أن نرى ونشاهد المخابىء والسطح والسلالم التى تصل إليه ، وبدندرة ما لا يقل عن اثنى عشر مخبئاً .

---

(١) تؤدى القاعة الثانية إلى قدس الأقداس ، وهي قاعة مزينة بمناظر زيارة فرعون للآلهة ، ويحيط بهذه القاعة المقدسة دهليز يؤدى إلى إحدى عشرة غرفة صغيرة بجانب بعضها البعض ولكل غرفة اسمها الخاص مثل « غرفة اللهب » و « عرش رع » و « اتحاد الوجهين » و « غرفة الميلاد » و « غرفة البعث » ... الخ . ولكن من المتعذر علينا الآن معرفة الغرض من هذه الغرف بعد أن فقدت أسماؤها المعنى الذى توحى به ، ومن أهم خواص هذا المعبد كثرة الأقبية التى بنيت فى سمك الجدران تحت مستوى الأرض وغطيت مداخلها بألواح صخرية متحركة وكلها مزينة بنقوش بارزة ملونة ولابد أنها كانت لها قيمة كبيرة - ورغم هذا فإن المعبد كغيره من معابد البطالمة والرومان بالرغم من تأخر عهده وإنشائه بعد زوال دولة الفراعنة وانتشار الفن الإغريقي فى مصر لا يختلف فى جوهره عن معابد الفراعنة ولا نلمس فيه أى أثر للفن الإغريقى فهو مصرى فى تخطيطه وعمارته وزخرفته (المراجع) .

ولما كانت الرسوم الموجودة بها ترجع إلى عصر بطليموس الحادى عشر المدعو « نيوس ديو نيسوس » فهى لهذا أقدم عمل فني في المعبد وأجمله في الوقت نفسه .

والمخبآن اللذان يزاران في العادة باعتبارهما مثلين للمخابيء جميعها هما اللذان ينفتحان من الحجرتين الواقعتين في أقصي الركن الجنوبي الغربي من المبني ، وهما المعروفتان بحجرة الشعلة وحجرة العرش (١٨ ، ١٩) فى الرسم التخطيطي الموجود بدليل (بيدكر) .

ومن بين الرسوم الهامة الموجودة بالمخبأ الذي يمكن الوصول إليها من حجرة الشعلة (بيدكر ١٨) والتي يجدر ملاحظته وهو يمثل بيبي الأول أول من رسم المعبد (الأسرة السادسة) راكعاً ومقدماً تمثالا إلهياً للصور الأربع لحاتحور .

وفي المخبأ الآخر الذي يمكن الوصول إليه من حجرة العرش (بيدكر ١٩) يقدم الملك الضحايا ويذبح الآلهة المعادية كالمعتاد .

وعلينا الآن أن نصعد إلي السطح بواسطة أحد «السلمين» إما المستقيم الموجود بالجانب الشرقي وإما المستدير بالجانب الغربي .

وكان الكهنة يستعملون هذه السلالم فى المواكب التي كانت تمثل دوراً هاماً في العبادة بالمعبد ، ولهذا فإنها تزدان بصور تمثل بالتفصيل الكامل عيد رأس السنة الذي كان يحمل فيه الملك والكهنة تماثيل حاتحور .

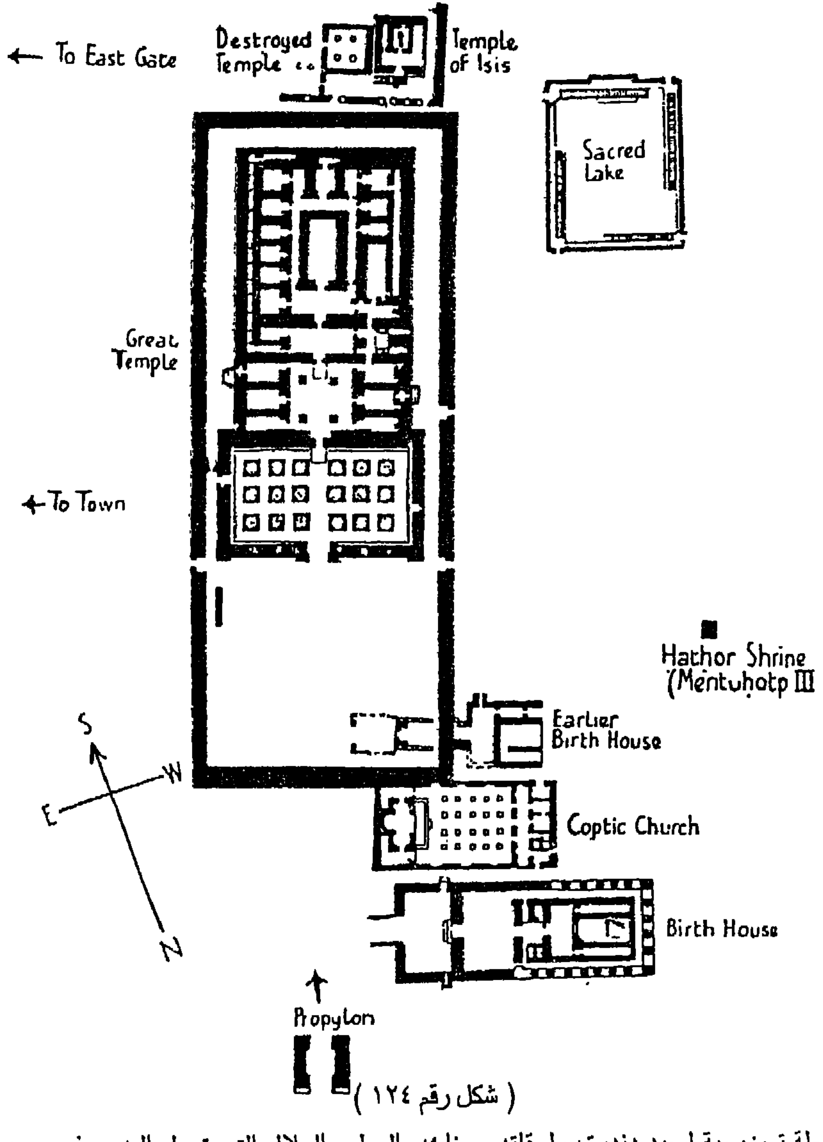
والآلهة المتصلة بها في مواكب رزينة حول المعبد وفوقه ، وعلى الحائط الأيسر في كلتا الحالتين نري الموكب وهو صاعد إلي السطح ، بينما نجده علي الحائط الأيمن وهو نازل منه .

ويلاحظ أن السلم الشرقى مظلم أما الغربي وهو الذي يدور علي نفسه عشر دورات مستطيلة في صعود إلي السطح «فينار» بعدد من النوافذ .

وفي هذا تقول « مس أمليا إدواردز (ألف ميل فوق النيل) [1] : « إنني أعتقد أنه ليس هناك مما رأيناه حتي الآن مايثير دهشتنا ويبعث فينا السرور مثل هذا السلم ...

---

(١) (Miss Amelia Edwards, A Thousand Miles Up the Nile).



(شكل رقم ١٢٤)

خريطة توضيحية لمعبد دندرة، ملحقاته ومخابئه والسطح والسلالم التي تصل إليه ، وفي معبد دندرة ما لا يقل عن اثنى عشر مخبأ ، وهي داخل الجدران لها مغالق متحركة ، وتقع الرسوم الموجودة علي الجدران إلي عصر الإمبراطور بطليموس الحادي عشر المدعو ؛ نيوس ديو نيسوس ؛ كما يوجد بخارج المعبد البركة المقدسة وبيت الولادة ومعبد إيزيس الذي يقع علي مسطح مرتفع خلف المعبد الكبير ويرجع تاريخ هذا المعبد إلي عصر"الإمبراطور أغسطس"

فهنا نري مناظر حاملي الشعارات ومقدمي القرابين والكهنة واحداً بعد الآخر في الموكب الكامل الطويل والملك يسير في مقدمته - إنها تبدو جديدة وسليمة كأن يد المثال تركتها الآن .

وهذه الشخوص كل في زيه وملابسه الذي اعتاد أن يلبسها في حياته ، يضع قدميه علي الدرج صاعدا معنا كأنه بجانبنا طوال الطريق ، ولا شك أنه في إحدي الليالي الساحرة من السنة كانوا يتركون أماكنهم ليبدأوا تلاوة المقطع التالي من نشيدهم علي نغم الآلات التي طال صمتها والأغاني التي توقف ترديدها يذرعون كالأطياف حول السطح الذي يضيئه نور القمر ! » .

وعند الوصول إلي السطح يتبين لنا أنه يتكون من مستويات متعددة فهناك درجات سلم تؤدي من الزاوية الشمالية الغربية للمسطح الأسفل إلي سطح الحجرة الأولي ، وامتدادها يؤدي إلي سطح صالة الأعمدة الصغري أو الثانية .

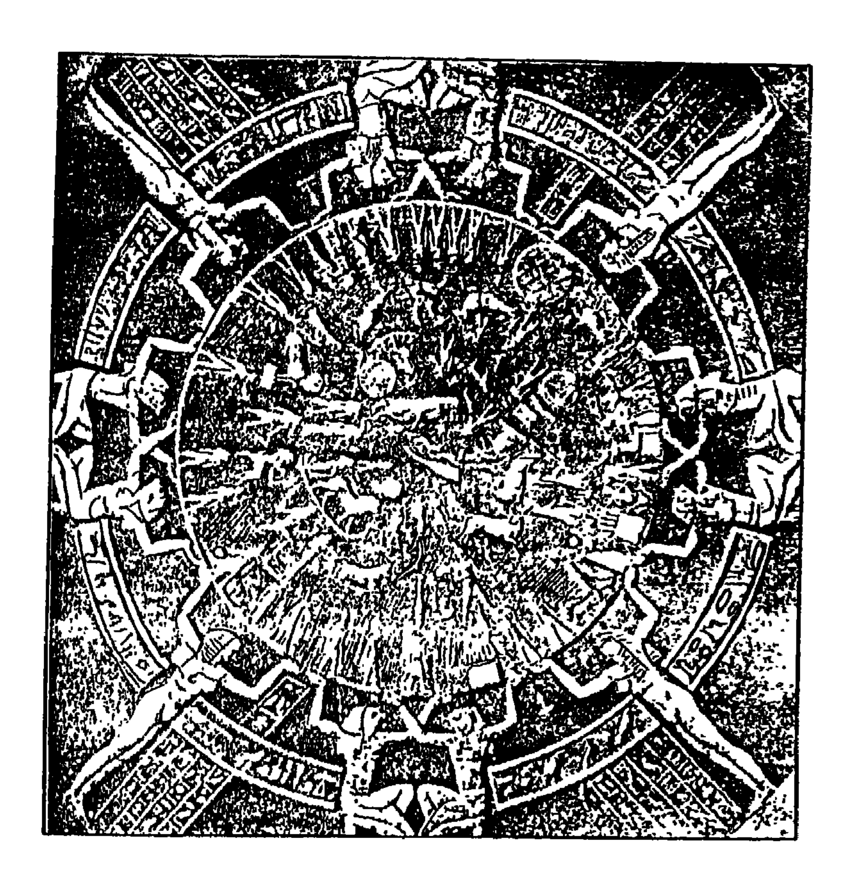
ومن هذه يوجد سلم حديدي حديث يصل إلي أعلي نقطة وهو سطح صالة الأعمدة الكبري ، ومن فوقه يمكن رؤية منظر جميل لوادي النيل بما يحده من تلال .

وفي الركن الجنوبي الغربي من السقف توجد مقصورة صغيرة ذات اثني عشر عموداً علي شكل صلاصل تتوجها رؤوس حاتحور ، وكانت هذه إحدي المحطات للتماثيل المقدسة في أثناء الموكب .

وفي الركن الشمالي الشرقي من المسطح المنخفض فوق الحجرات الواقعة إلي اليسار من صالة الأعمدة الصغري يوجد محراب تمثل فيه أسرار موت وبعث أوزوريس ، وملحق بهذا المحراب فناء مكشوف وهيكل داخلي .

أما دائرة الأبراج المشهورة بدندرة فقد قطعت من سقف هذه الحجرة الداخلية وسرقت ونقلت إلى باريس وهي الآن بالمكتبة الأهلية بباريس ووضعت مكانها نسخة أخرى من الجص طبق الأصل .

ومحراب أوزوريس يشبه مثيله الموجود علي سطح معبد إيزيس بفيله ، ويحسن بنا أن نلاحظ الكتل الضخمة فوق الجزء الأعلي للسقف وهي التي تعلو صالة الأعمدة الكبرى .



(شكل رقم ١٢٥)

منظر يمثل فلك أبراج السماء بسقف معبد دندرة ، ويظهر فيه الإثنا عشرة نقشا كرمز لشهور السنة ، وقد قسمت الدائرة الخارجية إلى ٣٦ قسماً يرمز لكل قسم منها إلى عشرة أيام حيث كان قدماء المصريون يقسمون الشهر إلى أقسام ثلاثة متساوية بدلاً من أسابيع حيث يتكون كل منها إلى سبعة أيام

ولا يصح أن يترك الزائر المعبد دون أن يمر حوله في الخارج ، وأن يفحص المناظر وبيتي الولادة والبركة المقدسة ومعبد إيزيس .

والمناظر الموجودة علي الحائطين الشرقي والغربي ترجع إلي عصر متأخر فجميعها من عصر الرومان ، وبعضها يرجع إلى عصر نيرون وهي ليست بذات أهمية خاصة إذ أنها تمثل المناظر المعتادة للملك وهو يشرف علي بناء المعبد وعلي تقديمه للآلهة .

ولكن مما يجب ملاحظته هو أن هذا الاستعراض للمناظر الدينية الموجودة علي الجدران الخارجية للمعبد تعبر عن نظام مغاير لنظام المعمار في العصور الفرعونية المتتالية الذي كان يحصر المناظر الدينية بداخل المعبد .

ويزين خارج المعبد بمناظر الحرب وانتصارات الفراعنة الذين أقاموا المعابد .

وفي معبد أدفو – من ناحية أخري – وهو معبد يرجع إلي عصر سابق عن دندرة نجد شيئاً آخر ، إذ يوجد علي الجدران الخارجية خليط من المناظر الدينية والحربية .

وللمناظر الموجودة علي الحائط الجنوبي (الخلفي) طرافتها الخاصة ولو أن هذه الطرافة تتعلق بالأشخاص الملكيين الممثلين أمام الآلهة ، فالشخصان الممثلان مرتين في حضرة آلهة دندرة هما كليوباترا الشهيرة وقيصرون ابنها من يوليوس قيصر .

ولا يوجد في الرسمين اللذين يمثلان كليوباترا [١] ما يبرر شهرة هذه الملكة

---

(١) قام بطليموس الثاني عشر (أوليتس) بمنشآت ثانوية فى قفط وأتم بناء وزخرفة معبد أدفو وأتم بناء وزخرفة البوابة الكبرى لهذا المعبد وزين هذه البوابة بمناظر تمثله وهو يضرب أعداءه في حضرة الإله حورس إله أدفو وزوجة حتحور إلهة دندرة .

وقد ساهم أيضاً فى إتمام الجزء الرئيسى من معبد كوم أمبو ونجد صوره وخرطوشه فى عدد من المعابد فى جزيرتى فيلة وبيجة والكرنك ودندرة ، مما يدل علي أنه خصص جانباً من عنايته وأمواله للديانة المصرية .

وقد اهتمت كذلك الملكة كليوباترا السابعة بالديانة المصرية من ذهابها فى خلال هذا العام من حكمها إلى الوجه القبلى حيث اشتركت بنفسها على رأس جمع حاشد من رجالها وكهنة طيبة فى موكب بوخيس المقدس وكان يعتبر الصورة المجسدة لإله الشمس رع الذى كانت هى ابنته ، وفضلاً =

بالجمال ، علي أنه من الواجب أن نتذكر أن هذه الصور كانت مجرد صور تقليدية وليست صوراً حقيقية .

(المعبد الصغير لأيزيس)

وإذا تركنا الرسوم الموجودة علي الحائط الجنوبي أصبحنا علي مقربة من المعبد الصغير لإيزيس الواقع فوق مسطح مرتفع خلف المعبد الكبير ، ويرجع إلي عصر الإمبراطور أغسطس ، ويتكون من هيكل وحجرات جانبية وحجرة سابقة للهيكل .

والمناظر الموجودة به تمثل حاتحور ترضع الطفل حورس ، بينما تري بقرة حاتحور ممثلة علي الحائطين الشرقي والغربي .

وبالحائط الخلفي كوة بها رسم بارز للإله بس القزم القبيح ، وكان من بين وظائفه الأخري المتعددة وظيفة الإله الحامي للطفولة .

وليس هناك بعد ذلك أي شيء ذي أهمية كبيرة ، وعلي كل حال فإنه يتعذر الوصول إلي هذه الحجرات في الوقت الحالي .

وإلي الشرق من هذا المعبد الصغير تقع بقايا مبني آخر كان به أصلا فناء وصالة ذات أعمدة وحجرات أخري متعددة ولكنه الآن مهدم حتي أساساته .

وإذا عدنا إلي الجبهة البحرية ومدخل المعبد الكبير مررنا إلي يسارنا بالبركة المقدسة التي كانت في الأصل تكون عنصراً هاماً من مبني أي معبد له أهميته ، وهي في حالتنا الراهنة عبارة عن حوض مستطيل له بعض العمق وبكل ركن من أركانه درجات سلم للنزول بها إلي الماء .

وهناك درجات سلم أخري مخبأة في المبني في الجانبين الشمالي والجنوبي يمكن بها الوصول إلي الماء «عندما يكون في منسوب منخفض»[1] .

= عن ذلك أمرت بتصوير نفسها هى وقيصرون على جدران معبددندرة وزعمت أن ابنها من الإله رع وأقامت معبداً فى (هرمونثيس) (المراجع) .

(١) تتميز جدران البحيرة المقدسة بالتقوس إلى الداخل (التقعير) حتى تتحمل ضغط الأحجار . وعند قاع البحيرة حجرات مختلفة صغيرة ودهليز تمر منه الطيور التى كانت فى أغلب الظن أوزاً مقدساً (المراجع) .

(بيت الولادة بدندرة)

بعد أن نمر علي بعض الخرائب من اللبن من العصر الروماني نصل إلي بيت صغير للولادة ، وهنا نجد من الضروري تفسير هذا المبني الذي سنصادفه ثانية في المعابد البطلمية الأخري أو في المعابد التي ترجع إلي عصور متأخرة .

إذ يلحق بمثل هذه المباني بصفة دائمة تقريباً معابد صغيرة بها رسوم تمثل ولادة وطفولة حورس ، وفي هذه المعابد الصغيرة كانت تقام الطقوس التي لها صلة بالأسطورة الأوزيرية الخاصة بحورس الطفل الذي بلغ سن الرجولة بعد مقتل أوزوريس .

والذي استطاع أن ينتصر علي أعداء أبيه – وقد أصبح حورس – بوصفه فرعونا لمصر – سلفا للفراعنة المتعاقبين ، والينبوع الأول لكل القوانين والنظم في البلاد .

ولهذا كان من الضروري أن يعترف بكل فرعون عند اعتلائه العرش كخلف لحورس ووريث شرعي لأسطورة حورس .

وكانت الطقوس التقليدية الخاصة بالولادة الإلهية لحورس تجري في بيت الولادة المقام خصيصاً لهذا الغرض ، ومن الجائز أن الفكرة نشأت من الرسوم الموجودة بالدير البحري ومعبد الأقصر عن الولادة الإلهية للملكة حتشبسوت وأمنوفيس الثالث .

وقد ازدادت أهميتها بالعناية الكبيرة لعبادة أوزوريس كعبادة عامة في مصر ووصلت ذروتها في العصر البطلمي .

ويرجع تاريخ بيت الولادة الصغير بدندرة إلي عصر الملك نقطانبو الأول وأكمل في عهد البطالمة ، وهو يضم فناءاًذا أعمدة له جدران ساترة بين الأعمدة وصالة مستعرضة وهيكل وحجرات جانبية .

وتمثل رسوم الهيكل ولادة حور سماتاوي ، وبين بيت الولادة الصغير وبيت الولادة الأكبر كنيسة قبطية تعتبر من أقدم الكنائس في مصر إذ إنها ترجع إلي القرن الخامس الميلادى .

وهذه الكنيسة ذات أهمية كبيرة لدارسي تطور الكنيسة المسيحية القديمة ولكنها لا تهمنا هنا الآن .

وأخيراً نصل إلي بيت الولادة الأكبر وهو من تاريخ متأخر عن زميله الأصغر إذ يرجع إلي العصر الروماني أيام أغسطس وتراجان وهادريان .

وهناك منحدر يصل إلي فناء ومنه ندخل إلي صالة بها درجات سلالم في الجهة اليمني كانت توصل سابقاً إلي سقف البناء .

وهناك صالة ثانية تنفتح في الهيكل الذي توجد علي كل من جانبيه حجرة صغيرة للتخزين (مقفلة الآن) .

وتمثل الرسوم كالمعتاد ولادة وطفولة الطفل الإلهي حورس .

أما البواكي التي تحيط بجانبي وخلف المعبد فلها تيجان زهرية تعلوها دعامات تزدان بأشكال « بس » حامي الطفولة وأحد الآلهة التي ترعي النساء عند الولادة .

الفصل السادس عشر
من قفط إلى الأقصر

نمر الآن علي قفط وهو المكان الأثري الذي نصادفه بعد دندرة ، فلا نجد فيه إلا القليل من الخرائب التي تستدعي الاهتمام .

والشيء الوحيد الذي يبين أهميتها هو علاقتها بمحاجر وادى الحمامات وصلتها بالبحر الأحمر عن طريق هذا الوادي .

وهذا تحتاج دراسته إلي فترة كبيرة أطول مما يسمح به في العادة وقت الزائر ، وفي الوقت نفسه فإن قفط تمثل مع زميلتها أمبوس الواقعة أمامها علي البر الغربي إحدي الأساطير التي تعتبر غاية في القدم .

والنصوص الموجودة بوادي الحمامات – حتي وإن لم يتيسر مشاهدتها فعلا – فمن الواجب أن يلم بها كل طالب وباحث من طلاب التاريخ المصري القديم .

ومع ذلك فمن السهل نسبياً الوصول إلي هذا المكان من الأقصر ، وبالترتيب المنظم يمكن زيارتها بين الصباح وفي فترة الغذاء .

نبذة تاريخية

وتعطينا قفط وأمبوس مثلا آخر لمدينتين من المدن القديمة تكادان تقعان تجاه بعضهما البعض على البرين الشرقي والغربي ، ولقد سبق أن لاحظ السيد / ويجال أنه في هذه الحالة وفي الحالات الأخري الكثيرة تكون المدينة الواقعة علي البر الغربي أقدم من المدن الأخري .

والسبب في ذلك يرجع إلي أن الطريق الرئيسي للمواصلات في وادي النيل يمر بمحاذاة البر الغربي ، ومن هنا فإن مراكز الإسكان نمت أولا هناك .

ولكن بازدياد التجارة تبعاً لتقدم الحضارة فإن الطرق التجارية الممتدة إلي مناجم الذهب في الصحراء الغربية وإلي البحر الأحمر كان عليها أن تجد مكاناً تنتهي إليه لا يستدعي اجتياز النهر أو عبوره ، وبهذا فقد قامت ضواحي للمدن الغربية علي الشاطيء الشرقي للنيل .

ولهذا فإننا نجد أن أمبوس التي سوف نعود للحديث عنها تأسست في عصر ما قبل الأسرات وأن اسمها القديم كان « نوبي » أو « الذهبي » مما يوحي بأنها كانت حتي في أيامها الأولي تشتغل بصناعة تعدين الذهب .

(قفط)

أما قفط (١) التي لا يرجع تاريخها إلي عصر أقدم من عصر الأسرة الأولي فقد ظهرت وتطورت نتيجة لبعض العوامل الطبيعية ، وأنها أنشئت لتقوم بدور معين .

فهي تقع في نهاية الطريق القديم الواصل إلي محاجر البرشا ومنطقة وادي الحمامات التي تحوي الذهب .

ولا بد أنها تكونت لتكون مستودعاً للتجارة الآتية من الشرق لتلافي صعوبة اجتياز النهر إلي أمبوس .

ويرجع تاريخ التحجير إلي العصور الأولي للأسرات مما يدعو إلي الاعتقاد بأن نشأة قفط كانت نتيجة لهذه الصناعة هناك ، ولا بد أن إنشاء الطريق إلي القصير وهو أقصر الطرق من مصر إلي البحر الأحمر قد تبع ذلك مباشرة .

ولما كان هذا هو أصل المدينة فمن الطبيعي أن يكون إلهها هو « مين » إله التناسل الذي كان سيد الصحراء الشرقية والأراضي الأجنبية ، وكان يمثل بشكل آدمي رافعاً يده اليمني التي تمسك بسوط ولا بساً ريشتين علي رأسه .

وفي كثير من الأحيان كان يشبه بآمون إله طيبة الذي يشبهه في كثير من

---

(١) تقع بلدة قفط على الضفة الشرقية للنيل ما بين الأقصر وقنا ، وقد ورد اسمها فى النصوص المصرية القديمة « كبتيو » وفى النصوص القبطية « قفط » وأسماها الإغريق « كوبتيوس » وقد اختفت معظم آثارها وسرقت ونهبت على مر السنين فيما عدا معبد لم يستكمل الكشف عنه بعد .

وقد ظلت لمدينة قفط أهميتها الاقتصادية طوال العصور القديمة وذلك لوقوعها على بداية الطرق الموصلة إلى محاجر الصحراء الشرقية ومناجمها وإلى موانى البحر الأحمر وخصوصاً « القصير » ولذلك اشتهر معبودها الرئيسى « مين » كحام للقوافل والطرق الصحراوية كما اعتبر أيضاً إله الخصوبة والإنجاب .

وقد إزدادت أهمية قفط السياسية فى عصر الفترة الأولى حين أصبح حكامها أصحاب السيادة على سبعة أقاليم فى جنوب الصعيد (المراجع) .

مظاهره وبخاصة في الريشتين العاليتين اللتين يلبسهما ، وإن كان آمون رع في هذا الوقت المبكر إلهاً نكرة نسبياً لمدينة غير هامة .

وبينما كان الاثنان متقاربين لبعضهما البعض وللإله رع كآلهة شمسية فقد كان الإله مين وحده هو سيد الصحراء الشرقية إذ لم تكن طيبة واقعة علي طريق صحراوي .

ولقد أسفرت حفائر بتري التي أجريت عامي ١٨٩٣ - ١٨٩٤ عن كشف آثار كثيرة من بينها ثلاثة تماثيل بالغة القدم وخشنة الصنع تمثل الإله مين وعليها رسوم محفورة غير متقنة لحيوانات الصحراء وقواقع البحر الأحمر .

وقد كان لمين معبد قائم بذاته في قفط في الأسرة الرابعة ، ويمكن أن نستنتج هذا من العثور علي إناء كبير كان مستعملا في الطقوس عليه اسم الملك خوفو .

وقد أعاد بناء هذا المعبد أو رممه الملكان المدعوان باسم بيبي من الأسرة السادسة ، ولدينا أدلة علي النشاط الذي كان قائماً في وادي الحمامات في عهد هذين الملكين وفي عهد أسيسي وأوناسي من الأسرة السادسة .

وفي عهد هذه الأسرة نفسها حضر قبطان سفينة يدعي « إيبي » ليحصل علي الأحجار اللازمة لهرم الملك « آني » وقد صاحبه مائتان من حملة الأقواس ومائتان من العمال الحجارين .

علي أن هذه البعثة قد تضاءلت أمام بعثة أخري أتت ومعها ١٠٠٠ عامل و ١٠٠ من الحجارة و ١٢٠٠ جندي و ٢٠٠ حمار و ٥٠ ثوراً .

ويبدو من نسبة عدد الجنود في البعثتين أن الأحوال في الصحراء الشرقية كانت مضطربة ، ولو أنه في الإمكان أن يقوم الجنود بالمساعدة في العمل إلي جانب عملهم كحراس للحجارة والكتل المطلوبة .

(مدينة قفط ووادى الحمامات)

علي أنه بقيام الأسرة الحادية عشرة تزداد أهمية منطقة الحمامات وبالتالي مدينة قفط ، ففي عهد الملك منتوحتب الرابع يجتاز « هنو » - الذي كان يحمل من

ألقابه لقبي المشرف علي المعابد والقاضي الأول لمحاكم العدل الست - مدينة قفط ووادي الحمامات ومعه بعثة مكونة من ثلاثة آلاف رجل في طريقه إلي البحر الأحمر .

ويعطينا تفاصيل طريفة جداً عن تموين قافلة ، ذاكراً أن نصيب كل شخص يومياً كان ٢٠ رغيفاً .

ويبدو أن هذه الكمية غير مبالغ فيها إذا كانت الأرغفة قطعاً صغيرة مسطحة ومستديرة من الخبز ، ومع ذلك فلا بد أن الخبازين المرافقين للبعثة كانوا مشغولين بعض المشغولية في عمل ٦٠ ألف رغيف يومياً ليطعموا العمال .

وعندما وصل هنو إلي القصير بني سفينة أرسلها إلي بلاد بونت ثم عاد بنفسه إلي وادي الحمامات لينزل كتلا ضخمة من الأحجار لنحتها كتماثيل .

وفي عهد الملك التالي يقوم « أمنمحات » ، الذي يرجح أنه هو نفسه الذي قام بتأسيس الأسرة الثانية عشرة وبيعثة تفوق بعثة هنو - فلقد صحب هذا الموظف الكبير الذي كان يشغل وظيفة وزير في عهد الملك « منتوحتب الرابع » معه ١٠ آلاف رجل إلي الوادي .

ولهذا فلابد أن قفط كانت شعلة نشاط عندما اجتازها ، وتعتبر كتاباته الخاصة بما صادفته البعثة من أمتع النصوص التي وصلت إلينا من الدولة الوسطي ، وتبلغ كتلة الحجر الخاصة بغطاء التابوت التي استخلصها أمنمحات كإحدي نتائج عمله في الوادي ١٤ قدماً × ٧ أقدام × ٥ر٣ قدم .

ويذكر الوزير أن ثلاثة آلاف بحار من الوجه البحري قاموا بنقل هذه الكتلة الكبيرة إلي النهر .

ومن ذلك يبدو جلياً أن بحارة الوجه البحري هم الذين كان يعتمد عليهم في عملية الشد والجر وتحميل الحجارة .

وإذا كان رجال أمنمحات العشرة آلاف يطعمون بنفس النسبة التي كان يطعم بها رجال « هنو » الثلاثة آلاف فإنهم بذلك كانوا يستهلكون ٢٠٠ ألف رغيف يومياً !! .

ولا بد أن الخبازين المتولين أمر البعثة كانوا أكثر تنظيماً من غيرهم من منظمي البعثات الأخري .

وخلال الأسرة الثانية عشرة كانت قفط ووادي الحمامات [١] في نشاط دائم كما نتوقع ، ففي عهد الملك سنوسرت الأول يسجل « أمني » من بني حسن وصاحب المقبرة التي سبق أن رأيناها بأنه اصطحب معه ٦٠٠ جندي إلي قفط لحراسة حمولة الذهب من هذه المدينة .

وينسب سنوسرت الثالث لنفسه لقب « محبوب مين » ، « إله قفط » ولكن الواقع أن جميع ملوك هذه الأسرة استثمروا المحاجر ورمموا أو وسعوا المعبد .

ويبرز اسم المدينة – وإن كان بطريقة غير مشرفة في الأيام المظلمة التي سادت مصر في عهد الهكسوس – عندما ظهر فيها خائن من بين كهنة معبد مين وقد جرد هذا الخائن واسمه « تيتي » من جميع وظائفه لاتصاله بالبدو .

وفي معظم البلاد الأخري وحتي في العصور الحديثة نسبياً لم يكن مصيره ليقل عن هذا بحال من الأحوال .

واستمرت قفط تتمتع بالشهرة أيام الدولة الحديثة ، وقد سجل « من خبررع سنب » الذي عاش تحت حكم تحتمس الثالث في مقبرته منظر استلام الذهب من رئيس شرطة قفط وحاكم مناطق الذهب في قفط .

وتحدثنا لوحة وجدت في المعبد عن زيارة قام بها أمراء وأميرة من الحيثيين فى عهد الملك رمسيس الثانى من الأسرة التاسعة عشرة .

---

(١) وادى الحمامات يعتبر جزء من الدرب الذى يخترق الصحراء الشرقية بين النيل ، القصير ويطلق علي الدرب كله درب وادي الحمامات وترجع شهرته إلى أنه كان طريقاً للتجارة منذ أقدم العصور وكذلك كان الطريق الموصل إلى بعض المناجم القديمة وخصوصاً مناجم الذهب حيث كان المصريون القدماء يحصلون عليه منها كما كانوا يحصلون منها على نوع خاص من الحجر البركانى وبعض أنواع الجرانيت .

وتوجد في هذه المنطقة وفى وسط هذا الطريق مئات من النقوش على واجهات الصخر منذ أيام الأسرة الخامسة حتى الأسرة الثلاثين تركها أعضاء البعثات التى ذهبت للحصول على الأحجار اللازمة لتماثيل الملوك وتوابيتهم ومعابدهم وكان هذا الطريق يسمى قديماً بطريق الآلهة ومازالت له هذه الأهمية حتى الآن (المراجع) .

وتقدم لوحتان من عصر الملك رمسيس الرابع (الأسرة العشرين) دليلا متجهماً بأن التنظيم المصري لم يتقدم إبان الفترة الواقعة بين الأسرة الحادية عشرة والأسرة العشرين .

فلقد قام رمسيس الرابع بنفسه بزيارة المحاجر ، وبعد ذلك بأحد وعشرين شهراً أرسل بعثة كبيرة في حجم بعثة أمني لاستغلال تلك المحاجر .

وكان قوامها ٩٢٦٢ رجلا ولكنها عادت وعددها ٨٣٦٢ فكأنها فقدت ٩٠٠ رجل بين مجاهل الطريق ومتاعب وأخطار التحجير .

علي أن أمتع النصوص ذات الصلة بقفط هي البردية البطلمية التي تتحدث عن مخاطرات الأمير ، سانتي – خع ام واست ، الابن المشهور لرمسيس الثاني وما تعرض له من سوء الطالع .

فهي تقص علينا كيف نزل ، خع ام واست ، إلي مقبرة ساحر قديم من سلالة ملكية يدعي ، نا – نفر – كا – بتاح ، حتي يأخذ منها ملفاً به كتابات سحرية .

وكيف أخبرته زوجة الساحر المتوفي بأن زوجها كان قد وجد هــذا الملف فى قفط ، وكيف فقدت هي وابنها الصغير حياتهما نتيجة لغضب الإله تحوت لأخذ الملف .

ولقد انتحر ، نا – نفر – كا – بتاح ، بسبب فجيعته في خسارتهما ودفن في ممفيس ، ورغم التحذير الذي وجه إليه فقد أصر ، خع ام واست ، علي أخذ الملف .

فوقع تحت تأثير قوة الساحر المتوفى واضطر كعقاب له أن يحضر مومياء زوجة ، نا – نفر – كا – بتاح ، وابنه من قفط إلي ممفيس حتي تجتمع كل أفراد العائلة في مقبرة واحدة ، وبالإختصار فإن القصة من أمتع الأمثلة لقصص المصريين الأسطورية ، وفي العصر الروماني كان طريق التجارة بين البحر الأحمر وقفط نشطاً ، وقد عثر علي تعريفة الضرائب التى كانت تفرض علي الأشخاص والبضائع التي تمر بالمدينة في الرحلة الصحراوية في بيت متهدم لأحد الحراس في أول الطريق وهي ترجع إلى عصر الإمبراطور دوميتيان .

وقد ثارت قفط ضد دقلديانوس عام ٢٩٢ ميلادية وخربت نتيجة لذلك ، ولكنها أفاقت من هذه الضربة وأصبحت مدينة زاهرة حتي أيام الخلفاء .

ولكنها منذ ذلك الوقت بدأت تفقد شهرتها تدريجياً وحلت مكانها كنهاية للطرق الصحراوية مدينة قوص التي تقع علي بعد بضعة أميال إلي الجنوب .

(القصير)

وعلي الزائر الذي يتسع وقته لمدة ثلاثة أيام علي الأقل ألا يهمل القيام برحلة إلي القصير عن طريق وادي الحمامات ، ومن المعتاد أن تتم هذه الرحلة من الأقصر حيث يمكن استئجار سيارة .

وإنه لمن المستحسن استعمال سيارتين حيث تتكلف الرحلة بالسيارتين مبالغ كثيرة ، وتبدأ الطرق الصحراوية إما من قنا وإما من قفط لتلتقي عند قرية صحراوية صغيرة تسمي اللقيطة .

وهنا يجب علي أصحاب السيارات أن يبلغوا مصلحة الحدود عند مغادرتهم هذا المكان ، وتستغرق الرحلة في الصحراء حوالي ست ساعات إذا كانت السيارات في حالة جيدة .

والطريق في معظمه ممهد ، وعندما يصعد الإنسان إلي الطريق يبدأ الحجر الجيري في الاختفاء خلف المسافر ، بينما تري أحجار الجرانيت والشست والدولوريت والأحجار النارية الأخري .

ويبدو هذا المنظر رائعاً ، ولا يوجد له مثيل في أي مكان آخر في مصر ، وإذا ما تجاوزنا بير الحمامات ضاق الطريق وفى الإمكان رؤية الكتابات – التى تركها الأشخاص الذين كانوا يرسلون للتحجير – لمسافة أميال علي جانبي الطريق .

وبعد عدة أميال أخري قليلة نصل إلي بير الفواخير حيث يمكن استكشاف أنفاق محفورة في الجرانيت استخدمها المنقبون عن الذهب في العصور القديمة ، وحيث يمكن رؤية أكواخهم .

ولا يمكن بأي حال اعتبار الانحدار إلي القصير أقل متعة ، فالألوان المختلفة

تتغير باستمرار وبخاصة ألوان المغرة والجرانيت المتعددة الألوان ، وهو منظر ساحر لا نجده في أغلب مناظر المناطق الصحراوية .

وليس بمنطقة القصير إلا القليل من المغريات وبخاصة فيما يتعلق بالإقامة ، ويحسن إن أمكن إحضار الخيام ، وفي حالات خاصة تبيح « الشركة الإيطالية للفوسفات » للزوار استعمال استراحتها ومطعمها .

ولكن لا يمكن الاعتماد علي ذلك ، وليس هناك ما يدعو إلي إعطاء وصف مفصل أكثر من هذا لهذه الرحلة الممتعة ، إذ لا يمكن اعتبارها داخل وادي النيل رغم أهمية آثارها .

ولن يجد الزوار الذين يهتمون بهذه الرحلة أو غيرها من رحلات الصحاري الأخري شيئاً أفضل من قراءة كتاب « ويجل » عن « الرحلات في صحاري مصر العليا » (١) .

الآثار فى قفط

تكاد الآثار – إذا راعينا أهميتها – تتناسب تناسباً عكسياً مع الأهمية التاريخية للمدينة القديمة وما يجاورها .

فالثالوث الضخم المصنوع من الجرانيت الأسود والذي يمثل رمسيس الثاني جالساً بين إيزيس وحاتحور والذي كشفه بتري عام ١٨٩٣ – ١٨٩٤ موجود حالياً بالمتحف المصري (رقم ٥٩٥ بالحجرة ١٣ – الجنوب بالطبقة السفلي) .

وبالمتحف البريطاني الآن بردية طبية بها نص يثبت أن محتوياتها قد اكتشفت في قفط أيام الملك خوفو من الأسرة الرابعة .

أما حفائر السيدين « فيل » و « ريناخ » عام ١٩١٠ فقد أسفرت عن كشف مجموعة من اللوحات من أواخر عصر الدولة القديمة وبقايا معبد من عصر سنوسرت الثاني وتحتمس الثالث به ترميمات قام بها البطالمة والكثير من أباطرة الرومان .

---

(١) (Weigall, Travels in the Upper Egyptian Deserts).

ولكن زيارة للخرائب التي تقع بالقرب من القرية الحديثة لقفط لا تكاد تستحق المشقة التي يتكبدها الزائر ، اللهم إلا إذا كان هذا الزائر متحمساً .

أمبوس

تقع مدينة أمبوس القديمة علي البر الغربي للنهر مكونة رأس مثلث ، نقطتاه الأخريان هما قفط وقوص من البر الشرقي ، ومن المرجح أنها كانت الأصل لمدينة قفط التي نافستها فيما بعد .

ويجب أن نفرق بين مدينة أمبوس هذه ومدينة أمبوس (كوم أمبو) الواقعة إلي الجنوب بين السلسلة وأسوان .

وعلى طول الشاطيء من البلاص حتي نقادة توجد الجبانات التي ترجع إلي عصر ما قبل التاريخ والتي حفرها بتري ودي مورجان وكويبل .

وتقع أمبوس تقريباً في منتصف هذا الخط من المقابر القديمة ، ويمكن الوصول إليها من قوص علي الشاطيء الآخر من النيل وهي لا تستحق الزيارة وبخاصة أن الرحلة إليها طويلة وشاقة .

وتنحصر الأهمية الرئيسية لمدينة أمبوس في أن الإله الخاص بهذا المكان هو الإله ست الذي ينظر إليه في النصوص الدينية المتأخرة علي أنه الشقيق الشرير للإله أوزوريس وقاتل هذا الملك الطيب .

وأن حورس بن أوزوريس الذي دافع عن حق أبيه قد هزمه وحط من كرامته ، وهذا الاعتبار جعل من ست صنوا لعنصر الشر .

وانتهي الأمر باعتباره في نظر المصريين شبيهاً بالشيطان ، وفي هذه الأيام المتأخرة عندما حلت به أوقات عصيبة شبه بالإله سوتخ الآسيوي وهو – كما يجب أن نتذكر – الإله الذي عبده أبوفيس ملك الهكسوس .

علي أن هذا كله لا علاقة له بمركز ست الأصلي وشهرته ، فالظاهر أنه كان للإله ست في الأصل شهرة طيبة كأى واحد من الآلهة المحلية الأخرى .

إلا أن القبائل التي عبدته والتي كان مركزها في أمبوس نالت الهزيمة علي يد القبائل التي كانت تعبد حورس إلي الجنوب من هذا المكان .

ويبدو أن هذه المعارك القبلية كانت وراء الأسطورة التي تمثل معارك حورس ضد ست في معبدي دندرة وأدفو وغيرهما من المعابد .

علي أنه رغم هزيمة « عبدة » الإله علي يد القبائل الجنوبية فإن ست نفسه بقي محاطاً بالتبجيل ، فلقد استمرت القبائل المنتصرة ، في تبجيله ، إذ نري شعاره جنباً إلي جنب مع شعار صقر هيراكنبوليس فوق اسم أحد الملوك في العصور القديمة .

وهو يرسم أحياناً كمدرب لفرعون في رمي القوس كما تطلب شفاعته في الصلوات القديمة الخاصة بالموتي مثله في ذلك مثل منافسه حورس .

وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة سمي سيتي الأول ، وهو من خيرة الملوك في العصور المتأخرة ، باسمه كما سمي بهذا الاسم ملك آخر من نفس الأسرة .

ورغم ما تعرض له ست في حياته من صعود وهبوط لمرات متعددة تفوق ما تعرض له أي إله آخر ، فقد تطورت العداوة التي كانت بين ست وحورس - والتي أبقت علي احترام ست رغم هزيمته - إلي هذه الأسطورة التي جعلت منه العدو الشيطان للإله أوزوريس ورمز هام لعنصر الشر .

وكان يمثل بوحش خيالي مخيف ذي أذنين تنتهيان بطرفين مربعي الشكل وذيل خشن ذي فرعين وخرطوم طويل .

وقد دعا شكله هذا إلي تشبيهه بآكل النمل أو بخنزير له صفات معكوسة ، وكثيراً ما كان يمثل بشكل آدمي بذلك الرأس البشع ، ولسبب غير معروف كان التمساح هو الحيوان المقدس لست في أمبوس .

ولهذا فلقد كان مكروها في العصور المتأخرة في دندرة .

وهناك قصة مألوفة لا يعرف مدي صحتها - غير أن جوفينال اعتبرها صحيحة - تحدثنا عن عيد في قفط كان يقتل فيه بعض الزوار من أهالي دندرة تمساحاً .

وكان من الطبيعي إذ ذاك نظراً للأحقاد المحلية أن يقوم عراك كبير ، وبدلا من أن يشعر أهالي دندرة المشاغبين بوغز ضمائرهم لما قاموا به من عمل يتنافي مع

الدين نجدهم يضيفون إلي هذا عملا آخر بأن يمسكوا بأحد أهالي أمبوس ليذبحوه ويأكلوه ! .

وتبدو هذه القصة صالحة فقط لأن تحكي لأحد الرحالة ، لولا أن هناك قصة أخري معروفة « لديودور » يقص فيها كيف أن أحد الرومان قتل عن غير عمد « قطة » فقتله الغوغاء المصريون الساخطون .

ومع ذلك فإنه يبدو أن قصة أكل أحد أهالي أمبوس بواسطة هؤلاء الذين ذبحوا التمساح تمثل لنا الأحقاد المحلية بصورة مبالغ فيها نوعاً ما .

ويرجع تاريخ « معبد أمبوس » كما هو المتوقع من طبيعة آلهتها البدائية إلي أقدم العصور التاريخية ، وتبين جعارين الأسرتين الثانية والثالثة عشر صلتها بالدولة الوسطى والملوك الذين تتابعوا عليها بعد ذلك .

وقد ترك تحتمس الأول شاهداً علي اهتمامه بالمعبد في صورة رسم جميل موجود الآن بالمتحف المصري ، أما تحتمس الثالث وابنه أمنوفيس الثاني فقد قاما بإعادة بناء المعبد وتوسيعه .

كما قام فراعنة الأسرة التاسعة عشرة مثل رمسيس الثاني وابنه منفتاح ببعض أعمال الترميم والزخرفة ، وفي الأسرة العشرين رمم رمسيس الثالث المعبد مرة أخرى .

وفي نصه ببردية هازيس يقول : « لقد رممت بيت سوتخ سيد أمبوس ، فبنيت جدرانه التي كانت مهدمة وزودت المنزل في داخله باسمه المقدس وبنيته بعناية فائقة للأبد » .

وكان اسمه الكبير « بيت رمسيس حاكم هليوبوليس في بيت سوتخ سيد أمبوس » ، « وقد زودته بالعبيد والأسري والأهالي الذين أسرتهم ، وخصصت له قطعاناً في الشمال لإهدائها له كتقاديم يومية » .

« وجعلت له تقاديم وقرابين جديدة زيادة عن التقاديم التي كانت تهدي إليه من قبل ، وأعطيته أراضي عالية ومنخفضة وجزراً في الجنوب والشمال تزرع شعيراً » .

« وزودت خزائنه بالأشياء التي جلبتها يداي حتي تتضاعف الأعياد التي تعمل له كل يوم » .

وبعد تلك التقاديم الجديدة لم يرد ذكر هذا المعبد إلا في عهد شيشنق من ملوك الأسرة الثانية والعشرين ، وبعد ذلك لم يسمع عنه شيء سوي ما حدث من عراك بسبب التمساح وما تبعه من قصة أكل أحد الأفراد .

وليس في الخرائب القائمة الآن شيء له أهمية ظاهرة ، فهناك بعض أجزاء من المعبد من الحجر الجيري – وإلي الشمال توجد بقايا من الأحجار غير المنحوتة لهرم قديم .

ولقد كان لسلسلة الجبانات التي تمتد جنوباً حتي نقادة والتي ترجع إلي عصر ما قبل التاريخ أهمية كبيرة بالنسبة لعلاقتها في إرساء القواعد الخاصة بالتسلسل التاريخي لعصر ما قبل التاريخ ، ولكن ليس لها أهمية للزائر العادي .

ولقد اكتشف السيد « دي مورجان » علي مسافة صغيرة إلي الشمال الغربي من نقادة عام ١٨٩٧ مصطبة كبيرة من اللبن ، من الجائز أنها كانت مقبرة ثانوية لمينا أومينيس مؤسس الأسرة الأولي .

ولكنها في حالة سيئة جداً بحيث لا تستحق الزيارة ، ولو أنه يمكن الوصول إليها دون عناء كبير من محطة قوص علي البر الشرقي للنيل .

قوص

تمثل قوص (١) نفسها المدينة القديمة « قيس » التي كانت في المدة الأولي من القرن الرابع عشر الميلادي ثاني مدينة في مصر ، وكان إلهها في عصر الأسرات حاروريس أو حاراور « حورس العجوز » الذي كان مظهراً من مظاهر إله الشمس .

---

(١) قوص : (أبو للينوبوليس بارفا) – تقع بلدة قوص على الضفة الشرقية للنيل ، إلى الجنوب من مدينة قنا ، وقد اشتق اسمها الحالى من الاسم الهيروغليفى جوص الذي ورد اسمه تحت اسم كوس فى النصوص القبطية ، أما الإغريق فأطلقوا عليها اسم (أبو للينوبوليس بارفا) أى مدينة أبولو الصغرى ، وفى قوص يوجد معبد بطلمى مازال مطموراً في الرمال حتى وسطه ، وتعلو المساكن أكثر أجزائه .

وبالقرب منه توجد منطقة واسعة من الخرائب الأثرية ترجع إلى عصور مختلفة ، وقد ازدهرت البلدة فى العصر الإسلامى ازدهاراً كبيراً ، وأصبحت المدينة الثانية بعد الفسطاط ومن الآثار الإسلامية بها المسجد العتيق الذى يرجع تأسيسه إلى أوائل العصر الإسلامى كما يوجد مسجد آخر من العصر الفاطمى يعتبره علماء الآثار الإسلامية أهم أثر خارج مدينة القاهرة ، وبالمسجد أيضاً بعض الأعمدة الرومانية البيزنطية (المراجع) .

وكان يظن أنه ولد في قوص ، ولما كان الإغريق يعتبرونه كإلههم أبولو فقد أسموا مسقط رأسه « أبولونوبوليس بارفا » حيث كانت أدفو تدعي « أبولونوبوليس ماجنـا » وليس بها خرائب تستحق الذكر .

ولقد خلفت قوص قفط كمستودع لطرق التجارة إلي الشرق عن طريق الطرق الصحراوية .

ولكن بعد القرن الرابع عشر الميلادي بدأت قنا تحتل هذا المركز ولا تزال حتي الآن نهاية الطريق الذي يخترق الصحراء الشرقية حتي القصير ميناء البحر الأحمر .

شنهور

تخرج هذه القرية الموجودة علي بعد يقرب من الأميال الأربعة إلي الجنوب من قوص عن نطاق العصر الذي نعالجه ، فمعبدها يرجع فقط إلي العهد الروماني .

ورغم أن هذا المعبد صغير غير أنه في حالة لا بأس بها من الحفظ ، وكان يتكون في الأصل من ثلاث صالات مفتوحة ملحق به الأجزاء الرئيسية الأخرى .

ولكن الصالات مخربة جداً ، ويوجد بالصالة الثانية منها قواعد ثمانية أعمدة وجزء من نقش عليه خرطوش الإمبراطور نرفا .

ويمكن الدخول إلي الجزء الحالي للمعبد من باب مهدم في الصالة الثالثة ، وليس بالصالة الخارجية عبر جدارين جانبيين ، ولكن الحجرة التالية وهي السابقة لحجرة الناووس فلا يزال بها بعض أجزاء من السقف .

ونجد الهيكل خلف هذه الحجرة وهو مسقوف في بعض أجزائه أيضاً ومن حوله ممر ، ويزين الهيكل نقوش لم تعد واضحة ، وليس في الخراطيش الموجودة إلا كلمات « أوتوكراتورسيزار » .

والآلهة الرئيسية هي« آمون رع وموت وخنسو » التي تكون ثالوث طيبـة ومعها « مين وإيزيس » – وليس هنا ما يستدعي الوقوف أمام بناء من عصر متأخر وقليل الأهمية ، علي حين أننا نقترب من بقايا معمارية هامة لمعبد مصري .

المدامود

يقع هذا المكان قريباً من الكرنك بحيث إنه كثيراً ما يزار كجزء من البرنامج المعد لزيارة مناطق طيبة ، إذ إنه من السهل الوصول إليه من طيبة .

علي أنه من المستحسن أن نترك طيبة وحدها منفصلة عن المناطق التي تقع إلى الشمال منها .

ولقد ازدادت أهمية بقايا معبد المدامود [١] – التي كانت سابقاً ذات أهمية قليلة – بعد الحفائر التي قامت بها بعثة المعهد الفرنسي والتي بدأها « بيسون » و « فوكار » عام ١٩٢٥ .

وقد أثبتت الحفائر أنه كان يوجد هنا معبد من أيام الدولة الوسطي ، فقد عثر في خرائبه علي تماثيل لسنوسرت الثالث ولوحة من الجرانيت لنفس الملك .

وتتلخص الأهمية الرئيسية للمدامود في أن الملوك المتأخرين للدولة الوسطي الذين لا يعرف بالضبط نظام تعاقبهم علي العرش كان لهم اهتمام خاص بهذه المنطقة .

فقد أقاموا فيها معابد وبوابات ضخمة وقد تهدمت هذه في عصور متأخرة واستعملت كأساس للمعبد البطلمي .

وقامت البعثة الفرنسية باستخراج الكتل القديمة وإحلال كتل من الأسمنت المسلح مكانها ، ومن أبرز اكتشافاتها أعمدة من الحجر الرملي .

وعتب للملك « سخم وازخمورع » اغتصبه أحد الملوك المدعو « سبك حتب » وعتبتان رائعتان لسنوسرت الثالث وأمنمحات سبك حتب [٢] وهما الآن بالمتحف المصري (حجرة ٢٣ بالطبقة السفلي) حيث نشاهد جلياً تدهور الفن خلال القرنين اللذين يفصلان حكمهما .

---

(١) المدامود : إلى الشمال من الكرنك علي الضفة الشرقية للنيل ، ونجد فى هذه المنطقة بقايا معبد الإله « منتو » إله الحرب ورب طيبة القديم. وتتمثل بقايا المعبد فى بضعة أعمدة قائمة ، وجدران وأحجار متناثرة ، وتدل النقوش الباقية علي أن هذا المعبد أقيم فى عهد « منتو - حتب » الثانى من ملوك الأسرة الحادية عشرة ، ثم أضيفت إليه بعض الإضافات فى عصر « سيتى الأول » و « رمسيس الثانى » من الأسرة التاسعة عشرة ، كما أعيد بناؤه فى العصر البطلمى (المراجع) .

(٢) فى عام ١٩٦١ كشف الأستاذ شفيق فريد فى أثناء تنظيفه لقصر الملك « أمنمحات الثالث » بتل بسطة بالزقازيق عن عتب من الحجر الجيرى لبوابة القصر يشبه أعتاب المدامود .

نقش عليه بالحفر البارز مناظر تمثل هذا الملك وهو يحتفل بعيد يوبيله الأول – وقد نقل هذا العتب أخيراً إلى المتحف الإقليمى بالزقازيق .

وهناك رأس من الجـرانيت لسنوسـرت الثـالث وهي الآن « بالمتـحف المصـري » [١] تحت رقم ٦٠٤٩ في الركن الجنوبي الغربي بالحجرة رقم ٢٢ بالطبقة السـفلي ، وهي أيضاً من المدامود ، وتعتبـر أحد الأمثلة الرائعة للفن في الدولة الوسطي .

وقد قام الملك أمنوفيس الثاني من الأسرة الثامنة عشرة بالبناء هنا أيضاً ، كما أضاف سيتي الأول ورمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة للمبني شرفة بها مسلتان من هذا العصر .

أما المباني النهائية فترجع إلي عصر البطالمة وكانت بطول ١٣٢ قدماً ، ولقد أضيف إليها ووسعت أيام الرومان ونظامها غير طبيعي .

وقد أقام الإمبراطور تيبيريوس البوابة المؤدية إلي حرم المعبد ، هو والواجهة بشكل صرح كبير حيث تؤدي إلي صالة ذات أعمدة جانبية ترجع إلي عهد « أنطونيوس بيوس » .

وخلف هذه الصالة حجرة تسبق الناووس لا يزال يوجد بها خمسة أعمدة ويتوج العمودان المتوسطان تيجان علي شكل أوراق الشجر .

أما الثلاثة الأخري فلها تيجان بشكل براعم البردي ، وتأتي بعدئذ صالة الأعمدة يتلوها حجرتان والهيكل ، ويجانبها المقاصير المعتادة .

ويضم الحرم معبداً صغيراً مستقلا ، من الجائز أنه أقيم لعبادة وإيواء العجل المقدس « باخ » وهو الحيوان المقدس للإله منتو إله الحرب في طيبة الذي كرس المعبد من أجله ولعبادته .

---

(١) المتحف المصري : يعتبر المتحف المصري من أعظم متاحف العالم ، حيث يضم من بين مقتنياته التي تصل إلي أكثر من ١٨٠ ألف قطعة ترجع إلي أكثر من خمسة آلاف سنة ، وأهمها المجموعة الرائعة للفرعون « توت عنخ آمون » .
كما ساهمت البعثات العلمية والأجنبية جنباً إلي جنب مع العلماء المصريين في « اكتشاف الآثار الرائعة » التي تغطي تاريخ الشعب المصري في مختلف العصور وقد عرضت الآثار المصرية لأول مرة عام : ١٩٣٥ في حديقة الأزبكية ثم انتقلت بعد ذلك إلي مبني بولاق علي كورنيش النيل ، والكن هذا المبني أصيب بتشققات بسبب فيضان النيل في مصر ، فانتقلت الآثار عام ١٨٨٧ إلي مبني استراحة الجيزة في عهد الخديوى إسماعيل ومنذ عام ١٨٩٧ تبني الأثري الفرنسي « أوجست مارييت » فكرة إنشاء متحف كبير في قلب القاهرة يعرض كنوز الحضارة الفرعونية واستمر العمل فيه خمس سنوات حتي افتتح في ميدان التحرير في ١٩٠٢/١١/١٥ في عهد الخديوي عباس حلمي ، وعين الفرنسي « جستن ماسبيرو » كأول مدير للمتحف المصري (المراجع) .

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

فهرست اللوحات والصور التاريخية والفنية

البيـــــــان	الصفحة

البيـــــــان	الصفحة

البيـــــــان	الصفحة

البيـــــــان	الصفحة

★★★★★★

تم الجـزء الثـــاني

ويليـــه الجـــزء الثـالث

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٧٩٣ لسنة ١٩٩٢